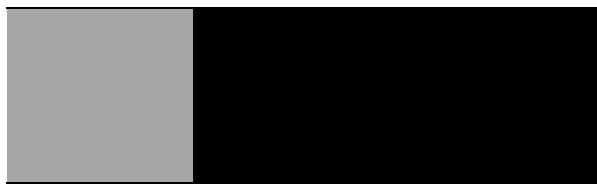


التفسير التحليلي للقرآن الكريم
الجزء الثالث



التفسير التحليلي للقرآن الكريم

الجزء الثالث

الأستاذ الدكتور
عبّاس عليّ الفحام

الطبعة الأولى / ٢٠٢٣م





مؤسسة دار الصادق الثقافية (طبع - نشر - توزيع)

التفسير التحليلي للقرآن الكريم
الجزء الثالث

اسم الكتاب:

الأستاذ الدكتور عباس علي الفحام

اسم المؤلف:

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد: ١٢٥٠ لسنة ٢٠٢٣ م

I.S.B.N.978-9922-702-09-4

ردمك

الأولى / ٢٠٢٣ م

رقم الطبعة:

٢٤ × ١٧

القطع الطباعي

٣١٠

عدد الصفحات:

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف والناشر

تحذير

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق
استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من المؤلف
والناشر.

This book or any part of it may not be reproduced, stored in a
retrieval system, or transmitted in any form without the
written permission of the author and publisher.

العراق - بابل - الحلة - شارع ابو القاسم - مقابل جامع ابن النما

هاتف: 009647801233129

E-mail: alssadiq@yahoo.com


مؤسسة دار الصادق الثقافية
طبع - نشر - توزيع

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿لَوْ أَنزَلْنَاهَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ

وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

الحشر: ٢١

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

سورة النساء

مدنية، وهي ست وسبعون ومائة آية

موضوعات السورة تنظم أحكام الزواج والمواريث وتعرض للصلاة والجهاد وغيرها من الأحكام.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

قوله (يا أيها الناس اتقوا ربكم) افتتحت السورة بخطاب عام يشمل عموم الناس من دون نظر إلى أديانهم وألوانهم، لأن ما بعد النداء يشملهم جميعاً، وفي السور المدنية يشيع النداء بصفة الإيمان، بينما في السور المكية يقابله نداء المشركين بصفة الكفر، وإذا أريد عموم المكلفين بغض النظر عن تدينهم خوطبوا بـ (أيها الناس).

وتقوى الله تتحقق باجتناب معاصيه والتزام أوامره، وخص (ربكم) بالذكر للإيحاء بملكه للناس ففيه علة الأمر بالتقوى.

قوله (الذي خلقكم من نفس واحدة) اسم الموصول وصلته موقعه النصب لأنه الصفة للفظ الرب، والخلق الإيجاد والتدبير، وحرف الجر (من) يفيد الابتداء، والنفس الواحدة أصل خلقة الإنسان كناية عن آدم عليه السلام، فهو أبو البشر، ودلالة النفس الواحدة مرتبطة بعمومية الخطاب إذ فيه إشارة إلى التراحم وإعلاء شأن صفة الإنسانية الجامعة بين أبناء الأب الواحد مهما اختلفت المشارب والأجناس واللغات، وفيه قال النبي ﷺ: كلكم لآدم وآدم من تراب، وقال الإمام علي عليه السلام: فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق، ولذلك تشير دلالة الأمر (اتقوا ربكم) بمراعاة حقوق بعضكم وعدم تضييعها لأن أصلكم واحد.

قوله (وخلق منها زوجها) أي: خلق الله مما يماثل تلك النفس زوجته في النوع، ف (من) ابتدائية لا تبعيضية، والهاء عائدة إلى المماثلة والمشباهة للنفس الواحدة وهي نفس آدم، والزوج القرين طالما اقترن الواحد بالآخر، وكلاهما أبوا البشر.

قوله (وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) البث النشر، وهي أدق في أسلوب الكثرة بالتناسل لأن الصورة تريد الكثرة والانتشار، والتثنية في (منهما) أي: من نفس آدم وحواء فهما أصل النسل، ووصف جمع الرجال بالمفرد (كثير) لأن كثيرا تستعمل للمفرد والجمع، والعطف بمعنى: ونساء كثيرات، حذف لدلالة ما قبله عليه.

وقال في المجمع: وإنما منّ علينا تعالى بأن خلقنا من نفس واحدة، لأنه أقرب إلى أن يعطف بعضنا على بعض، ويرحم بعضنا بعضاً، لرجوعنا إلى أصل واحد، ولأن ذلك أبلغ في القدرة، وأدل على العلم والحكمة. انتهى.

قوله (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) إعادة الأمر بتقوى الله بمعنى لا تضيعوا حقه عليكم في العبادة، وأنتم تلهجون به وتعظمونه في حواراتكم، والتقوى مفهوم قرآني واسع يشمل حفظ الإنسان وتنظيم شؤونه مهما كان اعتقاده.

وفعل السؤال مخفف التاء أي (تتساءلون)، والمراد ما يطلب بعضهم من بعض بلفظ الله نحو قولهم (أسألك بالله، نشدتك الله، أستحلفك بالله)، والأرحام جمع رحم خصت بالذكر وعطفت لأنها داخلة في معنى الالتقاء لعظم شأنها ويراد بها صلة القرابات وتحقيق التواصل الاجتماعي النسبي بين الناس، وهذا الذكر في حوارات الناس أدعى بالخلق لمراعاته وأبلغ حجة عليهم في وجوب تقوى الله وحرمة صلة الرحم، ويا لعظم صلة الرحم وفداحة قطعها بحيث يقرن اتقاؤه بتقوى الله.

قوله (إن الله كان عليكم رقيباً) القطع في الكلام لتعليله للأمر بالتقوى بكون الله رقيباً حافظاً لأعمالكم خيرها وشرها ومحاسباً لكم عليها، وإيراد الكلام بصيغة الجملة الاسمية المؤكدة للزوم المعنى وثباته، ومعنى مضي الكون الثبات بمعنى كان وما يزال، والرقيب صفة مشبهة يراد بها لازم المراقبة وهو الحفظ.

قوله تعالى ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ ﴿٥٠﴾

قوله (وأتوا اليتامى أموالهم) الواو من عطف جملة على جملة، والإيتاء الإعطاء، ولفظ اليتامى مجاز باعتبار ما كانوا، أما وقد بلغوا سن الرشد فيجب إرجاع حقوقهم المودعة إليهم، ولفظ (اليتامى) جمع كثرة أشمل في تأكيد دخول الذكر والمؤنث، وهو ما توحى به الآية من كثرة الأيتام في الأمة، لذا يؤثر الخطاب القرآني استعماله أكثر من لفظ (الأيتام) التي تفيد جمع القلة.

قوله (ولا تبدلوا الخبيث بالطيب) النهي عن التبديل يراد به وقت استحقاق الأموال المودعة لليتامى، والخبيث والطيب كناية عن السيء من المال والحسن منه، والمال ربما يعنون به الأنعام، فقد يستبدلون السمين بالمهزول والسليم بالمريض.

قوله (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) النهي عن أكل أموال اليتامى مجاز لأنه يكون على أساس معظم الانتفاع من المال، ولا يقصد به قصر حكم الأكل بالمضغ والابتلاع، بل يقصد به الضم لذلك عدي الفعل بحرف الجر (إلى).

قوله (إنه كان حوبا كبيرا) تعليل للنهي وهو إنه إثم كبير، وصفة الكبير لعظم الفعل، والآية تمهيد لذكر تفصيل أحكام المواريث.

قوله تعالى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ
النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعًا فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ۖ﴾

قوله (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى) الخطاب لأولياء اليتامى، والقسط
العدل والإنصاف في أمر اليتيمات بدلالة ما بعده.

قوله (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) الفاء واقعة في الجزاء، ويراد بالنكاح
التزويج، أي: تزوجوا بما أحله الله لكم منهن، فقوله مستعملا (ما طاب)
وليس: من طاب، لطلب العدد المحدد منهن في التزويج، وتعريف النساء
يراد به عموم النساء المستحقات للزواج لبلوغهم من غير اليتيمات.

قوله (مثنى وثلاث ورباع) الألفاظ محلها النصب على الحال، والمثنى بمعنى
اثنين اثنتين والثلاث ثلاثا ثلاثا والرابع أربعا أربعا، ولا يعني ذلك اجتماع
التسعة، وإنما ذلك على جهة الاستقلال.

قوله (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم) الفاء للتفريع، وهو
التحذير من انتفاء العدل في الإنفاق والتسوية بين الزوجات، لذلك رجع دفعا
لذلك التزويج بواحدة للاحتراس، أو خيرهم الله بالاكتفاء بالافتقار على
الإماء لأنهن لا حق لهن في القسم، وليس معنى ذلك التساهل في ظلم الإماء
بل المقصود أن أدنى تحقيق العدل في التزويج بهن لأن القسم غير مشروط
فيهن.

قوله (ذلك أدنى ألا تعولوا) اسم الإشارة للإشارة إلى التزويج بالواحدة مع الخوف من الجور فيما زاد عليها، ولفظ الأدنى بمعنى: أقرب ألا تظلموا وتجوروا فتحاسبوا على ذلك، والعول الميل.

قوله تعالى ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيَّتًا ۖ﴾

قوله (وأتوا النساء صدقاتهن نحلة) أي: وأعطوا النساء المتزوجات بكم حقهن من المهر، وسماه نحلة أي: عطية من الله لهن، وقيل: فريضة، وهي كناية عن المهور، فالله تعالى فرض المهر للمرأة على زوجها عطية من الله ونحلة للنساء، رغم أن الاستمتاع مشترك بين الزوجين، والصدقات جمع صداق وهو المهر.

قوله (فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئاً مريئاً) الفاء للتفريع، والخطاب للأزواج، وأصل الكلام: فإن طبن نفسا لكم عن شيء من الصدقات، ومعنى طابت نفسها عن كذا تركته، واللام في (لكم) بمعنى لأجلكم، والتبعيض في (منه) بمعنى: جزء من الصداق.

والكلام في حلية التصرف للأزواج بالمهر بشرط موافقة المرأة، قال في الميزان: ولعل إمكان توهم عدم جواز تصرف الزوج في المهر أصلاً حتى برضى من الزوجة هو الموجب للإتيان بالشرط. انتهى.

وفعل الأمر بالأكل مستعار للأخذ، وقوله (هنيئاً مريئاً) منصوب على الحال، والهناء المستساغ للهضم والشرب ويستعمل للأكل والشرب، فإذا استعمل معه المريء خص الأول بالأكل والثاني بالشرب.

قوله تعالى ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

قوله (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) أي: ولا تنفقوا على خفيفي العقل من سفهاء اليتامى كالقاصر والمجنون، وذلك لأن السياق متصل بالكلام عن أحوال اليتامى، وإضافة الأموال إلى المخاطبين من أولياء الأيتام مع أنها أموال اليتامى يراد به مزيداً من العناية بإنزال أموالهم منزلة الأموال الخاصة بالأولياء.

قوله (التي جعل الله لكم قياماً) جملة الموصول صفة للأموال، أي: جعل الله أموالكم قواماً لكم ولمعاشكم، والمراد الإرشاد بعد تضييع المال بالتفريط به على سفهاء اليتامى، بل يجب حفظها بإنمائها لهم.

قوله (وارزقوهم فيها واكسوهم) الخطاب لأولياء اليتامى، والرزق الكسب والنفع، والهاء في (فيها) عائد إلى الأموال، ودلالة (وارزقوهم فيها) وليس: وارزقوهم منها لطلب الإنفاق من عائد الأموال في التجارة والكسب الحلال لا من أصله فينفد، والمراد بالرزق الإنفاق في الإطعام والتغذية، وبالكسوة

إلباسهم ما يليق من الثياب مما يقي من البرد والحر، وهي مثل قوله تعالى (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن) [البقرة ٢٣٣].

قوله (وقولوا لهم قولاً معروفاً) إيحاء للأولياء بتوجيه اليتامى إلى سبيل الرشاد بلطف القول وحسنه مبتعدين عن المخاشنة في الكلام معهم.

قوله تعالى ﴿وَابْتَلُوا الَّتِمَّةَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبُرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَغْفِرْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ٦١﴾

قوله (وابتلوا اليتامى) أي: واختبروا عقول اليتامى وأفهامهم، ولفظ اليتامى مجاز، أي: الذين كانوا يتامى، أما الآن فقد كبروا وبلغوا سناً من العقل والرشد لا ينطبق عليهم وصف اليتيم.

قوله (حتى إذا بلغوا النكاح) الحرف (حتى) لانتهاء الغاية، وبلوغ النكاح كناية عن اكتمال البلوغ الجسمي وارشاد العقل في التمييز وفي التصرف.

قوله (فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم) الفاء تفريع على فعل الابتلاء، وهو مؤانسة أولياء اليتامى حسن التصرف واكمال العقل عندئذ ردوا عليهم أموالهم، والفاء في (فادفعوا) واقعة في جواب (إذا) و(إن).

وفعل الدفع استعارة من الإبعاد تشبيها للمال المودع بالشيء الثقيل، مبالغة في تصوير العناية بمال اليتيم ومراقبته وثقل أمانته، وفي دلالة الدفع البطء والجهة واليد فكل ثقل يكون بطيئا دفعه ويكون إلى الأمام وعادة يحصل باليد، أي: شبه المال المؤتمن بشيء ثقل وحذف المشبه به وأشار إلى شيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، وفيه تكلف بالدفع لحرص الإنسان على المال في طبعه، ولهذه الاعتبارات تستعمل هذه الاستعارة للمعاني التي يستشف منها الثقل والحرص كدفع المال والزكاة، والدفاع عن النفس ونحوه، ودفع السيئة نحو قوله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) [المؤمنون ٩٦].

قوله (ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا) خطاب لأولياء اليتامى ينهاهم عن أكل أموال اليتامى فوق ما يحتاجون إليه، والبدار المبادرة لكبر اليتامى، أي: لا تبادروا بأكل مال اليتامى كبرهم ورشدهم حذر أن يبلغوا فيلزمكم تسليم المال إليهم. كذا ذكر صاحب المجمع. انتهى. وفي الكلام حذف تقديره: أن يكبروا فيمنعوكم أكلها.

قوله (ومن كان غنيا فليستعفف) أي: ومن كان من أولياء اليتامى غنيا عن أخذ مال اليتامى قليلا أو كثيرا فليتركه وليمتنع منه.

قوله (ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) أي: ومن كان من القائمين على أمر اليتامى فقيرا محتاجا فليأخذ من مالهم بقدر حاجته الماسة.

قوله (فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم) الفاء للتفريع، ودفع الأموال إلى الذين كانوا يتامى ردها إليهم، والفاء في (فأشهدوا) واقعة في جواب

(فإذا)، والإشهاد جعل الشهود العدول على رد المال احتياطاً لأنفس الأولياء، وفي ذلك تلميح بالعباد وتحرز لهم عن الوقوع في خلاف الشبهة والفرقة لكلا الطرفين الأولياء ولليتامى.

قوله (وكفى بالله حسيباً) الكفاية ما فيه سد الخلة وبلوغ المراد في الأمر. كذا قال الراغب. انتهى. وتعني الاستغناء بالله بحسبانه وعلمه على دفع الأموال لأن علمه وثيقة فهو الشهد العالم بأمور العباد، وما أبلغ الفواصل القرآنية ودقة ارتباطها في سياق الآيات.

قوله تعالى ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾

قوله (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) أي: للرجال حظ من تركة الميتين من الوالدين والأقربين.

قوله (وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) وكذلك للنساء حظ وسهم من تركة الميتين من الوالدين والأقربين.

قوله (مما قل منه أو كثر) أي: مما قل من ذلك النصيب من التركة أو كثر.

قوله (نصيباً مفروضاً) النصب على الحال، أي: حظاً أوجبه الله تعالى وفرضه لكليهما من دون تفرقة إلا بحسب ما فصلته الشريعة فيما بعد، لأن هذا الحكم عام أوجب أولاً إرث الرجل والمرأة على السواء ابتداءً، ثم فصلت

الشريعة حظ كل منهما، وهذا التأكيد في الميراث بين الرجال والنساء لهو أعظم دليل على إعلاء مكانة المرأة في شريعة القرآن العظيم، إذ كان يمكن للمعنى أن يتم لو قيل: للرجال وللنساء نصيب، ولكن الدلالة القرآنية آثرت التأكيد والتفصيل في ذلك التقابل الجنسي في شأن الميراث، وفي ذلك إلغاء للقول بالعصبة وهو منع النساء من الميراث كما فعلت الجاهلية، وفي جنس الرجال يدخل الأنبياء في الميراث صراحة ولا مجال للقبول برواية من قال إن الأنبياء لا يورثون.

قوله تعالى ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ

فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾

قوله (وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه) الحضور بمعنى شهادة قسمة الميت وتركته بين ورثته، فأوصى الله تعالى - على نحو النذب - من يشهد ذلك من فقراء الميت من أولي قربه أو الذين تنطبق عليهم صفة اليتيم أو المسكنة بإعطائهم شيئاً من التركة يسدون به فقرهم وعوزهم، والهاء في (منه) عائد إلى نصيب التركة.

قوله (وقولوا لهم قولا معروفا) أي: قولوا للمذكورين بصفاتهم قولا لنا يطيّب نفوسهم من غير إشعارهم بمن أو إهانة.

قوله تعالى ﴿ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ ﴿٩﴾

قوله (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا) الخشية تأثر قلبي والكلام إيحاء للمشرف على الموت بمراعاة التوصية بالصغار الأيتام والفقراء ليتقوا به على الفقر والعوز، و(لو) الافتراضية من قبيل ضرب المثل تهيبجا للحمية، والذرية الضعاف كناية عن اليتامى، وقيل كناية عن الورثة الفقراء.

قوله (خافوا عليهم) أي: خاف الموصون على الذرية الضعاف الفقراء، والجملة موقعها الحال، قوله (فليتقوا الله) الفاء في جواب (لو) المتضمنة معنى الشرط، والأمر بتقوى الله أمر بمراعاة المذكورين من الذرية الضعاف والإيحاء بنصيب من الميراث، وفي المجمع: روي عن النبي ﷺ قوله لأحد أصحابه: لأن تدع وراثتك أغنياء أحب إلي من أن تدعهم عالة، يتكففون الناس. انتهى.

قوله (وليقولوا قولا سديدا) الأمر للموصين بالقول الصواب في الإيحاء بالذرية الضعاف من الأيتام.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ ﴿١٠﴾

قوله (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) الفصل للاستئناف البياني وأهمية الإخبار بحرمة هضم حقوق اليتامى في الإرث، وأكل الأموال مجاز باعتبار ما يؤول إلى طعام باعتبار أن الأكل معظم الانتفاع من المال، وانتصب لفظ الظلم على الحال، وتعليق الوعيد على الظلم لأنه قد يعتل الإنسان لنفسه بأخذ المال على سبيل الاقتراض أو أجره المثل ونحو ذلك.

قوله (إنما يأكلون في بطونهم نارا) جملة القصر محلها الخبر لـ (إن)، والمجاز مرسل باعتبار ما سيكون، أي: يأكلون أكلاً يؤول إلى نار، وذكر البطون على سبيل التأكيد كما يقال: نظرت بعيني، وكتبت بيدي، وتكرار فعل الأكل لأنه محور الكلام.

قوله (وسيصلون سعيراً) العطف للإخبار عن عقاب الآخرة لأكلي أموال اليتامى من الإرث، والصلي شدة الشواء، وتسمى النار سعيراً إذا اشتعلت واشتدت، وفي هذا التصوير منتهى غضب الله على أكلي حقوق اليتامى.

قوله تعالى ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا

تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنْ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا

حَكِيمًا ﴿١١﴾

قوله (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) الوصية بمعنى الفرض والوجوب في توزيع تركة الميت بين أولاده، ولفظ الأولاد يشمل الأبناء والبنات، وذكرت الآية الحكم العام في توزيع الإرث، وهو أن للذكر ضعف سهم الأنثى، والأنثيان مثلى الأنثى.

قوله (فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك) وفرع على هذا المبدأ في القسمة تفريعات في قسمة التركة، فإن كن المتروكات نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك من الميراث.

قوله (وإن كانت واحدة فلها النصف) أي: وإن كانت المستورثة البنت واحدة فلها نصف الميراث.

قوله (ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد) العطف لذكر حكم ميراث الوالدين، والأبوان هما الأب والأم، والهاء في (لأبويه) عائدة إلى الميت المستورث بفتح الراء، أي: لأبوي الميت، فلأب السدس مع الولد، وكذلك الأم لها السدس ذكرا كان أو أنثى واحدا كان أو أكثر، قال في المجمع: ثم إن كان الولد ذكرا، كان الباقي له، وإن كانوا ذكورا، فالباقي لهم بالسوية، وإن كانوا ذكورا وإناثا، فللذكر مثل حظ الأنثيين، وإن كانت بنتا، فلها النصف

بالتسمية، ولأحد الأبوين السدس أو لهما السدسان، والباقي عند أئمتنا يرد على البنت وعلى أحد الأبوين، أو عليهما على قدر سهامهم. انتهى.

قوله (فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث) الفاء للتفريع، والمعنى: فإن لم يكن للميت ذكر أو بنت وورثه أبواه فلأمه الثلث والباقي للأب.

قوله (فإن كان له إخوة فلأمه السدس) الفاء للعطف على التي سبقت، أي: فإن كان للميت إخوة فلأمه السدس على فرض وجود الأب، لأن الأخوين يحجبان الأم من الثلث إلى السدس.

قوله (من بعد وصية يوصي بها أو دين) أي: يقسم الميراث على ما ذكر بعد قضاء الدين وإقرار الوصية.

قوله (آبائكم وأبنائكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) أي: هؤلاء آباؤكم وأبنائكم لا تعلمون من يرث من لأن الموت بيد الله فلا تتمنوا موت الموروث ولا تستعجلوه.

قوله (فريضة من الله) أي: حق أوجبه الله على بعضكم، و(من) ابتدائية.

قوله (إن الله كان عليما حكيما) جملة تعليل لما تقدم، وهو أنه تعالى عليم بمصالحكم حكيم فيما يحكم به عليكم من هذه الأموال وغيرها. كذا قال صاحب المجمع. انتهى.

قوله تعالى ﴿ * وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾

قوله (ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد) الخطاب في (ولكم) للأزواج الذين ماتت عنهم زوجاتهم وليس لهن ذكر أو أنثى أو ولد ولد فحكمت الآية بأن له نصف الميراث.

قوله (فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين) و فرع على الحكم في حال أن للميتة ولد ذكر أو أنثى فحينئذ للزوج الربع من التركة بعد إقرار الوصية وقضاء الدين، و(أو) تفيد التخيير ولا يشترط الترتيب فيها.

قوله (ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد) وفي حال كون الرجل الزوج هو الميت ولم يخلف ابنا أو بنتا فللزوجة الواحدة أو أكثر الربع من التركة بعد إقرار الوصية وقضاء الدين.

قوله (فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين) وفرع على الحكم السابق في حال أن للزوج ولدا، أو ولد الولد فلزوجته - واحدة كانت أو أكثر - الثمن من تركته بعد إقرار الوصية وقضاء ما عليه من دين.

قوله (وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس) أي: في حال أن الرجل الميت لا عقب له من بنت أو ولد وله أخ أو أخت من جهة الأم، فلزوجته السدس من التركة، وكذا الحال مع امرأته الميتة وليس لها عقب ولها أخ أو أخت فلزوج السدس، والكلالة إرث الميت للإخوة والأخوات الذي لا عقب له، وفي الآية الكلالة للإخوة والأخوات من جهة الأم، وفي آخر السورة من جهة الأم والأب، أو من قبل الآباء، وقال في المجمع: والكلالة في النسب من أحاط بالميت وتكلمه من الإخوة والأخوات، والولد والوالد ليسا بكلالة لأنهما أصل النسب الذي ينتهي إلى الميت، ومن سواهما خارج عنهما، وإنما يشتمل عليهما بالأنساب من غير جهة الولادة، فعلى هذا تكون الكلالة كالإكليل يشتمل على الرأس، ويحيط به، وليس من أصله. انتهى.

قوله (فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث) أي: إن كان الأخوة والأخوات من قبل الأم أكثر من واحد فهم متساوون في ميراث الثلث.

قوله (من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار) أي: من بعد إقرار الوصية وقضاء الدين الذي لا يضر بالورثة أو يضر بالميراث كأن يوصي بدين ليس عليه بقصد الإضرار بالورثة.

قوله (وصية من الله) الوصية من الله فريضة وإيجاب.

قوله (والله عليم حليم) أي: والله عليم بما ينفع عباده ويضرهم فيضع المصلحة لهم في قسمة الميراث، وهو سبحانه حليم لا يعاجل المذنبين بالعقوبة.

وتأمل لغة الحقيقة ومدى مطابقتها شكلا ومضمونا، أو ليست البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ألم تكن الحقيقة شق المجاز في الكلام البلاغي، فهذا تقسيم مفصل في إيراد الأعداد، وموارد الورثة من الأبناء والبنات والوالدين، وتعداد وحصر لاحتمالات الإرث يأتي عليه فلا ينقص منه شيئا بلغة واضحة لا تحتاج معه إلى المجاز والتصوير البلاغي المجازي من استعارة وتشبيه، ولماذا تحتاجه طالما المعنى يشكل صورته وهو ما تجلى هنا أبلغ تجلية.

ويفهم من آيات الميراث عمق الدقة القرآنية في تقسيم الإرث المبني على حكمة النسب والسبب بين الآباء والأبناء، تلك الدقة التي لم تغفل حتى الميراث من بعد (الكلالة) من غير الوالدين، أما التفريق بين الزيادة والنقصان في مقادير القسمة بين الذكر والأنثى المستحقين فراجعة إلى التوزيع الوظيفي

في فلسفة وجودهما في صناعة الحياة، ولذلك ترد الفواصل القرآنية فيها لتشير إلى حكمة المشرع وعلمه في هذا التقسيم (عليما حكيمًا) و(عليما حلِيمًا).

قوله تعالى ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ



قوله (تلك حدود الله) شبه الأوامر والنواهي في تشريعات المواريث وحقوق اليتامى بالحدود ثم حذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية، وتدل استعارة الحدود على الحرمة وعقوبة التعدي عليها، كما هو معمول به اليوم في الدول التي تصنع لأراضيها حدودا فاصلة تمنع المتجاوزين عليها وتعاقبهم.

قوله (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) الكلام ترغيب للعمل بطاعة الله بالإثابة عليه يوم القيامة، وتكرر أمثاله كثيرا في الكتاب العزيز، وجزم فعل الدخول لأنه جواب الشرط، وجملة الجري صفة للجنات، وانتصب لفظ الخلود على الحال.

قوله (وذلك الفوز العظيم) اسم الإشارة إلى تمييز الدخول إلى الجنات وأخبر عنه بالفوز العظيم لعظم شأنه فهو نجاة من عقاب الله وفوز برضاه ونعيمه وليس بعد الجنة منجاة، وأسماء الإشارة في الآية في استعمال الغيبة تدل على التفضيم والتعظيم للمشار إليه.

قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ﴿١٤﴾

قوله (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها) الآية في مقابل التي سبقتها، وهم أهل المعصية المسرفون في تجاوز حدود الله، ومخالفة أوامره ونواهيه في تشريعاته، فهؤلاء مصيرهم الخلود في نار جهنم يوم القيامة. وجزم فعل التعدي، لأنه معطوف على فعل العصيان، وهو قيد أقرب إلى الكفر لذلك كان الجواب الخلود في النار.

قوله (وله عذاب مهين) تقديم الظرف لقصر العذاب المهين المذل بالعاصين المسرفين، وإسناد الإهانة إلى العذاب مجاز عقلي سببي، لأن الله تعالى أو بأمر ملائكته على وجه الحقيقة من يخزي الكافرين بالنار على وجه الإهانة مثلما يثيب المؤمن على وجه الكرامة.

قوله تعالى ﴿وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ ﴿١٥﴾

قوله (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) العطف من جملة على جملة لأنه انتقال في الأحكام من ذكر النكاح والمواريث إلى ذكر الحدود لمن ارتكبن الحرام، واللاتي جمع التي، ومعنى الإتيان الفعل

لأن فيه معنى القصد كما يفعل الآتي، والفاحشة أقبح الذنوب وأطلق على الزنا لشدة فحشه وتجاوزه الحد، وكل شيء تجوز فيه الحد قيل عنه فاحش كما يقال: فاحش الثراء، فاحش القول، و(من) ابتدائية لأن الكلام لبيان الأحكام، وإضافة النساء إلى ضمير جمع المخاطبين يراد به الإشارة إلى نساءكم الحرائر، والاستشهاد طلب الشهادة على ارتكابهن الفعل شهادة عيانة، والخطاب في الأمر للحكام والأئمة، واشترط في الشهود المسلمين بدلالة التبويض في (منكم) أن يكونوا أربعة.

قوله (فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت) الفاء للتفريع، أي: فإن شهد الأربعة بارتكاب الزنا فاحبسوا النساء الزانيات في البيوت حتى آخر أجلهن، وكان ذلك في مبدأ الدعوة، والآية منسوخة بآية الرجم للمحصنين، والجلد في البكرين.

قوله (أو يجعل الله لهن سبيلاً) الترديد بـ (أو) بمعنى أن أمر الإفراج عنهم موكول إليه سبحانه، ونقل في المجمع: لما نزل قوله (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) قال النبي ﷺ: خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر، جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب، جلد مائة والرجم. انتهى.

قوله تعالى ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا ۖ فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ۝١٦﴾

قوله (واللذان يأتيانها منكم فآذوهما) أي: الرجل والمرأة يفعلان الزنا، أمر الله تعالى بأذاهما بتعنيف الكلام أو بالضرب الخفيف، وقيل: إن الآية منسوخة بالسنة بالجلد والرجم.

قوله (فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما) الفاء للتفريع على التشريع، والتوبة الإقلاع عن فعل المعصية والندم عليه، والإصلاح نقيض الإفساد متضمن معنى صلاح السيرة والعمل بعد التوبة، والفاء واقعة في جواب (إن) الشرطية، والإعراض يقصد به الصفا عن فاعلي الزنا.

قوله (إن الله كان توابا رحيمًا) الفصل لتعليل الأمر بالصفا، وهو أن الله تعالى كثير القبول لتوبة العاصين شديد الرحمة بالمذنبين.

قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

قوله (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) الكلام بيان لمعنى التوبة، والتوبة أصلها الرجوع عن فعل المعصية، وحقيقته الندم عليه، والقصر بـ (إنما) متضمن معنى النفي والإثبات أي: لهؤلاء دون غيرهم على الشرائط التي ستذكر تكون التوبة.

وحرف الجر (على) بمعنى فرضها واستحقاقها على الله وهو من تلتطف الله بعباده في قبول التوبة، فلا فرض ولا حق لأحد عليه تعالى، وإنما هو المجاز على تأكيد وعده، واللام في (للذين) لام الاستحقاق، وعمل السوء عمل المعصية سميت بذلك لتوجيه المكلف بالنفرة من عمل المعاصي لأنها مما يسوء ذكره وفعله، والباء في (بجهالة) للملابسة، أو للسبب، والجهالة الجهل وهو نقيض العلم، أي: من عمل المعصية عن جهل وإن كان عالما بها، لأن الجهل والتزيين قاده إليها، نقل في المجمع عن الصادق عليه السلام قوله: كل ذنب عمله العبد، وإن كان عالما، فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربه. انتهى.

قوله (ثم يتوبون من قريب) العطف (ثم) للتراخي الزمني، أي: يرجع المذنبون بالتوبة إلى الله ودعائه ليصفح عنهم من وقت قريب عن فعل معصيتهم، أو بمعنى تقبل توبتهم قبل اليقين بالموت لأن ما بين الإنسان وبين الموت قريب، وباب التوبة مشرع مفتوح بوجه العبد، ذكر في كتاب من لا يحضره الفقيه قال: قال رسول الله ﷺ في آخر خطبة خطبها: من تاب قبل موته بسنة، تاب الله عليه، ثم قال: وإن السنة لكثيرة، من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه، ثم قال: وإن الشهر لكثير من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه، ثم قال: وإن اليوم لكثير من تاب قبل موته بساعة، تاب الله عليه، ثم قال: وإن الساعة لكثيرة، من تاب قبل موته، وقد بلغت نفسه هذه - وأهوى بيده إلى حلقه - تاب الله عليه. انتهى.

قوله (فأولئك يتوب الله عليهم) الفاء للتعقيب، واسم الإشارة لتمييزهم، وتوبة الله على المذنبين مجاز في رجوعه سبحانه بقبول توبتهم والصفح عنهم.

قوله (وكان الله عليما حكيما) إخبار متضمن معنى الوعد والوعيد، فالله عليم بمصالح العباد حكيم فيما يصفح ويعاقب عنهم.

قوله تعالى ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ إِلَكَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١٨﴾

قوله (وليس التوبة للذين يعملون السيئات) أي: نفي قبول الله توبة المذنبين وقت يقينهم بحلول سبب الموت فيهم، ولا تقبل هكذا توبة لأنها لم تأت عن وعي وندم وإنما جاءت عن إلجاء وقهر.

قوله (حتى إذا حضر أحدهم الموت) أي: حتى إذا أيقن بحضور سبب الموت، لأن الموت لا يرى وإنما يرى سببه.

قوله (قال إني تبنت الآن) فعل القول بمعنى إعلانه التوبة ولفظ الآن تقييد للتوبة وقت انتفاء التخيير بنزول الموت.

قوله (ولا الذين يموتون وهم كفار) العطف لدخول الحكم في النفي، بمعنى: وليس التوبة للذين يموتون كفارا، لأن التوبة اختيار من العبد المذنب ولا اختيار للعبد بعد مماته، فلا توبة تقبل منه، وجملة (وهم كفار) حالية.

قوله (أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما) لفظ الإشارة لاستحضار حالة الكافرين على تلك الصفة من العصيان والكفر، والإعداد التهيئة مبالغة في استقبال الكافرين بالعذاب المؤلم.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ﴿١٩﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) الفصل للابتداء بحكم جديد، ولذا خوطب المسلمون بصفاتهم الإيمانية التي غالبا ما يعقب بالإقبال على التكليف بأساليب الإنشاء كالأمر والنهي، أو إيراد التكليف بهياة الإخبار ودلالاتها الإنشاء كهذه الآية الشريفة، فمعنى النفي بالحلية الأمر بحرمة إكراه النساء على حرمانهن من تركة أزواجهن أو بمنعهن من النكاح، وقد كان ذلك من سنة الجاهلية إذا ماتت المرأة وللميت ولد من غيرها منعها الإرث والنكاح وحبسها حتى تموت.

قوله (ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) العضل المنع والتضييق، واللام في (لتذهبوا) للغاية، وفعل الذهاب بمعنى لتأخذوا من صداقهن، ويعني: لا تضيقوا على النساء التزويج وتمنعوهن بغية إرثهن، إذ كان من عاداتهم - في الجاهلية - حال الاستغناء عن حاجة المرأة أن يتركها فلا هو

يسرحها لتتزوج ولا هو يحسن معاشرتها، أما طمعا في إرثها أو نكولا في أداء مهرها أو كرها لها.

قوله (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) الاستثناء استدراك للنهي عن العضل وأخذ بعض من مهورهن، وهو في حال زنى الزوجة، فالكلام ينهى عن عضل الزوجة أو الأخذ من مهورهن لتفك عقد الزواج ببذل شيء من المهر فهذا محرم منهى عنه أما في حال إتيان الزوجة بفاحشة مبينة فللزواج عضلها والتضييق عليها حتى يلجئها إلى البذل بشيء من مهرها للتطليق.

قوله (وعاشروهن بالمعروف) المعاشرة المصاحبة، والمعروف ما يقره الشرع والعقل، وهو معاملتهن بالعدل والإنصاف، والكلام كناية عن كل فعل مسر كالانبساط في وجه الزوجة والتصنع لها بالخير، وحسن الإنفاق عليها بسد حاجاتها وإنصافها، وحسن معاملتها.

قوله (فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) الفاء للتفريع، بمعنى: فإن كرهتم صحبتهم وإمساكهم فلا تعجلوا في طلاقهن فقد يكون في إمساكهم خيرا كثيرا من الرزق والولد، وفي الكلام حث للأزواج على الصبر على أزواجهم فيما كرهوا منهن إن لم يكن فيه ضرر على الدين والنفس والمال.

ولم يقع جواب (إن) الشرطية صريحا فلم يقل: (فلا تعجلوا بالطلاق)، بل جاء على جهة الإخبار بفعل المقاربة (عسى)، للتنبيه على ما يحمل على الصبر والاستمرار على الصحبة، ولما في ذلك من خير مأمول من الذرية

والسعة في الرزق واستقرار النفس بإشباع حاجتها الغريزية، طالما أمن الضرر.

قوله تعالى ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾

قوله (وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج) الخطاب للأزواج، في حال التطليق الذي سماه استبدال، وهو طلب البديل، على أساس التغيير بإقامة امرأة مكان أخرى، والفعل متضمن معنى الإرادة فلا يعني أن النهي عن أخذ صداق المرأة مرهون بالاستبدال، بل به وبغيره يجب إيتاء المطلقة حقها من المهر. قوله (وآتيتهم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا) أي: أعطيتهم المطلقة صداقها من مال معين سماه قنطارا على سبيل كثرتة، ففي هذه الحال فرع عليه النهي عن حرمة هضم شيء ولو قل من حقها.

قوله (أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً) الاستفهام تعليل وإنكار للأخذ، لأنه بهتان وإثم مبين، وانتصب اللفظان على الحال، والبهتان الكذب لأنه مأخوذ بإنكار حق المطلقة كذبا، ووصفة الإثم بالإبانة لوضوحه ونفي الشك فيه.

قوله تعالى ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ

مِنْكُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا ۝٢١﴾

قوله (وكيف تأخذونه) الاستفهام يفيد التعجيب والإنكار من أخذ صداق المرأة.

قوله (وقد أفضى بعضكم إلى بعض) الواو للحال بمعنى: كيف تأخذونه في حال إفضاء بعضكم إلى بعض، والإفضاء كناية عن اتصال الرجل بزوجته، ويعني دخل بها أم لم يدخل كون الخلوة سبيلا للإفضاء.

قوله (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) الواو عاطفة لأنها حال ثانية، ونون فعل الأخذ عائد إلى الزوج المطلقة، والميثاق استعارة للعهد المأخوذ على الزوج حالة العقد من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، والغليظ صفة للميثاق استعارة مرشحة تشبيها للميثاق بالحبل القوي المتين الذي يمسك به الماسك فلا ينقطع، وقد قيل: صحبة عشرين يوما قرابة، فكيف بما يجري بين الزوجين من امتزاج واتحاد، كذا قال في الكشف. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا

قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ۝٢٢﴾

قوله (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) العطف لأن الكلام متصل في أحكام نكاح النساء ما يحل وما يحرم، و(لا) للنهي، والنكاح اسم يقع على

العقد وهو وطء النساء بما أحلته الشريعة، و(ما) اسم موصول، والمعنى: لا تتزوجوا ما تزوج آبؤكم، يراد به النهي عن سنة الجاهلية في التزويج بامرأة الأب.

قوله (إلا ما قد سلف) الاستثناء للاستدراك على النهي بعدم المواخذه على ما قد سلف من نكاح قبل نزول تحريمه، ولا يعني ذلك الإبقاء على استدامة هذه الأنكحة الفاسدة.

قوله (إنه كان فاحشة ومقتنا) القطع علة للنهي، وهو كونه فاحشة زنى مفسدة لنظام المجتمع، ومقتنا يورث بغض الله.

قوله (وساء سبيلا) جملة ذم بمعنى: بسئ الطريق ذلك النكاح الممقوت.

قوله تعالى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ
وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ
وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ
نِسَائِكُمْ وَرَبَّائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي
دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ

الْأَخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا



قوله (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت) التحريم بمعنى تحريم نكاح الأصناف السبعة المذكورة التي تمت بحسب النسب، وإنما لم يذكر النكاح للدلالة عليه في السياق ولدأب القرآن عن التصريح به متى أمن اللبس، وهو مثل قوله (حرمت عليكم الميتة والدم) [المائدة ٢٦]، فإن ما يفيد الإطلاق من مناسبة الحكم والموضوع يدل على أن المراد بذلك التحريم تحريم الأكل.

والخطاب في (عليكم) للرجال كونهم بحسب الفطرة هم من يطلب التزويج، والجمع على الاستغراق بمعنى: حرم على كل رجل منكم نكاح المخصوصات بالذكر.

قوله (وأمهاتكم اللاتي أَرْضَعْنَكُمْ) أي: الأمهات المرضعات لا الأمهات الوالدات، سميت بذلك تعظيماً لحرمتهن ومنزلتهن، وكل أنثى انتسبت إليها باللبن فهي أمك، فهؤلاء محرم عليها العقد بالسبب والأمهات الوالدات محرمات بالنسب.

قوله (وأخواتكم من الرضاعة) العطف لدخول الأخوات من الرضاعة في حرمة التزويج، قال في المجمع: وكل من تحرم بالنسب من اللاتي مضى ذكرهن، تحرم أمثالهن بالرضاع، لقول النبي ﷺ: إن الله حرم من الرضاعة

ما حرم من النسب. انتهى. وللرضاع أحكامه الفقهية وأكثره يقع في مدة الحولين.

قوله (وأمهات نسائكم) وكذلك أمهات الزوجات، ويدخل فيه الجدات سواء كن من النسب أو من السبب.

قوله (وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) العطف لاتصال الحكم بالحرمة، والربائب بنات نسائكم من سواكم، جمع ربيبة ويراد بها المربوبة كما يقال القتيلة ويراد بها المقتولة على عادة العرب في إقامة الفاعل بمكان المفعول.

ومعنى (في حجوركم) كناية عن تربيتكم وضمائكم، وقوله (اللاتي دخلتم بهن) صفة لـ (نسائكم) وهو قيد لأن الربيبة ترفع حرمة العقد بها إذا لم يدخل بأمها.

قوله (فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) الفاء للتفريع، والمعنى: فإن لم تكونوا أيها الأزواج دخلتم بأم الربيبة فلا إثم عليكم في نكاح بناتهن إذا طلقتموهن أو متن.

قوله (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) العطف لاتصال الحرمة، وهن زوجات الأبناء الصليبيين، لإخراج المتبنى من الحكم.

قوله (وأن تجمعوا بين الأختين) وكذلك حرم الله الجمع في الوطء بين الأختين.

قوله (إلا ما قد سلف) الاستثناء للاستدراك على عدم محاسبة الله لما سلف من نكاح قبل تشريع تحريره، ولا يعني جواز استدامته.

قوله (إن الله كان غفورا رحيمًا) القطع والاستئناف تعليل لما تقدم، في كون الله تعالى لا يؤاخذ على ما سلف من الأنكحة قبل التحريم.

قوله تعالى ﴿ * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُجَلَ لَكُمْ مَّا وَرَاءَ ذَلِكَ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْلِحِينَ فَمَا أُسْتَمْعَتْ بِهِ مِنْهُنَّ فَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

قوله (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم) العطف لاتصال الحكم بحرمة العقد على النساء المحصنات بالازدواج، والمحصن اسم مفعول استعارة للمرأة التي أحصنت نفسها بالتزويج، والحصن المنع، والاستثناء استدراك على التحريم وهن ملك اليمين من النساء المسبيات ممن كان لها زوج.

قوله (كتاب الله عليكم) أي: كتب الله كتابا عليكم، والكتاب بمعنى الفرض والإيجاب بتحريم ما حرم الله وتحليل ما أحله تعالى.

قوله (وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم) أي: وأحل الله لكم التزويج في غير ما ذكر من الأصناف الخمسة عشر المحرمة عليكم، وهو التزويج بما دون الخمسة أو بملك اليمين، و (ما) اسم موصول لغير العاقل، و(ذلكم) للمفرد للإشارة إلى التزويج أو نيل النكاح، وجملة (أن تبتغوا) محلها البدل من جملة (أحل)، وفعل الابتغاء الطلب، ومفعوله محذوف تقديره: تبتغوا التزويج بأكثر من واحدة أو بالزيادة بملك اليمين.

قوله (محصنين غير مسافحين) النصب على الحال، أي: طالبين لحصانة النفس بالتزويج من الوقوع في الفاحشة، و(غير مسافحين) تقرير للفظ محصنين صفة له، أي: غير زانين، والمسافح الصاب الماء في غير حليته، وسفح الجبل أسفله لأنه يصب الماء منه.

قوله (فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة) الفاء للتفريع على قوله (أن تبتغوا)، وتفيد (ما) الشرط، والاستمتاع مبالغة في طلب الإمتاع والانتفاع والجماع، والهاء في (به) عائدة إلى العقد بالنكاح، و(من) في (منهن) للتبيين، وضمير جمع الغائبات عائد إلى النساء، والفاء المقترن بفعل الإيتاء واقعة في الجزاء، والفعل معناه الإعطاء، والأجور يراد به الصداق المتفق عليه بين الطرفين، والفريضة على سبيل المبالغة بمعنى مفروضا واجبا، والنصب على الحال، والآية نزلت في تشريع عقد المتعة، وفي تفسير الثعلبي: وبإسناده عن شعبة عن الحكم بن عتيبة، قال: سألته عن هذه الآية (فما استمتعتم به منهن) أمسوخة هي؟ قال الحكم: قال علي بن أبي طالب: لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي، وبإسناده عن عمران بن الحصين قال: نزلت

آية المتعة في كتاب الله، ولم تنزل آية بعدها تنسخها، فأمرنا بها رسول الله، وتمتعنا مع رسول الله ﷺ، ومات ولم ينهنا عنها. انتهى.

ونقل في الاستذكار وفي غيره عن عمر بن الخطاب أنه قال: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ، وأنا أنهي عنهما، وأعاقب عليهما. انتهى.

وفي مسند ابن حنبل بإسناده عن جابر: قال متعتان كانتا على عهد النبي ﷺ فنهانا عنهما عمر رضي الله تعالى عنه فانتھينا. انتهى.

والسر في اختلاف جمهور المسلمين حول الآية هو في القول بنسخها أو عدمه.

قوله (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) أي: ولا إثم عليكم فيما تراضيتم به من استئناف العقد بعد انقضائه بزيادة الأجر من الرجل وتزیده في المدة.

قوله (إن الله كان عليماً حكيماً) إخبار متضمن معنى إحاطة الله بما ينفع العباد ويضرهم.

قوله تعالى ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَٰتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ

أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفِّحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ
فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ
الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥﴾

قوله (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات) الواو لعطف جملة على جملة، والكلام في تبيان أحكام نكاح الإماء، وأي من لم يقو على التزويج بالحرائر بسبب النفقة والمهر، والاستطاعة القدرة، والطول الغنى والزيادة.

قوله (فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) الفاء واقعة في جواب (من) الشرطية، و(من) للتبعية، أي: فليتزوج من بعض إماء غيركم من المؤمنات، وتسمى الأمة فتاة، وإنما حبذ الأمر لخفة المؤونة بزواج الإماء.

قوله (والله أعلم بإيمانكم) الإخبار بمعنى قبول الأخذ بظاهر الإيمان، لأن حقيقته في السرائر لا يعلمها سواه تعالى.

قوله (بعضكم من بعض) إخبار متضمن تساوي القدر في أصل الخلقة فلا داعي للاستنكاف من نكاح الإماء، فكلكم من ولد آدم.

قوله (فانكحوهن بإذن أهلهن) الفاء للتفريع، أي: ابنوا بالإماء المؤمنات على وفق الشريعة بإذن مالكنهن فهو وليهن.

قوله (وأتوهن أجورهن بالمعروف) أي: واعطوا وليهن مهورهن بما لا ينكره الشرع، وبما وقع عليه العقد من دون مطل.

قوله (محصنات غير مسافحات) النصب على الحال، أي: عفائف محبات لأزواجهن غير زوان.

قوله (ولا متخذات أخدان) أي: لا أخلاء لهن في السر يزنين به، وقد كان ذلك من فعل الجاهلية، يحرمون ما ظهر من الزنا ويستحلون ما خفي منه، والخدن صديق السر جمعه أخدان يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع.

قوله (فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) الفاء للتفريع على قوله (فانكوهن بإذن أهلهن)، أي: فإذا أحصن أنفسهن بالتزويج، وفرع عليه قوله (فإن أتين بفاحشة) أي: فإن زنين، فالحكم عليهن بنصف العقوبة المفروضة على الحرائر وهي الجلد خمسون جلدة.

قوله (ذلك لمن خشي العنت منكم) قطع الكلام ولم يعطف لأنه تعليل لقوله (ومن لم يستطع منكم طولا)، واسم الإشارة لاختصار معنى نكاح الإماماء عند عدم الطول، والخشية تأثر قلبي، والعنت كناية عن الزنا، وأصله الجهد والشدة، والمعنى: أن يخاف أن تحمله شدة الشبق على الزنا فيعاقب عليه في الدنيا والآخرة.

قوله (وأن تصبروا خير لكم) المصدر بـ (أن) والفعل بمعنى: وصبركم، وحذف متعلق الفعل للدلالة على مطلق الصبر على المعصية ويدخل فيه الصبر عن الزنا.

قوله (والله غفور رحيم) إخبار متضمن الوعد بكثرة المغفرة للمذنبين والرحمة بالعباد.

قوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

قوله (يريد الله ليبين لكم) جملة تعليل لما سبق من علة الأحكام، وهو إرادة الله تعالى لتبيان تشريعاته فيما ينفع الناس في الدنيا والآخرة، والخطاب للمؤمنين.

قوله (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) أي: ويدلكم على طريق أهل الحق من الأمم الماضية لتتبعوه وأهل الباطل لتجتنبوه، أو ليعرفكم على سير الأمم التي سبقتكم فتميزوا بين أهل الحق وبين أهل الباطل.

قوله (ويتوب عليكم) أي: ويقبل الله توبتكم.

قوله (والله عليم حكيم) أي: والله عليم بما تفعلون حكيم فيما يشرع لكم.

قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴾ ﴿٢٧﴾

قوله (والله يريد أن يتوب عليكم) إرادة الله في التوبة على المؤمنين كناية عن
تلطفه بهم في هديهم إلى توفيقهم في تقوية دواعيها منهم.

قوله (ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما) إعادة استعمال
فعل الإرادة لتبيان الفرق بين الإرادتين إرادة الله تعالى التي هي الخير كله
لخلقه، وإرادة أهل البطلان التي هي الضلال والإفساد، واستعمال اسم
الموصول وصلته ليكون علة للتنفير من اتباع أهل الباطل لأن اتباع الشهوات
اتباع للمبطلين.

والميل الانحراف عن قصد الطريق كناية عن الضلال والهلاك، والمفعول
المطلق ووصفه بالعظم لتهويل الإضلال للسامعين ومنه الذين ينتهكون حدود
الله في أحكامه في النكاح ومحرماته.

قوله تعالى ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ ﴿٢٨﴾

قوله (يريد الله أن يخفف عنكم) تكرار فعل الإرادة تأكيد للعزم في الفعل،
ونسبتها إلى الله تعالى للإشارة إلى أن إرادته عين فعله في أنه تعالى محض
الخير لعبده تكريما منه وتفضلا من غير احتياج منه إليه، وإنما الإنسان
بانحرافه عن الالتزام بتعاليم الله يودي بنفسه إلى المهلكة، وفعل التخفيف

كناية عن رفع الثقل عن الكاهل، وذلك بقبول التوبة أو بالتسديد والتوفيق، أو بالسعة في رحمة الأحكام الشرعية.

قوله (وخلق الإنسان ضعيفا) الكلام مقامه التعليل للتخفيف على هذه الأمة، وفعل الخلق بمعنى إيجاد الإنسان بإفاضة الوجود عليه وتدبير شؤونه، وتعريف الإنسان للعموم، والضعف كناية عن ميل النفس إلى أهوائها وشهواتها وقلة حيلتها، لأنها سبب في إضعاف إيمانه وعزمه على الثبات، ولذلك من الله عليه كسرا لسورة شبّه تشريع النكاح من الحرائر والإماء وعقد المتعة للضرورة ورفع الحرج.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٢٩﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) الكلام نهي لمطلق المؤمنين عن المعاملات الباطلة التي من شأنها تضييع الحقوق كالربا والقمار ونحو ذلك من المعاملات الفاسدة التي تؤدي إلى اضطراب وحدة المجتمع وهدم اقتصاده.

قوله (إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) الاستثناء منقطع لإخراج التجارة الصحيحة المبنية على المبايعة والتراضي بين الأطراف المتعاملة من النهي.

قوله (ولا تقتلوا أنفسكم) النهي بمعنى: لا تكونوا سببا في إهلاك أنفسكم وقتلها بأكل أموال الناس بالباطل وارتكاب الآثام التي تؤدي بكم إلى عذاب النار، ويحتمل المراد بجمع الأنفس أنفس المؤمنين بعد مجموع مجتمعهم نفسا واحدة فينهى عن قتلها بالانتحار ونحوه، لأن في إهلاكها إهلاكاً للمجموع.

قوله (إن الله كان بكم رحيما) جملة تعليل للنهي، وهو أن الله رحيم بالمؤمنين فحرم عليكم قتل النفس وحرم أكل المال بالباطل.

قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُوْنَا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾

قوله (ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا) اسم الإشارة (ذلك) مستعمل لاختصار أشكال التعدي والتجاوز كأكل أموال الناس بالباطل وقتل النفس، وتقيد عمل ذلك بالعدوان والظلم لبيان علة استحقاقه صلي النار، وانتصب اللفظ على الحال، والعدوان الاعتداء على حق الغير، والظلم إنقاصه وهضمه، والفاء في (فسوف) واقعة في الجزاء، وأداة الاستقبال للإشارة إلى العقاب يوم القيامة، والصلي الشواء بتسليط لهب النار.

قوله (وكان ذلك على الله يسيرا) أي: العقاب بصلي النار للمعتدين الظالمين سهلا يسيرا على الله، والاتفات بتغيير الخطاب من ضمير التكلم في (نصليه) إلى ضمير الغيبة في التصريح بلفظ الله للإشعار بعلية الإمكان على إنزال العقاب ويسره عليه، لأنه هو الله عز اسمه، ونحو ذلك مستعمل كثيرا في

الخطابات، ونحو ذلك في نهج البلاغة قوله عليه السلام مخاطبا معاوية: فأنا أبو حسن قاتل جدك، وخالك وأخيك شدخا يوم بدر، وذلك السيف معي. انتهى.

قوله تعالى ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ ﴿٣١﴾

قوله (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) اتصال الآية بسياقها مع الآيات السابقة يعني أن أكل أموال الناس بالباطل وقتل النفس من الكبائر التي يستحق عليها فاعلها العقاب الشديد، ولذلك اشترط اجتناب كبائر ما ينهى الله عنه ومنها ما ذكر لمغفرته تعالى عنهم، وفعل الاجتناب استعارة للترك والإعراض عن الشيء ويستعمل في النهي عما يكره، والكبائر صفة لموصوف محذوف دل عليه ما قبله من ذكر السيئات التي تعني الصغائر من المعاصي، ولفظ الكبائر والصغائر من المعاصي تكون كذلك باعتبار الإصرار والعناد، فالصغيرة تكون كبيرة إذا استهان فاعلها بالإصرار والاستخفاف.

والتكفير أصله الستر ويراد به العفو والصفح، والسيئات جمع سيئة وهي المعاصي التي يسوء ذكرها، وفي المجمع: وروي عن النبي ﷺ أنه قال: الكبائر سبع أعظمهن: الإشراك بالله، وقتل النفس المؤمنة، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، فمن لقي

الله تعالى وهو برئ منهم، كان معي في بحبوحة جنة، مصاريحها من ذهب. انتهى.

قوله (وندخلكم مدخلا كريما) الواو للعطف على فعل جواب الشرط، والجملة مجازاة على الطاعة في فعل الاجتناب وهو إدخال المطيعين في الجنة، فالمدخل الكريم اسم للمكان الطيب الحسن الذي لا ينقصه شيء، ونسبة الكرم إليه على سبيل المجاز العقلي للمبالغة، ومثله مقام كريم.

قوله تعالى ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝﴾

قوله (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) التمني رغبة قلبية يترجمها اللسان بقوله: ليت لي كذا، و(ما) الموصولة إشارة إلى ما تقدم من أحكام الميراث والنكاح بين الرجل والمرأة، والتفضيل تقديم بعض على بعض في مزية الأحكام، كمزية الرجال على النساء في عدد الزوجات وزيادة السهم في الميراث ومزية النساء على الرجال في وجوب جعل المهر لهن ووجوب نفقتهن على الرجال.

والنهي عن ذلك التمني يأتي لقطع دابر الشر وقلعه من النفوس إذ يتحول التمني إلى تحاسد فيه مفسدة وهلاك للمجتمع.

قوله (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) فصل الكلام لوقوعه تعليلاً للنهي عن التمني، وتقديم الظرف للأهمية والنصيب هو الحظ، و(من) في (مما) ابتدائية، و(ما) مصدرية، والاكتساب مبالغة في الكسب وأصله الانتفاع، ويراد به الحيازة والاختصاص لكل من الرجل والمرأة بنفسيهما، فالرجال بذكوريتهم جاز لهم اتخاذ أربع نسوة وحرّم ذلك على النساء، وخصوا بضعف الميراث بينما النساء لموقعهن في المجتمع خصوا بالنفقة والمهر.

وهذا التقابل الموضوعي المقصود بين الرجل والمرء في طبيعة الاكتساب لا يعني تفضيل جنس على آخر، بل هو مما اقتضته الضرورة في توزيع الوظيفة وتحديد الدور في الواجبات والحقوق، ولذلك عقت الآية بطلب الفضل الحقيقي الدائم من الله تعالى.

قوله (واسألوا الله من فضله) سؤال الله دعاؤه بطلب الزيادة في النعمة، فإن الإفضال النعمة الزائدة على الغير، وفي ضمن الأمر الإرشادي والإبهام في الفضل المسؤول عنه تأديب بأن يكون الفضل منه تعالى من دون تعيينه إذ لا يعلم العبد مصلحته بتشخيص طلبه فيتركه الله هو يختاره، فكم من طالب للولد أو المال كان فيه هلاكه، ولذلك ينبغي نفي المقارنة بتفضيل هذا الجنس على ذاك لأن ذلك جرى على وفق الحكمة الإلهية، فقد قيل إن مناسبة نزول الآية شعور النساء بأنهن أدون في المنزل من الرجال عند الله، جاء في التبيان: أن أم سلمة قالت: يا رسول الله لا نغزو مع الرجال، ولنا نصف الميراث، يا ليت كنا رجالاً، فكنا نقاتل معهم، فنزلت هذه الآية. انتهى.

قوله (إن الله كان بكل شيء عليما) القطع لأنه علة للنهي، فالله تعالى عليم بما ينفع العباد وما يصلح شؤونهم في تقسيم الأرزاق، وتقديم المعمول (بكل شيء) للأهمية.

قوله تعالى ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَاتَوْهُمْ فَاصْبِرْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾

قوله (ولكل جعلنا مولى مما ترك الوالدان والأقربون) رجوع الكلام إلى ذكر المواريث، ومعنى (ولكل) أي: لكل من الرجال والنساء، والموالي يراد بهم الورثة جمع مولى وهم الأولى بالإرث من تركة الوالدين والأقربين الميتين.

قوله (والذين عقدت أيمانكم) العطف على قوله (الوالدان والأقربون) أي: ويرثون مما ترك الذين عقدت أيمانكم، لأن لهم ورثة أولى بميراثهم، وإسناد العقد للأيمان مبالغة في الكلام وهو مجاز عقلي يراد به صاحب اليمين، واليمين أصلا اسم يقع على القسم لأن باليد اليمين كان تتم الصفقة فيتعاهدون بها لإتمامها فسمي القسم يمينا لكثرة الاستعمال.

قوله (فاتوهم نصيبهم) الفاء للتفريع، وضمير جمع الغائبين في فعل الإيتاء عائد إلى الموالى، والإيتاء الإعطاء لحظهم من الميراث.

قوله (إن الله كان على كل شيء شهيدا) إخبار بعلم الله واطلاعه على كل ما خفي متضمن معنى التحذير.

قوله تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾

قوله (الرجال قوامون على النساء) تعريف الرجال والنساء على العموم لا بتقييدهم بالأزواج، والقوامون جمع قوام صيغة مبالغة وتكثير لمعنى القيمومة والقيام على سلطة البيت وخدمة الزوجة والإنفاق عليها وسائر شؤونها، وجعل ذلك تفضيلا من الله للرجال لأنهم الأقدر على تحصيل الرزق ومواجهة مشاقه واكتساب التجارب ولما فيه من زيادة الأجر، وحرف الجر مجاز للتمكن والاستعلاء.

قوله (بما فضل الله بعضهم على بعض) الباء للسبب، و(ما) مصدرية، والجملة وما بعدها علة لقيمومة الرجال على النساء، والتفضيل تفضيل بالمزية كما مر سابقا لا تفضيل بالمنزلة.

قوله (وبما أنفقوا من أموالهم) الواو للعطف، والباء للسبب، و(ما) مصدرية، أي: وبسبب بذل الرجال من أموالهم على النساء في المهر والنفقة.

قوله (فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله) الفاء للتفريع، والصالحات صفة لموصوف محذوف بمعنى: فالمتزوجات الصالحات، والقنوت دوام الطاعة لله، والحافظات للغيب كناية عن حفظهن للفرج ولحرمة الزوج في الغياب، والباء في قوله (بما حفظ الله) بمعنى: بسبب حفظ الله للرجال من الحقوق عليهن إذ شرع لهم القيمومة، وأوجب عليهن حفظ غيبتهم.

قوله (واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن) أي: والنساء اللاتي تشعرن بظهور علامات الاستعلاء والخروج على طاعة أزواجهن انصحوهن وعظوهن، والنشوز الارتفاع استعارة لاستعلاء المرأة على زوجها ومخالفة طاعته، والخوف يراد به الاستشعار، والفاء المقترن في فعل الوعظ للتفريع، والوعظ الكلام بالنصح فيما ينفع الناشز.

قوله (واهجروهن في المضاجع) الأمر للأزواج وضمير المفعول في فعل الهجر عائد للزوجات، والهجر الابتعاد، و(في) للظرفية المجازية، والمضاجع جمع مضجع وهو مكان الاستلقاء، والكلام كناية عن مباينة الزوج لزوجته في المنام وعدم الاتصال بها عقوبة لنشوزها وترفعها عليه وإعلانها عصيانها.

قوله (واضربوهن) الضرب إيقاع الأذى على الغير باليد ونحوها، والمراد به الضرب بإيقاع الأذى النفسي المبين عن عدم الرضا وإيقاع الإهانة والغضب، ويمكن احتماله إذا نظرنا التدرج في سياق الآية من العظة فهجر المضجع ثم الضرب لأن الواو هنا للتقسيم وليست للجمع. وروي عن الباقر عليه السلام إنه يراد به الضرب بالسواك.

قوله (فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) الفاء للعطف على قوله (الرجال قوامون). والطاعة للأزواج واجبة فيما فرضتها الشريعة على النساء في الفراش ونحوه مثلا، والفاء في (فلا تبغوا عليهن سبيلا) واقعة في الجزاء، والكلام كناية عن النهي عن افتعال الأسباب لإيذائهن.

قوله (إن الله كان عليا كبيرا) فصل الكلام ولم يصله لأنه علة للنهي، فالإخبار بعلو الله تعالى وقدرته تذكير للرجال بالألا يبالغوا فيما يجدون في أنفسهم من شدة وقوة تجرهم إلى ظلم النساء والاستكبار عليهن، وفي هذه العلة انتصار للنساء على من يظلمهن أو يكلفهن ما لا يطقن، والعلي العالي المقتدر ووصفه بالكبير لعظم قدرته، وكلا الاسمين من صفاته العلى.

قوله تعالى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾

قوله (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) الكلام في الحكم بين الزوجين في حال تلبسهما في الخلاف، والخطاب لعموم المؤمنين ومنهم القائمون على الأمر، والخوف يراد به الخشية، والشقاق المباينة والعداوة مأخوذ من الشق بين الشيئين بحيث يكون كل واحد في جانب، وإضافته إلى (بين) لإخراجه من الظرفية إلى الاسم بمعنى البعد والتجافي، أو على سبيل المبالغة والاتساع في الكلام كما يقال: مكر الليل، والتثنية فيه عائدة إلى الزوجين المفهومة من سياق الكلام، والفاء في فعل البعث واقعة في جواب (إن)، والبعث الإرسال، والحكم القيم بما أسند إليه، وهو ممثل كل طرف ووكيله في إصدار الحكم.

قوله (إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما) فعل الإرادة الرغبة والعزم على الفعل. والتثنية عائدة إلى الحكيمين، والإصلاح نقيض الإفساد، ويراد به إصلاح ما فسد من علاقات بين الزوجين، والتوفيق أصله الموافقة وهو المساواة في أمر من الأمور، قال الراغب: الوفاق المطابقة بين الشيئين، قال (جزاء وفاقا) يقال: وافقت فلانا ووافقت الأمر صادفته، والاتفاق مطابقة فعل الانسان القدر ويقال ذلك في الخير والشر، يقال اتفق لفلان خير، واتفق له شر، والتوفيق نحوه لكنه يختص في التعارف بالخير دون الشر. انتهى.

والضمير في (بينهما) عائد إلى الحكيمين، أي: في حال عزم الحكمان من كل طرف من الزوجين المختلفين على التصالح يوفقهما الله في ذلك.

قوله (إن الله كان عليما خبيراً) القطع للتعليل، والتعبير عن المعنى بالجملة الإسمية يراد به الثبات واللزوم للمعنى، فالله كان ولم يزل عليماً بما خفي خبيراً في وضع الأمور في نصابها بما ينفع مصالح الزوجين والعباد.

قوله تعالى ﴿ * وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾

قوله (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) العطف لاتصال السياق في ذكر مكارم الأخلاق وأولها توحيد الله وتعظيمه، والأمر بعبادة الله بالتصريح باسمه تعالى ليكون سبباً لعله الأمر إذ يكفي ذكره عز اسمه ليكون سبباً في الاستجابة، والنهي عن الشرك به تقرير للأمر بتوحيده، ولفظ الشيء وتنكيره لعموم النهي عن أنواع الشرك كالأصنام وعبادة الملائكة وادعاء الولدية لله.

قوله (وبالوالدين إحساناً) العطف على العبادة لعظم منزلة الوالدين عند الله، وأصله: وأحسنوا إحساناً بالوالدين، والإحسان الزيادة في عمل البر ويراد به إلزام الأبناء والبنات في طاعة الأبوين، وتعدية لفظ الإحسان بالباء لتضمنه معنى الإكرام والبر والإيصال.

قوله (وبذي القربى واليتامى والمساكين) أي: وأوصى بذي القربى واليتامى والمساكين والإحسان إليهم.

قوله (والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب) العطف لأنهم داخلون في الإحسان، وذو القربى صاحب النسب والرحم، والجار الجنب المجاور إلى بيتك، وفي المجمع: روي عن النبي ﷺ أنه قال: الجيران ثلاثة: جار له ثلاثة حقوق: حق الجوار، وحق القرابة، وحق الإسلام، وجار له حقان: حق الجوار وحق الإسلام، وجار له حق الجوار: المشرك من أهل الكتاب. انتهى.

وأما الصاحب بالجنب فهو كناية عن الزوجة فهي الرفيق الملازم الصحبة في الحياة، ويحتمل الكناية عن المسافر أو الضيف.

قوله (وابن السبيل) كناية عن الغريب المنقطع عن أهله لعوزه.

قوله (وما ملكت أيمانكم) كناية عن المماليك من العبيد والإماء، والإيضاء بالإحسان إليهم يكون في رفق المعاملة ورعايتهم وعدم تكليفهم ما لا يطيقون.

قوله (إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا) القطع والإخبار المؤكد تذييل لما تقدم من الأمر بالإحسان، ونفي الحب عن الله مجاز في سخطه وعدم رضاه، وخص بالذكر المختال والفخور، لأنهما من موانع الإحسان إلى الوالدين ومن ذكرتهم الآية لأن المختال وهو التمايل في مشيته والفخور وهو المتباهي بماله كلاهما كناية عن التكبر والخيلاء وهما من أذم الصفات

عند الإنسان تمنعانه من التواضع إلى الغير ولو كان أبويه، والآية متضمنة لبيان أركان الإسلام مشتملة على مكارم الأخلاق جامعة لمحاسن المعاني.

قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ﴿٢٧﴾

قوله (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) اسم الموصول يحتمل الرفع على الابتداء وخبره محذوف دل عليه قوله جملة (وأعتدنا)، ويحتمل النصب على البذل من الضمير في (من كان مختالا فخورا)، والبخل أصله منع الواجب كإخراج الحقوق وأداء الزكاة ونحو ذلك، وهو جامع لمساوئ العيوب كما قال أمير المؤمنين عليه السلام، وأمر الناس بالبخل لدعوتهم أن يكونوا مثلهم في الشح النفس ومسك اليد عن البذل دعوة بالسيرة الفاسدة لأنهم أولي مال فأمرهم مقلد متبع.

قوله (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) أي: لا يظهرون نعم الله عليهم ولا يتحدثون بها بل يدعون الفاقة لئلا يكونوا مقصد الناس للسؤال. والكتم الإخفاء، والإتيان باسم الموصول وصلته لبيان الحجة على البخلاء، والإيتاء الإعطاء والتصريح بلفظ الجلالة لبيان أن أصل الإنعام من الله لا من عند أنفسهم وإنما ابتلاهم بذلك وليس لكرامة لهم عنده سبحانه.

قوله (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) الإخبار متضمن الوعيد لمن كتم فضل الله ومنعه من غيره، وسماهم الكافرين حملا على معنى جحد النعمة، وإسناد

الإهانة إلى العذاب مجاز عقلي سببي، لأن الإهانة مسببة عن العذاب، وقد تكون صور الإهانة للعاصين بالتلاوم أو بإلقاء التهم على بعضهم بعضاً أو بالتبرئة من بعض أو بالافتضاح والخزي.

والآية وإن كانت عامة في الحكم غير دالة على مخصص بعينه إلا أنه يدخل في ضمن معناها كتمان أهل الكتاب ما علموا عن ظهور النبي ﷺ ومبعثه.

قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ ﴿٢٨﴾

قوله (والذين ينفقون أموالهم رياء الناس) العطف لاتصال السياق بذكر الكافرين والمنافقين، والإنفاق إخراج المال لإنفاقه في موارد الشرعية في الجهاد والصدقات، والرياء موقعه الحال أي: ينفقون مرئيين، والمراعاة مراعاة الناس بظاهر العمل دون الإيمان بقناعة الاعتقاد به، فهو إنفاق يطلب به إراءة الناس ولا يطلب به وجه الله.

قوله (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) تأكيد لصفات المنافقين بنفي الاعتقاد بالتوحيد وبالمعاد، فهم ما زالوا على الكفر يوهمون الناس بإيمانهم المزعوم، فهم منافقون مشركون بالله.

قوله (ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً) أي: من يكن الشيطان صاحباً وخليلاً له فبئس القرين الشيطان لأنه يدعو إلى الهلاك ويتبرأ منه يوم القيامة، ولفظ القرين استعارة تصريحية لما فيه من معنى المصاحبة، فكأنه

يُصَاحِبُ الشَّيْطَانَ فِي الدُّنْيَا بِاتِّبَاعِهِ فِي الدُّنْيَا وَيُودِي بِهِ فِي الْهَلَاكِ فِي الْآخِرَةِ
فَبُئِسَ الصَّحْبَةُ.

قوله تعالى ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ
اللّٰهُ وَكَانَ اللّٰهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾

قوله (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر) جملة الاستفهام بـ (ماذا) مجازية تفيد الإنكار والتوبيخ بمعنى: وأي شيء عليهم، والضمير في (عليهم) راجع إلى المرائين المنافقين، والافتراض بإيمانهم بالله وباليوم الآخر لقطع العذر على المنافقين في العدول عن سبيل الإيمان وذلك لإمكان تحققه.

قوله (وأنفقوا مما رزقهم الله) أي: وماذا عليهم لو جمعوا إنفاقهم إلى الإيمان بالله وباليوم الآخر.

قوله (وكان الله بهم عليما) المضي دال على رسوخ المعنى وثباته، أي: كان ولم يزل، والإخبار متضمن معنى وعيد المنافقين بالعذاب.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللّٰهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا
وَيُؤْتِ مِنْ لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

قوله (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) استئناف الآية لتعليل الاستفهام في قوله (وماذا عليهم)، ومتضمنة معنى التهديد بتأكيد عدالة الله تعالى في إنزال

العقاب بالمسيئين، وذلك بنفي أدنى الظلم عنه تعالى، وهو ضرب المثال بأقل الأوزان وهو ثقل الذرة لا ليقصر الحكم عليه بل إنما خصت بالذكر لأنها أدنى ما يتوهمه البشر، والمتقال اسم آلة للوزن يراد به مصدره وهو الثقل، والذرة هي الجزء من الهباء المنثور في الكوة من أثر الشمس، وانتصب (مثقال ذرة) على المفعولية المطلقة أي: لا يظلم الله ظلما يعدل مثقال ذرة.

قوله (وإن تك حسنة يضاعفها) حذف النون من (تك) للتخفيف، واسمها عائد إلى الذرة، أي: إن تك الذرة حسنة يقبلها ويجعلها مضاعفة، والحسنة كناية عن العمل الصالح.

قوله (ويؤت من لذه أجرا عظيما) أي: ويعط من عنده تعالى ثوابا جزيلا وهو الجنة.

قوله تعالى ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ﴿٤١﴾

قوله (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد) الفاء للتفريع على معنى نفي الظلم عن الله وذكر العقاب، والاستفهام للتوبيخ بمعنى: وكيف حال هؤلاء المنكرين للمعاد يوم القيامة، أين يذهبون من العقاب؟ يوم يأتي الله بكل أمة من الأمم بشهيد يشهد على ما صنعت، وتنكير لفظ الشهيد للتعظيم إشارة إلى الأنبياء المبعوثين إلى الأمم يشهدون على أممهم بتبليغ رسالة التوحيد إليهم والعمل على طاعته تعالى.

قوله (وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) أي: وجئنا بك يا محمد على قومك شهيدا، والآية حث على الطاعة للعمل بها، وتهويل للمعصية لاجتنابها، واسم الإشارة لتحقير شأن المنافقين من أمتهم ﷺ.

والأنبياء يوم القيامة يشهدون على الأمم، كل على أمتهم، بتبليغ رسالات ربهم إليهم على أتم ما يكون حتى لا يبقى عذر لمعتذر، وأفرد النبي ﷺ بالذكر تعظيما لشأنه، ذكر الشيخ الطوسي: وروي عن ابن مسعود أنه قرأ على النبي ﷺ سورة النساء فلما بلغ (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) فاضت عيناه. انتهى.

وفي نهج البلاغة قوله ﷺ في الرسول ﷺ: وشهيدك يوم الدين، وبعيئك بالحق.. واجزه من ابتعائك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة، ذا منطق عدل، وخطة فصل. انتهى.

قوله تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ ﴿٤٦﴾

قوله (يومئذ) ظرف زماني مبني مركب من يوم وإذ للإشارة بالتعظيم ليوم القيامة.

قوله (يود الذين كفروا وعصوا الرسول) المودة رغبة قلبية أقرب للتمني، والكافرون هم المنكرون للتوحيد والرسالة واليوم الآخر، ويراد بالذين عصوا

الرسول المنافقون المؤمنون به في الظاهر والمخالفون له في الخفاء، وأل الرسول للعهد الحضورى، وفي تنكير اللفظ تفخيم لشأن النبى ﷺ.

قوله (لو تسوى بهم الأرض) الجملة موقعها النصب لأنها مفعول فعل الود، والتسوية المماثلة، والتضعيف على سبيل المبالغة، والأرض إشارة إلى التراب، والكلام كناية عن عدمهم، أي: يكونوا والأرض سواء، ترابا أو نحوه، مبالغة في تصوير عذابهم وخزيهم، وتلك أمنيته لهم لاهول ما يعلمون من عذاب ما ينتظرهم فيودون لو لم يخلقوا وبقوا ترابا، ومثله قوله تعالى (ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا) [النبا ٤٠]، أو يكون تمنيههم بمعنى بقائهم مدفونين في التراب ولم يبعثوا.

قوله (ولا يكتمون الله حديثا) الواو للعطف على ما قبلها، أي: ولا يخفون شيئا من مساوى أعمالهم لأنها مكشوفة ظاهرة لا يملكون كتمانها الأنبياء وجوارحهم تشهد عليهم، ويمكن أن تكون الجملة حالية متعلقة بجملة الود.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِ سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَايَةِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) استئناف جديد لبيان حكم شرائط الصلاة، لذلك جاء النداء للإقبال على الانتباه والفهم، والكلام في النهي عن أداء الصلاة مخمورين، والنهي عن قرب الصلاة كناية عن أدنى أداء لها مبالغة في اجتنابها في حال كان المصلي شارباً للخمرة، وجملة (وأنتم سكارى) جملة حالية، والسكارى جمع سكران وهو الذي اشتملت على عقله الخمرة وأسكرته فلم يعد يعي ما يقول ويتصرف، وأصل السكر سد مجرى الماء، والسكران سمي بذلك لأن بالسكر ينسد طريق المعرفة والإدراك، وفي بعض الروايات أن النهي عن أداء الصلاة في حال سكر النوم وليس الخمرة.

والحكم في النهي عن شرب الخمرة مندرج في باب التسلسل والتدرج في منعها ترويضاً للنفس المعتادة على هذا الفعل حتى بلوغها الجزم في المنع والإقلاع، فقد تدرج حكم منعها في سورة النحل فالأعراف فالبقرة فسورة النساء ثم النهي الشديد في سورة المائدة.

قوله (حتى تعلموا ما تقولون) والجملة مقامها التعليل للنهي، أي: حتى تميزوا كلامكم وتعرفوا مقاصده، وذلك أن السكران لا يعي ما يقول فربما دعا على نفسه بدلاً من الدعاء لها.

قوله (ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا) العطف بمعنى: ولا تقربوا الصلاة وأنتم جنب، ثم أخرج من حكم النهي المسافرين الذين كنى عنهم

بعباري السبيل فلهم أن يؤدها بالتييم بصعيد التراب الطاهر، أما غير هذا الاستثناء فيجب الغسل قبل الأداء، والاعتسال مبالغة في الغسل.

قوله (وإن كنتم مرضى أو على سفر) الشرط لبيان حكم جديد، والمرضى جمع مريض وهو المعتل بعلّة يهيجها الماء، و(أو) للتقسيم، وقوله (على سفر) بمعنى: أو كنتم مسافرين، وحرف الجر (على) مجاز للاستعلاء، إذ كان المسافر مستعليا على مركوب كالإبل ونحوه أبدا للسفر.

قوله (أو جاء أحد منكم من الغائط) تقسيم آخر في بيان الحكم، أي: الذي أحدث حدثا، وعبر عنه بالمجيء من الغائط كناية عنه، لأنهم كانوا يقضون حاجاتهم في غائط من الأرض أي منحدر يستريحهم.

فالغائط اسم يقع على الحدث، لأن أصله ما انخفض من الأرض، وكانوا يتبرزون هناك ليغيبوا عن عيون الناس، ثم كثر ذلك حتى قالوا للحدث غائط، وهو كناية عما يخرج من البطن.

وقيل: إن (أو) ههنا بمعنى الواو كقوله سبحانه (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) [الصافات ١٤٧]، وذلك لأن المجيء من الغائط، ليس من جنس المرض والسفر، حتى يصح عطفه عليهما. كذا ذكر في المجمع. انتهى.

قوله (أو لامستم النساء) لمس النساء كناية عن الجماع، ويمكن أن يكون مجاز مرسل علاقته السببية، فالجماع سمي لمسا، لأن به يتوصل إلى الجماع، كما يسمى المطر سماء، والكناية من الأدب القرآني الحافظ للحياء الإنساني، وتعريف النساء للاستغراق.

قوله (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) الفاء لتفريع جملة نفي وجدان الماء للاغتسال مما ذكر، والفاء الثانية في فعل التيمم للجزاء، والجزاء حكمه للمرضى والمسافرين، وهو التيمم بصعيد التراب الطاهر في حال فقد الماء، والتيمم أصله القصد وبالأصطلاح الشرعي القصد إلى التراب الطاهر للتوضؤ به بحسب تفصيل الآية، والصعيد التراب الطاهر الصاعد من الأرض، ووصفه بالطيب نقيض الخبيث ويراد به الطاهر الذي لم يندس بالقاذورات.

قوله (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) الفاء للتعقيب، والمسح يكون باليد على ظاهر البشرة في الأماكن المحددة في الآية وهي الوجه والأيدي.

قوله (إن الله كان عفوا غفورا) الفصل تعليل للحكم، وهو أن معاني العفو والمغفرة لازمة لله تعالى لتفضله لا لأنه مقهور عليها تعالى عن ذلك علوا كبيرا، وكلا الاسمين يفيدان التكرير والمبالغة في العفو والغفران.

قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾

قوله (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) صيغة الاستفهام وفعل الرؤية المنفية من الاستعمالات القرآنية الجديدة الشائعة في الكتاب العزيز، ودلالته هنا الإنكار والتعجب من المنافقين، والخطاب للنبي ﷺ وعموم أمته، والإتيان بالإعطاء، والنصيب الحظ، و(من) للتبويض، وتعريف الكتاب للعهد

يراد به التوراة، والكلام عن علماء اليهود، أي: أعطوا حظا من العلم في التوراة، وهم أحبار اليهود.

قوله (يشترون الضلالة) جملة موقعها الصفة للضمير في (الذين) المشار إلى أحبار اليهود، وفعل الاشتراء استعارة، شبه الضلالة بشيء ثمين وحذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية وأشار إليه من لوازمه، فالشراء عادة لما هو نافع، لأنه يقتضي إبداله بما هو ثمين من المال المجهود به، أما اشتراء شيء ضار هو الضلالة فهذا مما يثير العجب ولا سيما حين يكون من مدعي العلم والعقل. أو يمكن أن يكون (يشترون) من الاستبدال: أي يستبدلون الضلالة بالهدى، ويكذبون النبي ﷺ بدلا من التصديق به، والمراد بالضلالة إضاعة طريق الصواب وليس الضلال الاصطلاحي وهو الكفر بالله لأنهم موحدون عموما.

وقيل: كانت اليهود تعطي أحبارها كثيرا من أموالهم، على ما كانوا يضعونه لهم، فجعل ذلك اشتراء منهم. وفعل البيع والشراء أصلها الاستبدال في المعاملات التجارية نحو قوله تعالى (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) [البقرة ٢٠٧]، وفي نهج البلاغة: أزمع الترحال عباد الله الأخيار، وباعوا قليلا من الدنيا لا يبقى بكثير من الآخرة لا يفنى، وقوله لجابر بن عبد الله الأنصاري: يا جابر قوام الدنيا بأربعة: عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم، وجواد لا ييخل بمعرفه، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه. انتهى.

قوله (ويريدون أن تضلوا السبيل) فعل الإرادة للإشارة إلى الرغبة الشديدة لعلماء اليهود في إضلال المؤمنين في إضاعة الصواب وارتدادهم عن سبيل الإسلام. وغالبا ما يستعمل لفظ السبيل فيما هو خير في التعبير القرآني بعكس لفظ الطريق الذي يستعمل لما يكره أو يخشن.

قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ (١٥)

قوله (والله أعلم بأعدائكم) الواو للعطف لاتصال الكلام، ولفظ الأعلم مبالغة في إطلاق العلم وليس من باب التفضيل، والأعداء المجاهرون بالعداوة والمحاربة لإيقاع الضرر بالآخر كناية عن اليهود والنصارى، والخطاب إلى عموم المؤمنين، لحثهم على طاعة الله ورسوله لتفويت الفرصة على الأعداء لأن الله أعلم بما أضمرُوا من حسد وعداوة ونفاق.

قوله (وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا) الكفاية الغناء، والباء للتعدية، والولاية النصر، وإظهار لفظ الجلالة في موقع الإضمار للتعظيم، والنصير الظهير، والآية متضمنة لمعنى التهديد لأعداء الإسلام والطمأنة للمسلمين، فمن يكن الله ناصره ينم قرير العين.

قوله تعالى ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ

وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِنْ لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾

قوله (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه) أي من بعض اليهود من يحرف الكلم عن مقاصده الصحيحة، وعبر عنهم بـ (الذين هادوا) لزمهم في الضمن، لأن ادعاء اليهودية قصدوا به التمسك بتعاليم التوراة ولا وجود لليهودية ولا النصرانية في الشرائع الإلهية وإنما هو الإسلام الحنيف دين إبراهيم، وجملة التحريف موقعها الحال، والتحريف تغيير اللفظ عن معناه الذي وضع له ويراد به تبديل كلمات الله وتغيير أحكامه، والكلم جمع للكلمة، فالصورة كناية عن تشويه الحقائق في كتبهم المبشرة بنبوة آخر الزمان.

قوله (ويقولون سمعنا وعصينا) أي: ويقولون مكان ذلك سمعنا كلامك أيها النبي ﷺ وعصينا أمرك في قلوبنا.

قوله (واسمع غير مسمع) أي: ويقول اليهود اسمع منا أيها النبي ﷺ، ثم يدعون عليه: لا أسمعك الله، وقد كان ذلك الفعل من اليهود مما يؤذون به النبي كثيراً.

قوله (وراعنا ليا بالسننهم) وهذا اللفظ من جملة ما آذى به اليهود النبي ﷺ فقد سمعوه من المسلمين يخاطبون به النبي يعنون به الإمهال كي يفهموا، ولكنهم حرفوه عن معناه إذ يعنون به السباب عند مخاطبة الرسول ﷺ، ولهذا وصف حياة قولهم بلفظ اللي وهو الفتل، والباء للملابسة واللسان مجاز

يراد به الكلام، وانتصب اللفظ على الحال أي: لاوين بألسنتهم، ولي اللسان كناية عن تحريف الكلام وليه، فلفظة (راعنا) مما يتسابون بها، ولما سمعوا المسلمين يطلبون من النبي ﷺ الإنظار في فهم أحكام القرآن فيقولون (راعنا يا رسول الله) افترصها المنافقون من اليهود ليخاطبوا النبي ﷺ بها ليا وتحريفا واستهزاء، لهذا فضح القرآن نفاقهم حين نهى الله المسلمين التخاطب بها فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا) [البقرة ١٠٤].

قوله (وطعنا في الدين) الطعن مجاز استعاري يراد به الوقعة في الدين، تجسيما له، وأصل الطعن بالرمح ونحوه، أما الطعن باللسان فهو مجاز، والجملة معطوفة حال ثانية بمعنى: طاعنين في الدين.

والكلام إخبار من الله عن اليهود الذين كانوا حوالى المدينة في عصر النبي ﷺ، لأنهم كانوا يسبونهم ويؤذونه بالسيئ من القول.

قوله (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرونا) الأداة (لو) تفيد الفرض، أي: لو أن اليهود قالوا سمعنا قولك أيها النبي وأطعنا أمرك واسمع منا وأمهلنا، أي: لو تكلموا ببراءة وتأدب مع النبي ﷺ لكان أنفع لهم.

قوله (لكن خيرا لهم وأقوم) اللام واقعة في جواب (لو)، أي: لكان ذلك أجدى وأنفع لهم وأصوب في الكلام.

قوله (ولكن لعنهم الله بكفرهم) الأداة (لكن) للاستدراك على جملة الفرض، وهو طردهم من رحمة الله بسبب كفرهم.

قوله (فلا يؤمنون إلا قليلا) الفاء للسبب، والإخبار بنفي إيمانهم بدعوة النبي ﷺ من جملة الإخبارات القرآنية بالتيئيس من إيمان اليهود إلا القلة القليلة منهم.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۝﴾

قوله (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم) النفات في الكلام من الغيبة إلى الخطاب ومقصود بهم اليهود لأثرهم التخريبي، وفائدته التهديد والوعيد، والإتيان باسم الموصول وصلته لتثوير رغبتهم للإيمان بالإسلام لأنهم يحبون أن يخاطبوا بالانتماء إلى كتابهم أي أعطوا علم الكتاب، بينما في قوله (الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) للتقليل من شأن علماء التحريف لاختلاف السياق، والأمر بفعل الإيمان بمعنى التصديق بالقرآن الكتاب المنزل المصدق لما معهم وهو كتاب التوراة في البشارة بالنبي ﷺ، وفعل الأمر متضمن معنى التهديد في حال مخالفته، وخص التوراة بالمعية لليهود لأنهم يصحبونه ظاهرا ولا يعلمونه حق علمه ولا يعملون به، بينما خص القرآن بفعل الإنزال المسند إلى نون الألوهية تعظيما لشأن القرآن.

قوله (من قبل أن نطمس وجوها) أي: استبقوا الإيمان قبل عقاب الله العاجل وهو طمس الوجوه، ويعني محو أثر هدايتها إلى أي صواب، والطمس العفو

والمحو، وتنكير الوجوه لإفادة الخصوصية والإبهام إشعاراً لهم بنفي الأمان من هذا العذاب البئيس.

قوله (فنردها على أدبارها) الفاء للتعقيب على جملة الطمس، والرد النكوص، والأدبار جمع دبر، والصورة كناية عن الخزي والقلب، أي: قلب صورتهم حتى تصير كالأقفية، فتكون عيونها في أقفيتها، فتمشي القهقري كلما قصدت بفطرتها طلب ما ينفعها.

قوله (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) تفيد (أو) الترديد، واللعن أصله الطرد من رحمة الله، بنسخ وجوههم البشرية إلى قردة خاسئين، والتشبيه للتذكير بحصول مثل ذلك الطمس وهم أصحاب السبت من اليهود في قوله تعالى (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبثون لا تأتيتهم) [الأعراف ١٦٣]، وقال تعالى (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها) [البقرة ٦٦]. قال السيد في الميزان: والفرق بين الوعيدين أن الأول أعني الطمس يوجب تغيير مقاصد المغضوب عليهم من غير تغيير الخلقة إلا في بعض كيفياتها، والثاني أعني اللعن كلعن أصحاب السبت يوجب تغيير المقصد بتغيير الخلقة الانسانية إلى خلقه حيوانية كالقردة. انتهى.

والالتفات في الكلام من خطاب الحضور إلى الغيبة نوع تصرف في الكلام أبلغ في التهديد الذي يراد به مما يراد منح فرصة مراجعة النفس في الاستجابة لفعل الإيمان.

قوله (وكان أمر الله مفعولا) أي: كان قضاء الله فيهم أمرا متحققا واقعا فيهم، فألقى بينهم العداوة والبغضاء وأضعف شوكتهم، فأدلهم الله زمن النبوة وإلى يوم القيامة، وكلما استعلوا ردوا أدلة خاسئين.

قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤٨﴾

قوله (إن الله لا يغفر أن يشرك به) مقام الآية التعليل لعقاب الطمس في الدنيا، وذلك لأن الله تعالى أنزل اليهود المنكرين للقرآن منزلة المشركين، لأن الشرك وإن لم يطلق على اليهود إلا أنه شامل لعموم الكفر، والله لا يغفر أن يشرك به.

قوله (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) أي: ينال عفوه ومغفرته من آمن بالله ورسوله وكتابه ولم يشرك به شيئا، ويقصد بالمغفرة هنا التجاوز الدنيوي بحسب تعلق الآية بما قبلها في كونها علة لعقاب الطمس، وهي لا تشبه من جهة الغاية قوله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) [النساء ١١٦]، قال الطباطبائي: فإن هذه الآية (آية ٤٨) تهدد بآثار الشرك الدنيوية وتلك آية ١١٦ تهدد بآثاره

الأخروية، وذلك بحسب الانطباق على المورد وإن كانتا بحسب الاطلاق
كلتاهما شاملتين لجميع الآثار. انتهى.

قوله (ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما) الشرط لبيان حكمه، وهو أن
الشرك افتراء على الله لأنه ادعاء على الله تعالى وكذب.

وهذه الآية الكريمة من أرجى الآيات للعبد، نقل في المجمع عن ابن عباس
أنه قال: ثمانى آيات نزلت في سورة النساء خير لهذه الأمة مما طلعت عليه
الشمس وغربت، قوله سبحانه: (يريد الله ليبين لكم)، و (يريد الله أن يخفف
عنكم)، (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه)، (إن الله لا يظلم مثقال ذرة)، (ومن
يعمل سوءا أو يظلم نفسه يجز به)، (إن الله لا يغفر أن يشرك به)، في
الموضعين، (ما يفعل الله بعذابكم). انتهى. واستقصاء سبب نزول الآية في
وحشي وأصحابه مما لا طائل فيه، ولا سيما مع النظر إلى زعم مراجعة النبي
ﷺ له.

قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا
يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ ﴿٤٩﴾

قوله (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم) صيغة ألم تر بمعنى: ألم ينته علمك
إليهم، أو ألم تعلم، فالرؤية بمعنى العلم لا البصر، والخطاب يصلح للعموم،
والاستفهام يفيد الإنكار والتوبيخ، والمخبر عنهم في ضمير الموصول اليهود
لأنهم نزهوا أنفسهم بتمييزها عن باقي الأمم فادعوا الكذب على الله بأنهم

أبناء الأنبياء وأنهم مغفور لهم لأنهم أحبباء الله، ولا ريب في أن زعمهم نوع تكبر منهم على الآخرين وهو سبب استكبارهم عن الخضوع للحق لأنه تحول من خلق فردي إلى سمة قومية لليهود، قال السيد في الميزان: وأما إذا تعدى الفرد وصار خلقا اجتماعيا وسيرة قومية فهو الخطر الذي فيه هلاك النوع وفساد الأرض وهو الذي يحكيه تعالى عن اليهود إذ قالوا (ليس علينا في الأميين سبيل) [آل عمران ٧٥]. انتهى.

قوله (بل الله يزكي من يشاء) الكلام إضراب عن زعم اليهود لأنفسهم وإثبات حكم ذلك بالله تعالى فهو وحده من يملك حق ذلك، فله الفضل ومنه يصدر كل خير وإن تلبست بعض النفوس بالفضيلة واستحقت المدح إلا أنها لم تنل ذلك باستقلال من دونه تعالى، والكلام مقامه التعليل للاستفهام الإنكاري المتقدم.

قوله (ولا يظلمون فتىلا) العطف والنفي مضمونه الوعيد بتعذيبهم على افترائهم، ونفي أدنى الظلم بمعنى إن الله لا يظلم كثيرا ولا قليلا لأن الظلم لا يجوز عليه سبحانه فهو مستغن عنه، والظلم يحتاجه الناقص، والفتيل المفتول ومعناه اللي وهو ما يكون من شق في بطن النواة، يضرب به المثل لأدنى قيمة الشيء.

قوله تعالى ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا



قوله (انظر كيف يفترون على الله الكذب) الخطاب للنبي ﷺ، والأمر بفعل النظر مجاز في معنى العلم، والفرق بين النظر والرؤية يتعلق بأصل الاستعمال، قال في المجمع عن الفرق بينهما: أن الرؤية هي إدراك المرئي، والنظر: الإقبال بالبصر نحو المرئي، ولذلك قد ينظر ولا يراه، ولذلك يجوز أن يقال لله تعالى إنه راء، ولا يجوز أن يقاد إنه ناظر. انتهى.

والاستفهام بـ (كيف) للتعجيب والاستغراب، واقتراؤهم على الله هو ادعاؤهم تزكية أنفسهم حين زعموا أنهم أحباء الله وليس عليهم من ذنب، وكنت عنهم بما فعلوا ولم تصرح بهم إنكارا لفعلهم، ولفظ الكذب بعد فعل الافتراء للتأكيد، كما يقال: حمدتك شكرا.

قوله (وكفى به إثما مبينا) فعل الكفاية أصله الاستغناء بمعنى: ليس يحتاج إلى حال أعظم من وزر الافتراء على الله إثما، والنصب على التمييز، ووصفه بالإبانة لظهوره وأنه مما لا شك فيه.

قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَبَتِ
وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا
سَبِيلًا ۚ ﴾

قوله (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) أي: ألم تعلم يا محمد ببعض علماء السوء من اليهود ممن أعطوا حظا من علم التوراة، وهم مجموعة من يهود المدينة رأسهم كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب، وسلام بن أبي

الحقيق تنازلوا عن توحيدهم لأجل التحالف مع مشركي مكة ضد الإسلام، ولفظ النصيب بمعنى الحظ، وحرف الجر (من) للتبعيض، وفائدة اسم الموصول وصلته بصفة العلم بشيء من التوراة من دون التصريح بهم حتى يكون أوقع في ذمهم وتأنيبهم.

قوله (يؤمنون بالجبب والطاغوت) دلالة مضارع فعل الإيمان استحضار الحالة، والجبب لفظ لا اشتقاق له يراد به الأصنام، والطاغوت أولياء الأصنام وهم ترجمانه من عتاة المشركين، وقيل إنهما صنمان سجد لهما اليهود توددا لمشركي مكة للتحالف معهم، والحادثة بعد وقعة أحد.

قوله (ويقولون للذين كفروا) أي: اليهود المتحالفون مع رؤوس الكفر في مكة، واللام المقترن باسم الموصول للعلة لا للتعدية بمعنى: قولهم لأجل الكافرين.

قوله (هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) لفظ الإشارة للقريب أي: هؤلاء المشركون سبيلهم أهدى من المؤمنين، وفي ذلك تخل حتى عن أصل الشريعة القائمة على التوحيد، لأن سبيل المشركين الشرك والكفر وسبيل المؤمنين التوحيد، والكلام على حكاية قول اليهود بالمعنى، لأنهم قالوا للمشركين: أنتم أهدى من محمد وأتباعه، ولفظ السبيل استعارة تصريحية للدين، فالصفة الجامعة بينهما هي الاستمرار في التأدية إلى الهدف المقصود.

قوله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ ﴿٥٢﴾

قوله (أولئك الذين لعنهم الله) لفظ الإشارة لتمييز المذكورين من اليهود وإحضار صورتهم في الذهن وجدارتهم بالحكم وهو الطرد من رحمة الله، وتأکید اللعن حصل بأسلوبين أحدهما دلالاته المضي والثبوت دلالة على عقابهم باللعن في الدنيا، والثاني دلالاته المستقبل إبعاد لهم بالإبعاد من رحمة الله يوم القيامة.

قوله (ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا) الإتيان بأسلوب الشرط لبيان حكم جوابه، وهو الوعيد لهم بالعذاب الواقع فيهم الذي لا يمنعه عنهم أحد.

قوله تعالى ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾ ﴿٥٣﴾

قوله (أم لهم نصيب من الملك) باتصال سياق الكلام مع سابقه (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا) وما بعده يترجح أن تكون (أم) متصلة بمعنى: ألهم نصيب من الكتاب أم لهم نصيب من الملك أم يحسدون الناس؟ والاستفهام المتضمن بعد أم للإنكاري، والكلام كناية عن الحكم، واليهود قديما وحديثا ما فتئت تمنى نفسها بعودة الملك إليها.

قوله (فإذا لا يؤتون الناس نقيرا) الفاء للعطف على (لهم نصيب)، وتفيد (إذن) الجزاء، والاستفهام داخل على مجموع الجملة وجزائها، وتقدير الكلام: لا يعطون الناس شيئا في حال ثبوت الحكم والملك لهم، والنقير ما ينقره الطائر بمنقاره ويأخذه مثل يضرب للقلة مر مثله في قوله تعالى (ولا يظلمون فتيلا)، ويراد به الكناية عن البخل، فكأنهم لو ملكوا الدنيا لا يعطون الناس

قليلا أو كثيرا، وهما أدم صفتين وسم بهما اليهود، ولذلك خصتهما الآية بالذكر.

قوله تعالى ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ۝٥٤﴾

قوله (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) واتصال الكلام بمعنى: أم هل يحسدون الناس، لأن الاستفهام يقدر في (أم) المتصلة، والإخبار عن اليهود، ولفظ الناس إشارة إلى النبي ﷺ تعظيما لاصطفائه بالنبوة التي أشير إليها بلفظ الفضل بدلالة ما بعد ذكر آل إبراهيم بالاصطفاء، وحرف الجر (على) بمعنى السبب، وإتيان الله عطاؤه، و(من) ابتدائية.

والحسد من إفراط البخل، لأن البخل منع النعمة لمشقة بذلها، وأصله تمنى زوالها من صاحبها وأخذها، وهو صفة جامعة لمساوي العيوب. كما ذكر في نهج البلاغة. انتهى. إذ ما من عيب إلا وأصله الشح.

قوله (فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة) الفاء للعطف ردا على الإنكار المقدر في الاستفهام. وإعطاء الله آل إبراهيم الكتاب والحكمة بمعنى إنزاله الكتب السماوية واصطفائهم بالنبوة من نسل إبراهيم وخاصة ذريته، لذلك جاء تأكيد الامتداد النبوي الواحد في الفضل والنبوة، فالنبي ﷺ من سلالة واحدة من نسل إبراهيم من جهة إسماعيل عليهما السلام، فالمراد بذكر آل إبراهيم إسحاق وإسماعيل وصولا إلى النبي ﷺ المحسود من اليهود، وليس

المراد بآل إبراهيم نسل بني إسرائيل لأن في ذلك فسادا للمعنى، وفي ذلك رد على من أنكر فضل نبوة محمد ﷺ وخصوصياتها من اليهود في قولهم المحكي (هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا).

قوله (وآتيناهم ملكا عظيما) عطف على ما قبله تأكيد إعطاء الله لآل إبراهيم النبوة والولاية على الناس الذي أشار إليه بالملك العظيم.

قوله تعالى ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِءَ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۝٥٥﴾



قوله (فمنهم من آمن به) الفاء للتفريع على جملة الإتيان، و(من) للتبعية، وضمير جمع الغائبين عائد إلى أمة اليهود، والإيمان التصديق والهاء في (به) عائد إلى النبي محمد ﷺ.

قوله (ومنهم من صد عنه) العطف بمعنى: ومنهم من لم يؤمن به، فعبر عنه بالصد لأنهم لم يكتفوا بالإعراض عن رسالة التوحيد بل بالغوا في تكذيبها والوقوف بوجهها وتأليب الكافرين عليها.

قوله (وكفى بجهنم سعيرا) الكفاية الاستغناء بالشيء عن الشيء، أي: لا عذاب يحتاجون إليه يوم القيامة كجهنم سعيرا، والسعير إيقاد النار، ونصبها على التمييز، والكلام تهكم بهم.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٥٦﴾



قوله (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا) الكلام مقامه التعليل لكفاية جهنم في أمرهم. والكفر بآيات الله جحودها وإنكارها، وآيات الله معجزاته ودلائل توحيده الواضحة، وعلق صليهم بالنار بالمستقبل للإشارة إلى سوء منقلبهم يوم القيامة.

قوله (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) نضج الجلود كناية عن صليها وشوائها بالنار، والجلود جمع جلد وهي البشرة التي تغطي لحم الإنسان، وتبديلها بتغييرها بعد النضج، والكلام كناية عن استمرار الإحساس بألم النار كأنه لأول مرة، لاختصاص الجلد بحاسة اللمس.

فالصورة من صور شدة النار تبقي على المادة وتغير الهيئة بدلالة فعل التبديل، أي: تبديل الجلد كلما احترق من صلي النار لأنه مادة احترقه، فيبذل لإرجاع إحساسه وإيصال الألم لصاحبه.

قوله (ليذوقوا العذاب) جملة تعليل لتبديل الجلود وهو استمرار تجدد ألم العذاب فكأنه مبتدأ في كل مرة، لأن من يستمر في العذاب يخف عليه الإحساس بألمه، وفعل الذوق أصله الإحساس باللسان إلا أن كثرة استعماله أصبح يطلق على ما ينزل بالإنسان من مكروه كالعذاب ونحوه.

قوله (إن الله كان عزيزا حكيما) فصل الكلام لتعليل ما سبق وهو كون الله تعالى عزيزا لا يمانع في عزه ولا يدافع في سلطانه، وحكيما في تدبيره وعقوبته للكافرين.

قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ۝٥٧﴾



قوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار) الكلام لعطف الوعد للمؤمنين على الوعيد للكافرين، ويراد بالإيمان الإيمان بالله وسوله وكتبه، وعمل الصالحات عمل الأعمال الموصوفة بالصلاح، وتعليق إدخال المؤمنين الجنات الموصوفة بكثرة أنهارها وأشجارها على المستقبل بدلالة السين للإشارة إلى المجازاة يوم القيامة، والكلام في مقابلة صورة مجازاة الكافرين.

وتصوير المكان الذي يكافأ به المؤمنون على طاعتهم بكل أشكال الحياة والديمومة والنعمية من الصور القرآنية المكرورة لعالم الغيب، وأصل الجنات البساتين التي تضم أشجارا كثيفة فكأنها تجن ما تحتها أي تسترهم وتظلمهم، وهذه الأشجار المتكاثفة تحيط بها المياه من تحتها ومن كل جانب لديمومة الحياة فيها وضمان لون اخضرارها، ولشدة كثرتها ووفورها كأنها تجري بأمكنتها، وتأکید جري المياه في الأنهار لأنها تكون حينئذ أكثر صفاء

وأبقى عنصرا وأكثر حياة فيما لو كانت المياه الراكدة، واستعمال لفظ الأنهار لتضمنه معنى المياه العذبة النقية وخلوه مما يفسد اخضرار الشجر، وهي بعد من جموع الكثرة للمبالغة في إسباغ الحياة على الجنة وكثرة اشتغالها على فروع الكثرة، وهذا المشهد المتكامل في عناصر الجمال لا يشبه مشاهد الدنيا أبداً لأنه دائم في كل تفاصيله، في وفرة مائه وخضرة نباته، وفوق ذلك هو هدية الله لأحبابه، ولم أر أحدا فصلّ الكلام في صفة الجنة كعلي عليه السلام منطلقاً من الفهم العميق للصور القرآنية الكثيرة لموضوعات الجنة نحو قوله في نهج البلاغة: فلو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصف لك منها لعزفت نفسك عن بدائع ما أخرج إلى الدنيا من شهواتها ولذاتها وزخارف مناظرها، ولذهلت بالفكر في اصطفاق أشجار غيبت عروقها في كثبان المسك على سواحل أنهارها، وفي تعليق كبائس اللؤلؤ الرطب في عساليجها وأفنانها، وطلوع تلك الثمار مختلفة في غلف أكمامها، تحنى من غير تكلف فتأتي على منية مجتنيها، ويطاف على نزالها في أفنية قصورها بالأعسال المصفقة، والخمور المروقة، قوم لم تزل الكرامة تتماذى بهم حتى حلوا دار القرار، وأمنوا نقلة الأسفار، فلو شغلت قلبك أيها المستمع بالوصول إلى ما يهجم عليك من تلك المناظر المونقة لزهقت نفسك شوقاً إليها، ولتحملت من مجلسي هذا إلى مجاورة أهل القبور استعجالاً بها. انتهى.

قوله (خالدين فيها أبداً) النصب على الحال، والخلود دوام البقاء منعمين في جنة الله والتأبيد مبالغة للتأكيد، وفي ذلك تمام المكافأة للمؤمنين وطمأنة

نفوسهم في مخاطبتهم لأن هاجس فقدان النعمة مما يورق الإنسان في حياته الدنيا.

قوله (لهم فيها أزواج مطهرة) تقديم الظرف (لهم) للقصر، أي لهم دون غيرهم، وفيها: أي في الجنة، والأزواج المطهرة النساء المنزهات عما يشينهم من عيوب الأخلاق والجسد.

قوله (وندخلهم ظلا ظليلا) أي: ندخل المؤمنين يوم القيامة سترا كنيانا دائما يقي من الحر والبرد لا يشبه ظل الدنيا الزائل، إحياء بزيادة الاطمئنان.

قوله تعالى ﴿ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾

قوله (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) العدول في الكلام إلى الخطاب، وإطلاق حكم أداء الأمانة دون تخصيصها، وموقع الآية في سياق إنكار اليهود لمبعث النبي ﷺ، وقولهم مؤثرين الوثنية على التوحيد، كل ذلك يدخل حكم أداء الأمانات المعنوية إلى جانب الأمانات المادية، وأداء الأمانة إيصالها إلى أهلها وأصحابها، أو يراد بلفظ الأهل ولادة الأمر القائمون على شؤون الرعية، وعلى هذا فإن ما قيل من أن الآية أمرة للنبي ﷺ برد مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة لا يقصر الحكم عليه بل يكون على عمومه.

قوله (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) خطاب عام لجميع المكلفين بالقضاء بين الناس بالعدل والسوية للقائمين على الأمر من الحكام وغيرهم، ويدخل فيه التعريض بحكم اليهود بتفضيل الوثنية على التوحيد مع أنهم أوتوا نصيباً من الكتاب.

قوله (إن الله نعماً يعظكم به) الكلام ثناء منه تعالى على الوعظ برد الأمانة والنهي عن الخيانة لأنه من جملة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر القائم عليهما معنى الوعظ.

قوله (إن الله كان سمياً بصيراً) قطع الكلام لأنه تعليل للأمر بأداء الأمانات متضمن معنى التهديد، والتعبير بمضي الكون يراد به الثبوت بمعنى كان ولم يزل، والسميع البصير صيغ مشبهة بالفعل تفيد الثبوت وهما من أسماء الله العلى كناية عن العلم والإدراك لجميع المسموعات والمبصرات، لأن من يسمع ويرى يعلم فهما أهم منافذ العلم. وهما من الصيغ الثابتة الصفة المشبهة للفعل.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) تكرار أمر فعل الطاعة، وإفراد الأمر بطاعة الرسول مع أنه داخل في طاعة الله لتأكيد دفع

توهم عدم وجوب لزوم ما ليس في القرآن من الأوامر، لأن سنة الرسول واجب الأخذ بها. ونظيره قوله تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله).

وقوله (وأولي الأمر) كناية عن يلون شؤون الناس ويقومون على تدبيرها بالعدل والنصفة وسداد الرأي والعالمين بعمق الشريعة ووعي تطبيقها، وهذه صفات تنطبق على الأئمة من آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين لتصح دخول طاعتهم مع طاعة الله ورسوله عقلا، وإلا كيف يأمر الله بطاعة من يعصيه من الأمراء والحكام المتسلطين على رقاب الناس عبر التاريخ، فقد جمعت طاعتهم صلوات الله عليهم بواو العطف إلى إطاعة الرسول ﷺ، لأن العصمة واحدة وإن تقدمت عصمة الرسول عليهم.

قوله (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) الفاء للتفريع، والتنازع الاختلاف والخطاب إلى أمة النبي ﷺ من عموم المسلمين، و(في) للظرفية المجازية، ولفظ الشيء لعموم الأشياء الموجبة للاختلاف في الدين لأن الاختلاف في غيره من أمور الدنيا من سنة الناس، والفاء في فعل الرد واقعة في جواب (إن) الشرطية، والرد يراد به إرجاع الأمر الذي سبب التنازع إلى حكم الله في كتابه، وإلى الرسول في سنته. ويدخل الأئمة المعصومون في جملة الرجوع إليهم لأنهم الامتداد النبوي الشريف الأمثل في الاستنباط من الشريعة الغراء.

قوله (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) الشرط لتعليق الإيمان على الرجوع في أي اختلاف إلى الثوابت القرآنية والنبوية لغلق باب الأمزجة في التأويلات.

قوله (ذلك خير وأحسن تأويلاً) فصل الكلام ولم يصله لأنه علة للأمر، وعلة بأنه أفضل للأمة وأحفظ لوحدة المجتمع، وأحسن لما خفي من مصلحتها.

قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ۚ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ ﴿٦٠﴾

قوله (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) الاستفهام للإنكار والاستغراب والخطاب للنبي ﷺ خاصة لكشف أفعال المنافقين. والزعم الادعاء دون دليل، والإيمان التصديق، وما أنزل إلى النبي هو القرآن، وما أنزل من قبله هو التوراة والإنجيل، والإنزال مجاز في تبليغ الآيات من مقام العلو والرفعة الإلهية.

قوله (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت) فعل الإرادة رغبة قلبية دلالة على حب المنافقين لفعل الاحتكام إلى الطاغوت، والاحتكام الرجوع للفصل في أمر التنازع، والطاغوت مبالغة في الطغيان وهو من إحلال الصفة محل الموصوف فقد قيل في سبب النزول إنه اختصم رجلان يهودي، وآخر منافق، فاقترح اليهودي التحاكم إلى محمد ﷺ، لعلمه بعدله وترفعه عن قبول

الرشوة، فقال المنافق: لا بل بيني وبينك كعب بن الأشرف، لأنه علم أنه يأخذ الرشوة.

وقيل المعني به كل من يتحاكم إليه ممن يحكم بغير الحق، وهو المروي عن الباقر والصادق عليهما السلام. كذا جاء في المجمع. انتهى. والآية بيان لقوله تعالى الأنف (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) لذلك ابتدأت الآية بالاستفهام التعجبي.

قوله (وقد أمروا أن يكفروا به) الواو للحال، والأمر يراد به - والله أعلم - ما جاء في كتابه تعالى بكفر تحاكم المسلمين إلى الطاغوت كقوله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) [البقرة ٢٥٦].

قوله (ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا) إرادة الشيطان مجاز في رغبته وقوة عزمه على إضلال الناس، والإضلال إرجاعهم إلى الكفر بعد الإيمان، واشتقاق المصدر من فعله على المفعولية للتأكيد، ووصفه بالبعد مع أنه وصف للأعيان، لدلالته في شدة التباين، أي: ضلالا لا يمكن تبيينه.

قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۝٦١﴾

قوله (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول) الشرط لتبيين حال المنافقين، حين يدعوهم المسلمون إلى الرجوع إلى أحكام القرآن وحكم

الرسول، والأمر (تعال) من العلو بمعنى أقبل، أي: ارتفع إلي، والأمر به في الخطاب من أجمل تجليات اللغة في التأدب والتلطف، ودلالة التكنية عن القرآن بالإنزال من الله للتعظيم وتعزيز الحجة، فهي هنا أبلغ من التصريح، والرسول مصدر بمعنى المفعول وهو الحامل لرسالة التبليغ عن الله. وتعريفه للعهد.

قوله (رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) فعل الرؤية جواب الشرط للبصر لظهور الإنكار من المنافقين، والخطاب فيه للنبي ﷺ، والصد الإعراض، ودلالة اشتقاق المفعول المطلق منه النفور الشديد، قال في الميزان: إنما خص الرسول بالإعراض مع أن الذي دعوا إليه هو الكتاب والرسول معا لا الرسول وحده لأن الأسف إنما هو من فعل الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل الله فهم ليسوا بكافرين حتى يتجاهروا بالإعراض عن كتاب الله بل منافقون بالحقيقة يتظاهرون بالإيمان بما أنزل الله لكنهم يعرضون عن رسوله. انتهى.

قوله تعالى ﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّ أَرْدْنَا إِلَّا إِحْسَنًا وَتَوْفِيقًا ﴾

قوله (فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم) الفاء للتفريع، واسم الاستفهام للإنكار والتعجيب بمعنى: كيف صنيع هؤلاء، والمصيبة التي تصيبهم إشارة إلى ما ينالهم من عقوبة الله، بسبب أعمالهم وسوء نفاقهم.

قوله (ثم جاءوك يحلفون بالله) تفيد (ثم) التراخي الرتبي، والخطاب للنبي ﷺ في مجيء المنافقين مقسمين بالله.

قوله (إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا) الفصل للحكاية عن قول المنافقين. والنفي والاستثناء دال على شدة إرادتهم في زعمهم، والمعنى: ما أردنا بفعل التحاكم إلى غيرك إلا التماس تخفيف ثقل الخصومة عنك من رفع الصوت وخشونة المجادلة، وطلبنا التوفيق والجمع بين المختلفين.

قال في المجمع: وقيل إن المعني بالآية عبد الله بن أبي. والمصيبة: ما أصابه من الذل برجعتهم من غزوة بني المصطلق، وهي غزوة المريسيع، حين نزلت سورة المنافقين، فاضطر إلى الخشوع والاعتذار، أو مصيبة الموت لما تضرع إلى رسول الله في الإقالة والاستغفار واستوهبه ثوبه، ليتقي به النار، يقولون: ما أردنا بالكلام بين الفريقين المتنازعين بني المصطلق. انتهى.

قوله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ ﴿٦٢﴾

قوله (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) لفظ الإشارة لاستحضار حال المنافقين الذين تقدم ذكرهم، والإتيان باسم الموصول وصلته دون التصريح باسم المنافقين للتهديد والوعيد بأن كتمان ما يضمرون من نفاق لا يغني عنهم

من العقاب شيئاً لأن الله عالم به، والإبهام في (ما) لتهويل التلميح لما في قلوبهم من الشرك، والنفاق، والخيانة.

قوله (فأعرض عنهم وعظهم) الفاء للتعقيب، والأمر للنبي ﷺ كناية عن تركهم بعدم معاقبتهم على فعلهم في التحاكم إلى الطاغوت، والوعظ النصيح متضمن معنى الوعد والوعيد.

قوله (وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً) أي: قل لهم قولاً بليغاً في شأن أنفسهم، وتقدم الظرف (في أنفسهم) للاهتمام، وحرف الجر للظرفية المجازية جعلت أنفسهم مظروفاً للقول، ويجوز أن يكون العامل فيها (قل لهم)، أو قوله (بليغاً)، وانتصب لفظ القول على المفعولية المطلقة للنوعية، ووصفه بالبليغ لأنه يراد به القول الموصل إلى الأفهام والمؤثر في القلوب بأوضح بيان وأخصر طريق لتحذيرهم من دسائسهم وتخويفهم عواقب نفاقهم، قال في التبيان: وفي الآية دلالة على فضل البلاغة، وأنها أحد أقسام الحكمة، لما فيها من بلوغ المعنى الذي يحتاج إلى التفسير باللفظ الوجيز، مع حسن الترتيب. انتهى.

قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ ﴿٦٤﴾

قوله (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) مقام الآية الرد على المنافقين في كل ما تقدم من فصل طاعة الله عن طاعة النبي ﷺ، والتحاكم إلى غيره، فهم كانوا يموهون على الناس بحجة أن الرسول بشر ويبدون الشك كلما عزم على أمر يقول قائلهم: أباأمر من الله أم منك، ومن هنا جاءت الآية عامة في مبدأ علة بعثة عموم الرسل وهي وجوب طاعتهم من دون قيد أو شرط، وأكدها بأنها بعلم الله.

قوله (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك) تفيد (لو) الفرض، و(إذ) للظرفية بمعنى: وقت ظلمهم أنفسهم في نفاقهم وفي التحاكم إلى الطاغوت، وظلم أنفسهم مجاز لأن عائد ما فعلوا من سوء عقابه على أنفسهم، ومعنى (جاءوك) أبلغوك أيها النبي ﷺ بفعلتهم نادمين.

قوله (فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول) الفاء للتفريع، والاستغفار طلب المغفرة من الله ندما وتوبة، وإعادة استغفار الرسول لهم لبيان تعظيم دعاء الرسول عند ربه، ففي الكلام تعريض بالمنافقين المتحاكمين إلى غيره، واللام في (لهم) للغاية بمعنى: لأجلهم، وفي الكلام التفات من خطاب الحضور للنبي ﷺ في (جاءوك) إلى الغيبة في لفظ الرسول، فلم يقل: جاءوك فاستغفروا الله واستغفرت لهم، لإفادة تعظيم شأن الرسالة، ودهشة السامع بتطرية أسماعه.

قوله (لوجدوا الله توابا رحيمًا) اللام في (لوجدوا) واقعة في جواب (لو) الافتراضية، وفعل الوجدان للعلم والإدراك، والتصريح بلفظ الجلالة للتعظيم

من باب وضع الظاهر موضع المضمّر، والتواب الرحيم صيغ مبالغة تفيد التكثير في قبول توبة المذنبين ورحمته بهم.

قوله تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ٦٥



قوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) الفاء للتفريع على قوله تعالى (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا)، والنفي بـ (لا) بمعنى: فليس الإيمان كما يزعمون مع محاكمتهم إلى الطاغون وإنما الإيمان التزام بطاعة الله وطاعة رسوله، والكلام غير مختص بالمنافقين بل الحكم شامل لغيرهم من عموم المسلمين، والواو في (وربك) للقسم والخطاب للنبي ﷺ للعناية، والقسم لتأكيد تعليق الإيمان بالله وسوله بالرجوع إلى حكم النبي فيما يختلفون فيه ويتنازعون، وفعل الشجر والشجور أصله الخلط، استعارة لتداخل كلام المتشاجرين المختلط بعضه في بعض كتداخل الشجر بالتفافه.

قوله (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت) تفيد (ثم) التراخي الرتبي في الكلام، لأن نفي ضيق صدورهم مترتب على حكم النبي ﷺ فيما تنازعوا فيه، ونفي الوجدان يراد به الشعور، و(في) للظرفية المجازية، والخرج الضيق الشديد وتنكيره للعموم، و(مما) مكونة من (من) الابتدائية، و(ما)

المصدرية، بمعنى: من قضائك، وهو حكم النبي ﷺ والفصل بين المتنازعين.

قوله (ويسلموا تسليما) أي: يطيعوا لك طاعة، والتسليم الانقياد واشتقاق المفعول منه للتأكيد.

قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثِيْتًا ۖ﴾

قوله (ولو أنا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم) تفيد (لو) الافتراض، والنون في حرف النسخ للعظمة، وكتابة الله قضاؤه وحكمه، وحرف الجر في (عليهم) للاستعلاء والتمكن، وضمير جمع الغائبين عائد إلى المذكورين من المنافقين وأمثالهم، والفرض بأمر الله بقتل أنفسهم أمر بالعقوبة كما أوجبت من قبل على قوم موسى، تشديدا للعقوبة على عصيانهم نبيهم، فقتلوا أنفسهم، وخرجوا إلى النية.

قوله (أو اخرجوا من دياركم) تفيد (أو) الترديد، والأمر بالخروج من الديار يراد به الخروج مما ألفوه من حياة الاستكانة والراحة في أوطانهم للحرب ومجاهدة الأعداء، وكلا الأمرين قتل النفس والخروج من الأوطان كناية عن التكاليف الشاقة التي يمتحن فيها المرء عند الطاعة والاستجابة.

قوله (ما فعلوه إلا قليل منهم) النفي بـ (ما) لإطلاق نفي الاستجابة للأمر لمشقته، والاستثناء لإخراج قلة المخلصين المطيعين من النفي في قوله (ما فعلوه) ولدفع توهم نفي وجود المؤمنين حقا بالله ورسوله.

قوله (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم) جملة افتراض ثانية توحى بأن ذلك الفرض من النصائح التي تحقق لهم سعادتهم، قال في الميزان: في تبديل الكتابة في قوله (ولو أنا كتبنا عليهم) بالوعظ في قوله (ما يوعظون به) إشارة إلى أن هذه الأحكام الظاهرة في صورة الامر والفرض ليست إلا إشارات إلى ما فيه صلاحهم. انتهى.

قوله (وأشد تثبيتا) كناية عن البصيرة في الدين، لأن المتبصر في شؤون دينه أدعى إلى الثبات عليه وأقوى وأمنع لهم من الضلال، وأبعد من الشبهات. وفي الدعاء: اللهم ثبتنا على دينك، ومعناه: ألطف لنا ما نثبت معه عليه.

قوله تعالى ﴿وَإِذَا لَآتَيْنَهُمْ مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۖ﴾

قوله (وإذا لآتيناهم) الواو للعطف على قوله (لكن خيرا لهم)، والأداة (إذا) حرف جزاء. والمعنى: ولأعطيناهم.

قوله (من لدنا أجرا عظيما) والتأكيد في (من لدنا) لتعظيم الثواب وأنه لا يقدر عليه غيره، وليدل على الاختصاص، فإن الأجر يجوز أن يصل إلى المثاب على يد، ووصف الأجر بالعظم لكثرتة التي لا تحصى، و(من) ابتدائية.

قوله تعالى ﴿ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ ﴿٦٨﴾

العطف لاتصال الكلام، والهداية بمعنى إصابة طريق الهدى مع الثبات عليه، وسماه بالصرط المستقيم لخصوصيته المؤدية إلى النجاة، وهو من التراكيب القرآنية البديعة في وصف نوعية الاهتداء، فهو هداية خاصة ثابتة مضمونة العواقب.

قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾

﴿٦٩﴾

قوله (ومن يطع الله والرسول) علقت الآية الوعد الحسن على الجمع بين طاعتي الله ورسوله مع أنه في الآية السابقة أفرد طاعة الرسول بالذكر، وعلله السيد في الميزان بتخلل ذكره تعالى بينها في قوله (ولو أنا كتبنا عليهم).

قوله (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) الفاء واقعة في الجزاء، ولفظ الإشارة للتنويه بأنهم جديرون بالحكم في جواب الشرط، والمعية مجاز في الصحبة والرفقة بدليل قوله بعدها (وحسن أولئك رفيقا)، وإنعام الله تفضله عليهم بالاصطفاء وكرامة النبوة ومنزلة القرب، والكلام ترغيب للمؤمنين بالعمل على تمام طاعة الله ورسوله.

قوله (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) حرف الجر (من) ابتدائية، وتعداد المنعم عليهم جرى بحسب المنزلة والترتيب، فالنبيون هم أصحاب الوحي، والصديقون مبالغة في انطباق صدق القول على العمل، والشهداء جمع شهيد ويراد الشهداء على الأعمال لكرامتهم عند الله وليس المراد المقتولين في سبيل الله، والصالحون الأزكياء الأنقياء من أهل الكرامة.

ومعية المصاحبة الكريمة مع أحباء الله من خلقه مما ذكر في المنزلة والجنة، لأن رفقتهم محل الرحمة والفضل، ولم تقف الآية على التكنية والإبهام في المنعم عليهم في الجنة بل فصلت الكلام حبا ببيان هذه الصحبة، فقال (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) لدفع توهم أن علو منزلة المذكورين يمنع من زيارتهم وصحبته، وقد قيل في مناسبة الآية إن رجلا من الأنصار جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما أستطيع فراقك، وإني لأدخل منزلي فأذكرك، فأترك ضيعتي وأقبل حتى أنظر إليك حبا لك، فذكرت إذا كان يوم القيامة فأدخلت الجنة، فرفعت في أعلى عليين فكيف لي بك يا نبي الله؟ فنزلت الآية ودعا النبي ﷺ الرجل فقرأها عليه وبشره بذلك. كذا ذكر في الدر وأمالى الشيخ. انتهى بتصرف.

قوله (وحسن أولئك رفيقا) جملة تعجب ومدح لما عد من المنعم عليهم، وهي طيب رفقتهم بمعنى: فأحسن بهم من رفيق، أو فما أحسنهم من رفيق، ولفظ الإشارة لإحضار صورتهم كأنها مشاهدة لحسن سيرتهم.

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام: المؤمن مؤمنان: مؤمن وفي الله بشروطه، التي اشترطها عليه، فذلك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا، وذلك ممن يشفع ولا يشفع له، وذلك ممن لا يصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة، ومؤمن زلت به قدم، فذلك كخامة الزرع كيفما كفأته الريح انكفاً، وذلك ممن يصيبه أهوال الدنيا وأهوال الآخرة، ويشفع له وهو على خير. انتهى.

وفي المجمع: روي عن الصادق عليه السلام أنه قال لأبي بصير: يا أبا محمد، لقد ذكركم الله في كتابه، ثم تلا هذه الآية وقال: فالنبي رسول الله ﷺ ونحن الصديقون، والشهداء، وأنتم الصالحون فتسموا بالصلاح كما سماكم الله تعالى. انتهى.

قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ أَفْضَلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عِلِمًا ۖ ﴾

قوله (ذلك الفضل من الله) اسم الإشارة وتعريف الفضل لتعظيم تلك الصحبة المذكورة، والفضل الإنعام من الله، وتعريفه للقصر بمعنى الفضل كله.

قوله (وكفى بالله علماً) الكفاية بمعنى حسبك بالله، والعلم صفة مشبهة انتصبت على التمييز والمراد الاستغناء بعلمه تعالى عن سواه بكيفية جزاء المطيعين ومعاقبة المسيئين.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ
 اُنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ ﴿٧١﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم) الوصول إلى خطاب المؤمنين بأمرهم
 مجاهدة الكافرين بمثابة النتيجة للمقدمات في الآيات السابقة التي كانت
 بمجملها تهيبج لإيمان المؤمنين وحث على تثبيتهم، والحذر بكسر الحار مثل
 الحذر بفتحها، والأمر بأخذه مجاز مرسل بعلاقة الاستلزام عن أخذ السلاح
 لأنه آلة الحذر والتأهب الدائم ونفي الغفلة.

قوله (فانفروا ثبات أو انفروا جميعا) الفاء لتفريع جملة النفرة على أمر الأخذ
 بالحذر، والنفرة أصلها الفزع إلى الجهاد والقتال، والثبات جمع ثبة ونصبه
 لأنه حال من ضمير الجمع في (انفروا)، والمعنى: أن أمر التأهب بالنفرة
 للقتال بصورتين: الخروج سرايا فرقة بعد فرقة، فرقة في جهة، وفرقة أخرى
 في جهة أخرى، أو الخروج مجموعة واحدة في مكان واحد.

وفي نهج البلاغة قال عليه السلام لقادة العسكر: وإياكم والتفرق، فإذا نزلتم فانزلوا
 جميعا، وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعا. انتهى. وقصد بالتفرق تفرق الأفراد.

قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَن لَّيْبُطِئَنَّ فَإِنْ أَصَبَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ
 اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ ﴿٧٢﴾

قوله (وإن منكم لمن ليبطئن) العطف على ما سبق لاتصال الكلام عن الأمر بالنفرة، والإخبار المؤكد عن هذه الفئة من المسلمين المتناقلين يراد به ما بعده من آيات الوعد والوعيد، والتبويض في (منكم) خوطب به المسلمون لأنها فئة من غير المنافقين تتعمد التأخر عن تلبية النبي ﷺ للنفرة إلى الجهاد بالانشغال بأمور دنيوية كي تتعذر به في التخلف عن ركب المجاهدين.

واللام في (لمن) للتأكيد واقعة في خبر (إن)، واللام الثانية للقسم، وفعل البطء بمعنى التناقل عن الخروج إلى القتال بادعاء الانشغال عنه، وفي ثقل الصيغة الصوتية ما يوحي بذلك.

قوله (فإن أصابتكم مصيبة) الفاء للتفريع، وإصابة المصيبة كناية عن الهزيمة في القتال أو القتل أو الجرح.

قوله (قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا) جواب (إن) الشرطية، والكلام على الحكاية عن المبطينين القاعدين أخذ فيه الأفراد في القول على سبيل الحكاية عن المجموع بمعنى: إن الله تفضل علي بالسلامة من القتل والجرح وقت لم أكن حاضرا مع المؤمنين في القتال، والشهادة هنا بمعنى الحضور لا بمعنى القتل، ولا ريب في أن هذا القول منهم اعتقاد باطل، دال على فساد سرائرهم، لأنهم عدوا سلامتهم من آثار القتال إنعام من الله عليهم، كأنهم ضمنوا الأمن في الغيب، وقولهم المحكي عنهم متضمن معنى الشماتة والاستهزاء، وفي المجمع: روي عن الصادق عليه السلام قوله: لو أن أهل السماء

والأرض قالوا: قد أنعم الله علينا إذ لم تكن مع رسول الله لكانوا بذلك مشركين.
انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فُضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلِيَّتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

قوله (ولئن أصابكم فضل من الله) الواو لعطف جملة على جملة، و(لئن) مكونة من القسم والشرط، والخطاب في فعل الإصابة للمؤمنين، ولفظ الفضل أصله الزيادة على الإنعام وهو إشارة إلى النصر وما يستتبعه من الغنائم، ولذلك نكر للتعظيم، و(من) ابتدائية لتعظيم الفضل كونه صدوره من الله تعالى.

قوله (ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) اللام المقترن بفعل القول في جواب القسم التي سدت مسد الشرط لأن القسم أقوى منه. وجملة التشبيه بـ (كأن) موقعها الاعتراض بين فعل القول ومقوله، أو الحال، بمعنى: ليقولن المتناقل متغافلا كأنه لا يعرف بحال المؤمنين ونفرتهم إلى الجهاد. وذكر المودة كناية عما يستلزم منها من الصحبة والمعرفة، والكلام إخبار عن تحسر فئة من المسلمين المبطلين القاعدين من غير المنافقين وتفويتهم أجرة الجهاد وإصابة الغنيمة، إذ ليس كل مجتمع المسلمين زمن النبوة على قلب واحد من العقيدة، بل فيهم - مع إسلامهم - الضعيف الإرادة المتهيب من القتال وفيهم المحب للدعة والراحة الكاره لمشقة الخروج للحرب، قال السيد في

الميزان: ولم تسمح الدنيا حتى اليوم بأمة أو عصابة طاهرة تألفت من أفراد طاهرة من غير استثناء مؤمنة واقفة على قدم صدق من غير عثرة قط إلا ما نقل في حديث الطف، بل مؤمنو صدر الاسلام كسائر الجماعات البشرية فيهم المنافق والمريض قلبه والمتبع هواه والطاهر سره. انتهى.

قوله (يا ليتني كنت معهم) النداء بـ (يا) لشدة حسرة المتناقل على ما فاتته، أنزل التمني منزلة المخاطب المنادى، و(ليت) لتمني المحال، وهو تفويته في تخلفه أجر الجهاد والظفر.

قوله (فأفوز فوزا عظيما) الفاء للعطف، وفعل الفوز منصوب بـ (أن) مضمرة، والفوز أصله النجاة ويراد به الظفر، واشتقاق المصدر من الفعل للمفعولية المطلقة لإفادة النوعية ووصفه بالعظم لإبانتة وظهوره.

قوله تعالى ﴿ * فَلْيَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

قوله (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) الفاء فرعت الجملة على التي قبلها، واللام المقترن بفعل القتل للأمر، والمقاتلة محاربة الأعداء بقتلهم أو أسرهم أو إنزال الجراحة بهم، وتفيد (في) السبب، سبيل الله استعارة بالكناية عن التوحيد، وذكر علة أمر القتال لتهديب النفوس المؤمنة وترقيها عن كل علة أخرى لا تتعلق بالتوحيد في أمر قتال الأعداء

نحو حب السلطة أو الثأر أو الغنائم، ولذلك أعقب ذكر المؤمنين المقاتلين بالتكنية باسم الموصول وصلته دون التصريح بهم، وفعل الشراء صورة استعارية قرآنية، أي: الذين يبيعون الحياة الفانية بالحياة الباقية، وحقيقة البيع والشراء الاستبدال، استبدال الدنيا بالآخرة، ببذل النفس والمال في سبيل الله.

قوله (ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب) الإتيان بأسلوب الشرط لبيان جوابه وهو مجازاة المجاهدين، والفاء المقترن بفعل القتل تفيد التعقيب، والترديد بـ (أو) يراد به الحصر من فرعي الجهاد في سبيل الله وهو نيل إحدى الحسنيين النصر والغلبة أو الشهادة. وهذا الحصر باثنين: الشهادة أو النصر دون ذكر ثالث لهما وهو الهزيمة لاستبعاد ذلك عن المجاهد المقاتل في سبيل الله.

قوله (فسوف نؤتيه أجرا عظيما) الفاء واقعة في جواب (من) الشرطية. و(سوف) تفيد تعليق الإتيان على المستقبل إشارة إلى المجازاة يوم القيامة، والإتيان الإعطاء وإسناده إلى النون للتعظيم، إشارة إلى يسر ذلك على الله، ولذا يستعمل فعل الإتيان في القرآن مع الأجر ونحوه، بينما فعل المجيء غالبا ما يدل على مجيء الأمر بصعوبة، ولذا يستعمل للأعيان، والأجر الثواب ووصفه بالعظم لكثرة كثرته كأنه يشاهد.

قوله تعالى ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾ ﴿٧٥﴾

قوله (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله) الاستفهام بـ (ما) يفيد إنكار التثاقل عن القتال وتوبيخ من يفعل ذلك، وخطاب المسلمين بـ (لكم) لإثارة التنبيه في النفس واليقظة من الغفلة عن الخروج إلى القتال مع ذكر السبب الموجب له وهو التوحيد الذي كنى عنه سبيل الله، وقدمه على الأسباب الأخرى لقطع عذر من يتخلف عن الجهاد، وجملة نفي القتال موقعها الحال بمعنى: وأي شيء لكم تاركين للقتال في سبيل الله.

قوله (والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) الواو عاطفة على السبب الأول للحث على القتال لذلك جرت بتقدير: وفي المستضعفين، والضعف أصله وهن القوة في دفع الأذى عن النفس، والإتيان بالسين والتاء مبالغة في ذلك. واللفظ عام فصله بحرف الجر (من) التبيينية، وذكر الرجال والنساء والولدان تفصيل بعد إجمال، والولدان جمع ولد وهو الصغير من الذكور، والكلام علة ثانية لتهيج حمية مجتمع المسلمين بذكر ما يستثير غيرتهم وعصبيتهم الحققة في الدفاع عن الذراري من النساء والرجال والصغار وتخليصهم من المشركين، فقد قيل إنهم مجموعة من المسلمين، بقوا بمكة،

ولم يستطيعوا الهجرة، كانوا يدعون الله أن يخلصهم من أيدي المشركين، ويخرجهم من مكة.

قوله (الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) موقع اسم الموصول وصلته الصفة للمستضعفين. وحكاية قولهم دعاء منهم لله بتخليصهم من ظلم مشركي مكة لهم، ودلالة أمر الإخراج طلبهم للحاق بالمؤمنين في المدينة، و(من) ابتدائية، ولفظ الإشارة لتحقير أهل القرية، فإن الكلام عن القرية مجاز يراد به الكلام عن أهلها المشركين، ولفظ القرية كناية عن مكة، وفي القرآن يدل هذا اللفظ على الحاضرة دون البادية، ولفظ الظلم لأهل القرية إشارة إلى صنيع المشركين بتعريض المسلمين المستضعفين إلى الفتنة في دينهم وتعذيبهم الشديد، ومنعهم من الخروج من مكة.

قوله (واجعل لنا من لدنك وليا) وطلبوا من الله الولاية لشدة استضعاف المشركين لهم، واللام في (لنا) للتأكيد وتحتمل التعليل بمعنى لأجلنا، وتأكيد المجعول لهم بـ (من لدنك) زيادة في الاطمئنان لأنفسهم وتعظيم له، والولي القائم على الأمر الذي يلي الأمور ويدبرها، وفي طي الكلام تعريض برؤوس الضلال من المشركين الذين نصبهم الشيطان أولياء على أهل مكة.

قوله (واجعل لنا من لدنك نصيرا) أعادوا الدعاء لتأكيد طلب النصرة من الله بعد الولاية، وقد استجاب الله تعالى دعاءهم بفتح مكة، وجعل الله نبيه لهم وليا، واستعمل على مكة عتاب بن أسيد، فجعله الله لهم نصيرا، فكان ينصف الضعيف من الشديد، وأغاثهم الله فكانوا أعز بها من الظلمة قبل ذلك، وفي

دعاء المستضعفين دليل حسن ظن بالله ومعرفة به سبحانه لأنهم لم يستغيثوا بسواه، وفي هذه الآية دلالة على عظم موقع الدعاء من الله.

قوله تعالى ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ
الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (٧٦)

قوله (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله) الاستئناف بالإخبار عن قتال المؤمنين في سبيل توحيد الله لغرض الحث على مجاهدة الكافرين.

قوله (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) عطف وإخبار عن قتال الكافرين من أجل عبادة أصنامهم، ولفظ الطاغوت من الطغو مبالغة في تجاوز الحد. والإتيان بالمقابلة بين جملة المؤمنين وجملة الكافرين بمثابة التمهيد لاستقبال الأمر (فقاتلوا).

قوله (فقاتلوا أولياء الشيطان) الفاء تفریع للأمر على الإخبار، وأولياء الشيطان أتباعه المنقادون إليه وهم الكافرون، وفي استبدال الطاغوت بالشيطان فلم يقل: فقاتلوا أولياء الشيطان، لأنه أس كل معصية، وإليه يرجع كل انحراف.

قوله (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) قطع الكلام ولم يصله لأنه علة للأمر القتال، والابتداء بحرف النسخ للجملة الإسمية لتأكيد المعنى ورسوخه، والكيد الحيلة التي ظاهرها نافع وباطنها ضار، والإخبار عن رسوخ ضعفه في الشيطان لأنه إغراء وتزيين ووسوسة يقع فيها المضطرب المستعد لاستقبال

فعل المعصية أما المؤمن فلا ينفذ إليه ولا يقوى على كيده والإيقاع به، وفي السياق أريد بضعف كيد الشيطان ضعف دواعي أوليائه إلى القتال، إذ لا بصيرة لهم، وإنما يقاتلون بما تدعو إليه الشبهة، والمؤمنون يقاتلون بما تدعو إليه الحجة، وفي طي الكلام طمأنة للمؤمنين بالظهور على الكافرين.

قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْهَرُونَ فَتِيلًا ﴾

قوله (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) الاستفهام للإنكار والخطاب للنبي ﷺ، وفعل الرؤية للعلم بمعنى: ألم ينته إلى علمك كذا، والضمير في اسم الموصول عائد إلى المتناقلين المبطئين عن القتال، والفاعل في قيل عائد إلى النبي ﷺ كان يأمر بعض المسلمين الذين يريدون قتال المشركين قبل هجرتهم من مكة بالصبر وتحمل أذاهم، فلما أمروا بالقتال وبالمسير إلى بدر شق على بعضهم، وكف الأيدي عن إمساك السلاح، فمعنى (كفوا أيديكم) كناية عن ترك القتال بالتخلي عن مسك السلاح لأن الله لم يؤذن بذلك، والكف الإمساك وقبضها عن تناول الشيء.

قوله (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي: وأمروا بتأدية شعائر الله في الصلاة والإنفاق، وخصهما بالذكر من دون العبادات لأنهما أهم مظاهر المؤمن.

قوله (فلما كتب عليهم القتال) الفاء لتفريع جملة تشريع فرض الجهاد في المدينة على جملة التعجيب بالكف عن القتال في مكة، وضمير جمع الغائبين في (عليهم) عائد إلى الذين قيل لهم في مكة.

قوله (إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) تفيد (إذا) الفجائية، معنى أن ذلك التناقل غير مترقب منهم بعد حرصهم على القتال في مكة، والتبويض في (منهم) يدل على أن استبطاء الخروج إلى القتال لم يصدر منهم كلهم بل من بعضهم، والخشية خوف قلبي ومعنى خشيتهم من الناس خوفهم الشديد من قتل المشركين لهم لأن تعريف الناس للعهد الحضوري، وأما التشبيه بخشيتهم من الله فبمعنى كخوفهم الشديد من الموت، وقوله (أشد خشية) مبالغة في هلعهم من حرب المشركين وخوفهم من آثاره.

قوله (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال) أي: وخاطبوا ربهم مستفهمين منكرين فرض القتال عليهم. وقولهم دليل ضعف الإيمان في نفوسهم، فالسؤال منهم دلالة التشكيك والاضطراب في العقيدة لأن في مورد الجهاد تمتحن النفوس الحق.

قوله (لولا أخرجتنا إلى أجل قريب) والأداة (لولا) تفيد التحريض على إهمالهم بعيش يسير قريب الانقضاء، يريدون بذلك رفع القتل عنهم برفع الفرض فيعيشوا ويموتوا حتف أنوفهم من دون قتل.

قوله (قل متاع الدنيا قليل) التلقين رد على قولهم المحكي عنهم لتعليمهم ترجيح الثواب الدائم للأخرة على لذة الدنيا الزائلة.

قوله (والآخرة خير لمن اتقى) أي: وثواب الآخرة أفضل للمؤمن الحريص على التزام أوامر الله والانتهاز عن معاصيه، وفي ذكر الصفة دون موصوفها حث على الاتصاف بالتقوى لأنها سبيل النجاة، وفيها تعريض بهم.

قوله (ولا تظلمون فتيلاً) الخطاب من الله على لسان نبيه للكارهين القتال، بنفي الظلم عنه تعالى، متضمن معنى الإقبال على الجهاد لأنه سبب إلى لقائه تعالى الذي يؤمن عدله ولا يضيع ثوابه ولا ينقص حق أحد عنده لأنه لا يصلح عليه الظلم قليله أو كثيره. وذكر الفتيل مثل يضرب لأدنى القيمة.

قوله تعالى ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصَبِّهُمُ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصَبِّهُمُ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝٧٨﴾

قوله (أينما تكونوا يدرككم الموت) الكلام استئناف لبيان تخطئة الكارهين القتال بأن الحرب تدني الموت إليهم، وإن وقع الكلام لعموم المخاطبين، لأن السياق معتن بهم أكثر في إخبارهم وإفهامهم. و (أينما) مركبة من (أين) للمكان واستعملت للشرط، ووصلت بها (ما) الزائدة. وفعل الكون بمعنى الوجود والحلول، وجزم لأنه فعل الشرط، وجوابه فعل الإدراك ويعني نزول الموت ولحاقه بهم وتمكنه منهم.

قوله (ولو كنتم في بروج مشيدة) أي: ولو كنتم في حصون ظاهرة منيعة. ووصف البروج بالمشيدة كناية عن قوتها وعلوها وصلابة من يحاول

اختراقها لأنها مبنية مجصصة، وعن التشديد في لفظ التشييد قال الفراء: يشدد ما كان من جمع، مثل قولك: مررت بثياب مصبغة وأكبش مذبحة، فجاز فيه الجمع لأن الفعل متفرق في جمع. فإذا أفردت الواحد من ذلك فإن الفعل يتردد في الواحد ويكثر جاز فيه التشديد والتخفيف مثل قولك: مررت برجل مشجع، وبثوب ممزق، جاز فيه التشديد، لأن الفعل قد تردد فيه وكثر. وتقول: مررت بكبش مذبوح ولا تقل مذبج لأن الذبح لا يتردد كتردد التخرق، وقوله: (وبئر معطلة وقصر مَشِيد) [الحج ٤٥]، يجوز فيه التشديد، لأن التشييد بناء فهو يتناول ويتردد. انتهى.

قوله (وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله) ظاهر الكلام باتصال سياقه دال على أن هذا القول بالمقال أو بلسان الحال من ضمن هفواتهم وأنه لضعف عقيدتهم. وأريد بإصابة الحسنة إصابة عموم الخير والرزق وسعة العيش، ولفظ الإشارة مجاز لتمييز النعمة المشار إليها بالحسنة، وقولهم بنسبة صدورها من الله تعالى متضمن ادعاء كرامتهم عنده سبحانه، لأنهم ربطوا سعة العيش بالمنزلة لفساد فهمهم وتأثرهم بمفاهيم الجاهلية القائمة على حياة المادة.

قوله (وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك) تنكير لفظ السيئة لإفادة عموم ما يكرهه الإنسان من قتل أو شر أو ضيق في العيش لجذب وقحط، وإسناد سبب ذلك إلى النبي ﷺ للتلبيس على الناس باتهامه بالشؤم وسوء التدبير.

قوله (قل كل من عند الله) الأمر تلقين من الله وتعليم لنبيه في الرد على تشويه الحقائق وخط الحق بالباطل، بأن عموم معاني الحسنات والسيئات صادرة منه تعالى، فالله تعالى وحده المنظم المدبر للحوادث التي يصيب منها الإنسان عموم ما يرجو أو ينزل به عموم ما يكره، وليس لأحد أن يفعل ذلك فيجري التقسيم بتوزيع المحبوب والمكروه بين الله وعباده.

قوله (فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً) الفاء للتفريع على جملة قولهم، والاستفهام يفيد التعجيب من أفهامهم القاصرة، ولفظ الإشارة للتمييز والتقليل من شأنهم، وتعريف القوم للعهد، وجملة نفي مقاربة الفهم في حديثهم تفسير للتعجيب.

وربما قيل في بعض التفاسير إن ذلك القول من ضعفة الإيمان صدر من المناققين أو اليهود، وكأن المفسرين حصروا مجتمع المسلمين في فئتين: مؤمنة ومناققة، منكرين - لحسن ظنهم - أن تكون فئة منهم ميالة إلى حب الدنيا وعلائقها - كشأن كل مجتمع - فيحملها الحرص على إخراج حقيقة ما اعتقدوا من ظاهر الإيمان وهو أمر قالت به أكثر من أمة كما حكى الله عن قوم موسى في قوله تعالى (فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه) [الأعراف ١٣١].

قوله تعالى ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ۚ

وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ۝

قوله (ما أصابك من حسنة فمن الله) الكلام تفصيل لمعنى رجوع الأمور كلها إلى الله، وإصابة العبد الخير يجري بأسباب دبرها الله تعالى بحكمته، وخص الخطاب بنبيه مع أن في الضمن يراد به عموم المخاطبين لانتفاء أفهامهم عن إدراك المراد، وتفيد (من) الاستغراق، وتنكير لفظ الحسنة للعموم، والفاء في (فمن) واقعة في الجزاء، و(من) ابتدائية.

قوله (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) وكون صدور عموم السيئات من نفس العبد لأنه سبب الإصابة بها ونزول المكروه به، وإسناد السيئة إلى الإنسان مع أن الحسنة والسيئة كلاهما يصدران من الله تعالى، ولكنه هياً الأسباب ودبر الحوادث لذلك، فإن عمل بها فاز بما انتفع منها، ومن خالف جنى نتيجة مخالفته وهو المكروه منها، وفي المجمع روي عن النبي ﷺ قوله: ما من خدش بعود، ولا اختلاج عرق، ولا عثرة قدم، إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر. انتهى.

ومن هذا المعنى في النهج قال ﷺ: لو أحبني جبل لتهافت، قال الرضي معلقاً: معنى ذلك أن المحنة تغلظ عليه فتسرع المصائب إليه، ولا يفعل ذلك إلا بالأتقياء الأبرار والمصطفين الأخيار، وهذا مثل قوله ﷺ: من أحبنا أهل البيت فليستعد للفقر جلباباً. انتهى.

قوله (وأرسلناك للناس رسولا) الإخبار برسالة الرسول لعموم الناس متضمن معنى الرد والتعريض بالقائلين (وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك) على سبيل الشؤم، بمعنى: إن مهمتك التبليغ برسالة الله إلى الناس، وليس شأنك

إعطاء الخير أو منع الشر فذلك ليس لنبي ولا يملكه أحد. وذكر لفظ الرسول للتأكيد لأن فعل الإرسال دال عليه.

قوله (وكفى بالله شهيدا) الإخبار بكفاية الله بشهادته متضمن معنى الترغيب والترهيب، ونصب الشهيد على التمييز، والشهادة يراد بها الحضور.

قوله تعالى ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾

قوله (من يطع الرسول فقد أطاع الله) ذكر اقتران طاعة الرسول بطاعة الله احتراسا من توهم الاختصار على الرسالة دون الطاعة في قوله (وأرسلناك للناس رسولا).

قوله (ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا) أي: ومن أعرض عن الإيمان بالتوحيد فإن إثمه على نفسه ولا بأس عليك، إذ لم تبعث حافظا لهم من المعاصي، بل أرسلت لتبليغهم رسالة الله، وتقديم الظرف على عامله للاهتمام.

قوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾

قوله (ويقولون طاعة) العطف لاتصال الكلام عن المسلمين الكارهين القتال، ففاعل فعل القول باتصال السياق عائد لهم، وارتفع لفظ الطاعة لوقوعه خبرا لمبتدأ محذوف تقديره: أمر ك طاعة أيها النبي ﷺ.

قوله (فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول) الفاء للتفريع، والبروز الخروج ويراد به القيام من مجلس النبي ﷺ، والتببيت كناية عن تدبير المؤامرات لأنها تكون في العادة ليلا بعيدا عن العيون، والطائفة الجماعة من بعض المسلمين بدلالة التبويض في (منهم)، والمعنى: أنهم أشبهوا المنافقين يظهرون الطاعة للنبي ﷺ طالما هم تحت نظره، فإن اختلوا وسترهم الليل بدلوا كلامهم فغيروا ادعاء طاعتهم بمخالفته وتكذيبه، أو غيروا ما ذكره النبي لهم من الوصية بالجهاد ونحوه، وفاعل (تقول) عائد إلى طائفة، أو إلى النبي ﷺ.

قوله (والله يكتب ما يبيتون) التصريح بلفظ الجلالة والإخبار بتسجيل ما يدبرون يراد به التهديد والوعيد لهم بالمجازاة والعقاب، وفيه طمأنة للنبي ﷺ وتسلية له.

قوله (فأعرض عنهم) الفاء للتفريع، والأمر للنبي من الله بمعنى: تجاهلهم ولا تعباً لأمرهم.

قوله (وتوكل على الله) الأمر بالتوكل على الله بمعنى تفويض الأمر إليه تعالى.

قوله (وكفى بالله وكيلا) أي: حسبك الله في ضمان الفلاح.

قوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا

فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ﴿٨٢﴾

قوله (أفلا يتدبرون القرآن) الفاء للتفريع على قوله (وأرسلناك للناس رسولا)، والاستفهام للإنكار والتوبيخ على عدم تدبرهم القرآن، والمخبر عنهم مستمر وهم ضعاف الإيمان من المسلمين الذين تحدثت عنهم الآيات السابقة، والتدبر النظر في عواقب الأمور ونظيره التفكير والتأمل، والترغيب في تدبر القرآن بمعنى النظر في آياته وأخذ العبر من إعجازها لأنها الغاية في البلاغة وذكر ما غاب عن الحس من أحوال الأمم، وكمال التشريعات وتهيب الخلق الإنساني، والدعوة إلى نظام المجتمع المتكافل، وذلك كله بمستوى واحد من الإعجاز لا خلل فيه ولا تناقض، ذلك أن كلام البشر إذا طال وتضمن من المعاني ما تضمنه القرآن لم يخل من التناقض في المعاني والاختلاف في اللفظ، بينما ذلك كله منفي عن كلام الله، ومن هنا يأتي الحض على التدبر ليعلموا أنه حجة وبرهان جلي على التوحيد.

قوله (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) الافتراض حجة منطقية لبيان صحة نسبة القرآن إلى الله الواحد، لأنه لو كان من بشر كما زعم الكافرون أنه من النبي لشهدوا تناقضا فيه واختلافا في تفاوت صياغاته وبيانه لأنها من طبيعة المخلوق إذ الكمال لله وحده، وهذا الأمر يعرفه كل متدبر فاحص في أحوال الأدباء المجيدين من قالة الشعر أو النثر فإن مقادير الإبداع تتفاوت في مستوياتها علوا وانخفاضا، إلا القرآن حديثه واحد لا

يختلف أوله عن آخره في انطباق المعنى على شكله ولا يختلف بيانه في تشريع أو وعظ أو غيب.

واللام في (لوجدوا) واقعة في جواب (لو)، وفعل الوجدان بمعنى العلم. والهاء في (فيه) عائد إلى القرآن. والاختلاف كما قال الراغب: والاختلاف والمخالفة أن يأخذ كل واحد طريقا غير طريق الآخر في حاله أو قوله، والخلاف أعم من الضد لان كل ضدين مختلفان وليس كل مختلفين ضدين. انتهى. ووصفه بالكثير للتوضيح وليس معناه يسير اختلافه موجود فذلك فساد لسياق المعنى بل المراد ألا قليل ولا كثير من الاختلاف والضعف والتناقض موجود في آيات القرآن.

قوله تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنِيطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٣﴾

قوله (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به) العطف لاستمرار الكلام عن ضعاف الإيمان من المسلمين ملامة لهم وحملا على تربيبتهم، وفعل المجيء وإسناده على سبيل المجاز العقلي ويحتمل الاستعارة بالكناية عن الأخبار السارة والضارة، فقوله (أمر من الأمن) كناية عن نصر المؤمنين وغلبتهم، وقوله (أو الخوف) إشارة ما يسمعون من أخبار استعداد العدو

وتدبيره للحرب، والكلام تحذير مما يسمى اليوم بـ (حرب الإشاعات) وقت الحرب، وبين الأمر والأمن جناس بديعي لافت.

وجملة الإذاعة جواب لـ (إذا)، والإذاعة نشر الأخبار بالقول، ويراد بها نشر الأراجيف بين الناس لزعة الثقة بالنفس ولاسيما في ظروف الحرب التي مر بها المسلمون ولذا كره الله ذلك، وتعدية فعل الإذاعة بالباء في (به) للملابسة ويمكن للفعل أن يتعدى بنفسه فيقال: أذاعه وأذاع به.

وفي الكلام عتاب على ما جرى في أحداث يوم أحد التي أشيع فيها قتل النبي ﷺ وصدقها بعض المسلمين فكانت عاملا في ضعفهم وهزيمتهم.

قوله (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم) أي: ولو أرجعوا ما سمعوا من أمر إلى الرسول أو إلى أولي الأمر ليحكم فيه ويقول رأيهم فيه قبل إذاعته ونشره بين الناس لميز الرسول وأولو الأمر الحق من الباطل فيه، وتعريف الرسول للتعظيم، وأولو الأمر يقتضي الذين عصموا عن الوقوع في باطل الحكم وفاسده بدلالة العطف على الرسول ويراد بهم الأئمة المعصومون عليهم السلام، وضمير الغائبين في (منهم) عائد إلى أولي الأمر، وليس إلى ضعفة الإيمان الملامين.

قوله (لعلمه الذين يستنبطونه منهم) اللام في فعل العلم واقع في جواب (لو) وفعل العلم أريد به التمييز والتبيين، والهاء فيه عائد إلى الأمر، والإتيان باسم الموصول وصلته لبيان علة أمر الرد إلى الرسول وأولي الأمر لأنهم القادرون على الاستنباط وإخراج الحق من ظلام الباطل، والاستنباط

استخراج ما خفي وأبهم من الأمر، وأصله النبط وهو الماء الذي يخرج من البئر أول ما تحفر، والضمير في (منهم) عائد إلى الرسول وأولي الأمر.

قوله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) أي: ولولا ألطافه بالمسلمين جميعاً ومنهم ضعفة الإيمان لأضاعوا الصواب واتبعوا الشيطان، إلا القليل من المؤمنين المسددين، وعلى سبيل المصدق روي عن الصادقين عليهما السلام: فضل الله ورحمته النبي وعلي. كذا ذكر في المجمع. انتهى.

قوله (لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً) اللام واقعة في جواب (لولا)، واتباع الشيطان الانقياد إليه ولوساوسه وأباطيله المؤدية إلى النار، والاستثناء لإخراج قلة المؤمنين من اتباع الشيطان وهم أصحاب العزائم الثابتة والنيات المخلصة الذين لم يؤخذوا بإشاعات المنافقين وتخويفهم الذي حكاه تعالى في قوله (إن الناس قد جمعوا لكم). ومساق الكلام يدل على خطر وقوع المسلمين في هاوية الضلال لولا فضل الله عليهم وإنقاذهم منها، ومع ملاحظة ألفاظ الإذاعة والأمن والخوف ومع النظر إلى الآية التي بعدها يتضح أن سياق الكلام في يوم بدر الصغرى.

قوله تعالى ﴿فَقَتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفَ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا



قوله (فقاتل في سبيل الله) الفاء للتفريع على معنى تتأقل القوم وتباطئهم في تلبية الجهاد في الآيات السابقة، والأمر للنبي ﷺ بالقتال وحده لأجل كلمة التوحيد دلالة الإعراض عن المبطينين القاعدين زيادة في ملامتهم.

قوله (لا تكلف إلا نفسك) أي: لا تكلف إلا عمل نفسك، وهو تعليل لأمر النبي ﷺ بالقتال وحده، لأنه لا يؤخذ إلا بما يكلف وليس عليه هداهم وقهرهم على الخروج على الحرب. والتكليف يستعمل لما يشق من عمل ولهذا ناسب معنى الخروج للقتال.

قوله (وحرص المؤمنين) التحريض الحث الشديد ويستعمل للخير والشر، وتعريف المؤمنين للنوعية، أي: دفع المؤمنين المخلصين وحثهم إلى القتال.

قوله (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) الفصل لأنه علة لفعل الأمر بالقتال والتحريض عليه، أي: رجاء أن يدفع الله شدة الكافرين ويمنع شرهم، والرجاء المستفاد من (عسى) أعم من أن يكون قائما بنفس المتكلم أو المخاطب أو بمقام التخاطب فلا حاجة إلى ما ذكره من أن (عسى) من الله حتم. كذا ذكر السيد في الميزان. انتهى بتصرف.

قوله (والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً) إخبار متضمن التهديد والوعيد بالكافرين، بمعنى: والله أشد قوة من أعدائكم وأشد انتقاماً منهم ونكاية بهم، والأشد ليس بمعنى التفضيل بل بمعنى الإطلاق.

وفي المجمع ذكر في مناسبة الآية أمر بدر الصغرى بقوله: قيل: إن أبا سفيان لما رجع إلى مكة، يوم أحد، واعد رسول الله موسم بدر الصغرى، وهو سوق

تقوم في ذي القعدة. فلما بلغ النبي الميعاد، قال للناس: أخرجوا إلى الميعاد فتناقلوا وكرهوا ذلك كراهة شديدة، أو بعضهم. فأنزل الله هذه الآية، فحرض النبي المؤمنين، فتناقلوا عنه، ولم يخرجوا، فخرج رسول الله في سبعين راكبا، حتى أتى موسم بدر فكفاهم الله بأس العدو، ولم يوافهم أبو سفيان، ولم يكن قتال يومئذ، وانصرف رسول الله بمن معه سالمين. انتهى.

قوله تعالى ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ ﴿٨٥﴾

قوله (من يشفع شفاعاة حسنة يكن له نصيب منها) القطع لتعليل قوله (لا تكلف إلا نفسك وحرص المؤمنين)، وفيه تطيب لـنفس النبي ﷺ بأن دعوته للمؤمنين بالجهد يناله منه أجر عظيم، والشفع أصله الضم، قال الراغب: الشفاعاة الانضمام إلى آخر ناصر له وسائل عنه وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى. انتهى. والشفاعة الحسنة إشارة إلى السعي في دفع الضرر عن المؤمن أو طلب الخير له، والضمير في (منها) عائد إلى الشفاعاة.

قوله (ومن يشفع شفاعاة سيئة يكن له كفل منها) الشفاعاة السيئة إشارة إلى السعي في معاونة الأشرار، وفي الكلام نهي عن الشفاعاة لأهل الظلم والإفساد والشرك والنفاق، والكفل المثل والهاء في (منها) عائد إلى الشفاعاة في الشر، وفي الكلام مقابلة تفيد الترغيب والترهيب، والآية تقرر بأن من كان ظهير

صاحبه في عمل خير ناله حظ منه، ومن صار شفيعا في شر بمعاونة أو تقوية شارك صاحبه في مثل إثمه، والكلام مناسبة فقد قيل إن مجموعة من المشركين أظهروا الإسلام ثم ردوا كفارا إلى المشركين فاختلفت آراء المسلمين بين من قال بقتالهم وبين من رفض قتالهم سائلا الشفاعة لهم لظاهر إيمانهم.

قوله (وكان الله على كل شيء مقيتا) مضي الكون بمعنى الثبات والاستمرار أي: كان ولم يزل، وتقديم الظرف على عامله للاهتمام، والمقيت المقدر، من قات قوتا إذا أعطاه ما يمسك به رmqه.

قوله تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (٨٦)

قوله (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) أي: من سلم عليكم بأي تحية فردوا بما يزيد عليها بحسن الرد أو بمثلها، و(حييتم) أصله حيي، والتحية منه الدعاء لك بالحياة. وتنكير لفظ التحية للعموم، والكلام بحسب سياقه متضمن معنى تحية السلم والصلح، والترديد بـ (أو) تخيير للراد بين ردها بأحسن منها أو ردها بمثلها، وتقديم لفظ الأحسن ترجيح من الأدب القرآن للراد.

قوله (إن الله كان على كل شيء حسيباً) القطع تعليل لأمر رد التحية، والإخبار متضمن معنى الترغيب على رد السلام لما فيه من سلم مجتمعي، والترهيب على عدم الرد. والحسيب الحفيظ.

قوله تعالى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ كُمُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ ﴿٨٧﴾

قوله (الله لا إله إلا هو) الاستئناف بكلمة التوحيد، إخبار يراد به ما بعده من معنى التهديد.

قوله (ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه) اللام مؤذنة بالقسم، وفعل الجمع مؤكد بنون التوكيد، والجمع حشر الله للناس يوم القيامة، ويوم القيامة سمي بذلك لأن الناس يقومون فيه من قبورهم، وتفيد (إلى) انتهاء الغاية وهو الوقوف للحساب، والنفي المستغرق لمطلق الريبة عن حصول يوم القيامة موقعه الصفة ليوم القيامة، ومقام الكلام التعليل للأخذ بما ذكر من أحكام الشفاعة والرد على التحية بأن المجازاة على ذلك يوم القيامة.

قوله (ومن أصدق من الله حديثاً) الاستفهام للإنكار، أي: لا أحد أصدق حديثاً من الله، وأريد بحديث الله تبليغه في الآيات المبينة عن تأكيد وقوع يوم القيامة.

قوله تعالى ﴿ * فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسُهُمْ بِمَا كَسَبُوا أْتَرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾



قوله (فما لكم في المنافقين فتنين) الفاء تفریع على قوله (من يشفع شفاعة حسنة). والاستفهام بمعنى: وأي شيء لكم أيها المسلمون، وفائدته الإنكار على المؤمنين اختلاف رأيهم طائفتين في الحكم على المنافقين المرتدين، فئة رأت قتالهم وأخرى رأت الشفاعة لهم، ومصب فتنين على بالفعل المقدر في الكلام بمعنى: فما لكم مختلفين في المنافقين فتنين.

قوله (والله أركسهم بما كسبوا) إخبار بمعنى الرد على اختلاف المؤمنين. والإركاس استعارة للردة بعد الإيمان، قال الراغب: الركب قلب الشيء على رأسه ورد أوله إلى آخره، يقال: أركسته فركس وارتكس في أمره. انتهى. فالركوس القلب، يراد به الارتداد عن الإسلام إلى الكفر فشبهه بمن ينقلب شكله فيكون ما فوقه تحته وما تحته فوقه، ومنه في نهج البلاغة قوله عليه السلام في معاوية: وسأجهد في أن أطهر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس. انتهى. وأراد به مقلوب الفكر، والباء في (بما) للسبب، و(ما) مصدرية، والكسب العمل فهو علة الركوس.

قوله (أتريدون أن تهدوا من أضل الله) الكلام من الله تعالى إنكاراً للاختلاف. وهمزة الاستفهام تفيد الإنكار، وفعل الإرادة أثر قلبي وعزم على الفعل،

واستعماله في خطاب المؤمنين لإنكار تكلفهم في أمر لا يعينهم. فالهداية والإضلال من الله تعالى بحسب مشيئته التي انبنت على الأسباب المؤدية إليهما من غير سلب لاختيار العبد.

قوله (ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا) الشرط بمنزلة التعليل للإنكار. أي ومن قدر الله له الضلال مجازاة له برفع ألطاف الله للهداية وتركه لنفسه فلن تجد له سبيلا للهداية، والالتفات بخطاب النبي ﷺ في (تجد) عناية من الله بنبيه لقلة فهم المؤمنين بحقيقة الهداية والإضلال.

قوله تعالى ﴿ وَدُّوا لَوْ كَفَرُوا كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ
أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ
وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ﴿٨٩﴾

قوله (ودوا لو تكفرون كما كفروا) الكلام بمنزلة البيان لقوله (والله أركسهم بما كسبوا)، والود شدة الرغبة وضمير الجمع فيه عائد إلى المنافقين المرتدين الذين يتمنون لو رجع المؤمنون عن إيمانهم إلى الشرك بالله مثلهم.

قوله (فتكونون سواء) الفاء للتعقيب، أي فتكونوا أيها المؤمنون واحدا في الشرك والكفر لا تباين بينكم وبينهم.

قوله (فلا تتخذوا منهم أولياء) الفاء للتفريع على معنى ما تقدم، بنهي المؤمنين عن اتخاذ بعض المنافقين على سبيل محاباتهم أصحابا أو متبوعين، والنهي متضمن أمر اجتنابهم.

قوله (حتى يهاجروا في سبيل الله) تفيد (حتى) ابتداء الغاية وفيها معنى الاستدراك على النهي، أي: إلا أن يترك هؤلاء المرتدون دار الشرك ويفارقوا المشركين لأجل دين الله حينها يجوز أن يتولى بعضهم بعضا.

قوله (فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم) الفاء للتفريع على أمر المهاجرة لبيان الحكم، وهو إنزال حكم القتل فيهم أينما وجدوا في حال إعراضهم وتجاهلهم لأمر تخليهم عن المشركين في مكة. وفعل الأخذ كناية عن أسرهم.

قوله (ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا) نهي ثان للمسلمين عن محابة المفارقين لدين التوحيد كالاستعانة بهم أو استنصارهم.

قوله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَاطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنْ أَعَزَّلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ أَلَسَلَمْ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ۝٩٠﴾

قوله (إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) الاستثناء من عقاب تلك الفئة المرتدة لمن يدخل في إجارة قوم متحالفين مع المؤمنين على السلم، فحكمهم في حقن دمائهم كحكم أولئك المفارقين لدار الشرك، والخطاب في (بينكم) للمؤمنين، والضمير في (بينهم) عائد إلى جماعة طلبت موادة النبي ﷺ ومصالحته قبيل فتح مكة. والميثاق كلمة العهد والاتفاق.

قوله (أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم) الترديد في (أو) يراد به استثناء حالة أخرى، وهم الذين طلبوا من النبي ﷺ أن يكونوا على الحياد، لا للمسلمين ولا للمشركين بسبب من حرج قومهم في مكة وقربهم من المدينة، وجملة (حصرت صدورهم) موقعها الحال، أي: جاؤوكم موصوفين بحصر الصدور ضائقة نفوسهم، وهي كناية عن حرج القوم وضيقهم وحيرتهم، أسند الفعل إلى الصدر للمبالغة لأنه مجاز عقلي يراد به نفوسهم، وفي ذلك دلالة ضمنية عن سماحة الدين وأن القتل ليست غايته.

قوله (ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم) أي: ذلك المجيء طلبا للموادة لطف بالمؤمنين وتخفيف عليهم، وطمأنة لهم لأنه تعالى ألقى في قلوب المخالفين لهم الرعب فيجيئوا طلبا للمهادنة منهم، ولو شاء تعالى لأثبت قلوبهم واجتروا على قتال المؤمنين، فجملة الافتراض تحذر للمؤمنين ألا يغتروا بأنفسهم مستقلين عن الله، وطمأنة لهم بأنه تعالى مؤيدهم.

قوله (فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم) الفاء لتفريع حكم على أمر المودعة، وهو تركهم وعدم التعرض لهم في حال بقوا محايدين، والاعتزال التنحي جانباً كناية عن ترك حمل السلاح للحرب، والفاء المقترن فعل القتال للتعقيب، وإلقاء السلم استعارة بالكناية عن المصالحة والاستسلام، كما يقال: ألقيت إليك قيادي، وألقيت إليك زمامي، إذا استسلم له، وانقاد لأمره. كما قال صاحب المجمع. انتهى.

قوله (فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً) الفاء واقعة في جواب (إن) الشرطية، والنفي متضمن الأمر من الله بتخليّة المودعين وعدم مقاتلتهم.

قوله تعالى ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَاخْذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكَ جَعَلْنَا لَكُم عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾

قوله (ستجدون آخرين) إخبار من الله للمؤمنين عن طائفة شبيهة بطالبي السلم غير أنه تعالى حذر منهم لأنهم غير صادقين في نواياهم، ودلالة فعل الوجدان العثور والاطلاع لأن الآخرين غير مظهرين لحقيقتهم.

قوله (يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم) جملة فعل الإرادة مقامها الحال، ومعنى أمنهم من المسلمين الكناية عن إظهارهم الإقرار بدين التوحيد أمناً

من غزوهم، وعنئ أمنيهم قومهم إظهار موافقتهم لقومهم في شركهم، فهم ينافقون الطرفين رياء واحتيالاً.

قوله (كل ما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها) الكلام تقرير لما تقدم من نفاقهم، والرد الرجوع، والفتنة الشرك، والركوس قلب هياتهم في الشرك تحقيراً لهم.

قوله (فإن لم يعتزلوكم) الفاء لتفريع الحكم على الإخبار المتقدم، وهو في حال لم يقفوا محايدين مستسلمين ويتركوا أسلحتهم يجب مسكهم وقتلهم أينما وجدوا، وجيء بالشرط المنفي لأن حالة هؤلاء تختلف عن التي سبقتها في قوله (فإن اعتزلوكم).

قوله (ويلقوا إليكم السلم) العطف بمعنى: ولم يلقوا إليكم الاستسلام والانقياد لأمرهم.

قوله (ويكفوا أيديهم) أي: ولم يتركوا أسلحتهم، والكف المنع، وذكر الأيدي مجاز مرسل لأن بها يترك السلاح ويمسك.

قوله (فخذوهم واقتلوهم حيث ثقتموهم) الفاء واقعة في جواب (إن) الشرطية، والأخذ الإدراك والمسك، والقتل إزهاق النفس في أي مكان أمسكوا.

قوله (وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً) لفظ الإشارة لتمييز هذه الفئة المعادية عن التي سبقتها في نفي التعرض لها في قوله (فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً)، ففي الإخبار هنا أمر بقتالهم لتمكين المنافقين من أنفسهم

وإعطاء الذريعة في إنزال القصاص فيهم لخيانتهم، والسلطان كناية عن الحجة، وفي الآيات كنايات لافقة في معاني الصلح والسلم والاستعداد للقتال.

قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا



قوله (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ) الآية في ذكر أحكام المؤمن، والنفي بمعنى: ليس من شأن المؤمن أن يقتل مؤمنا، ودلالته الحرمة الشديدة، والخطأ يراد به نفي القصد في القتل مستثنى من تعمد قتل المؤمن.

قوله (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله) أي: من قتل من اتصف بالإيمان مؤمنة أو مؤمنة بغير عمد فحكمه عتق عبد مؤمن ودفع دية المقتول تسلم إلى أهله وورثته، والتحرير العتق، وذكر الرقبة مجاز مرسل ذكر الجزء وأريد به الكل لأن العبد يقاد من رقبته، والدية ما

يفرضه الشرع من مال على القاتل، ووصفها بالمسلمة أي المدفوعة إلى أهل القتل غير المنقوص منها شيء، وقيل: إن الآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي أو أبي الدرداء بسبب قتل مؤمن على الشبهة.

قوله (إلا أن يصدقوا) الاستثناء لرفع الحكم عن القاتل، أي: إلا أن يترك أهل القتل أخذ الدية من عاقلة القاتل من إخوته وأعمامه وأبنائهم، قال الطوسي في التبيان: وإلزام دية قتل الخطأ العاقلة ليس هو على سبيل مؤاخذه البريء بالسقيم، لأن ذلك ليس بعقوبة، بل هو حكم شرعي تابع للمصلحة. انتهى. والمصلحة إشارة إلى المؤاساة والتعاون.

قوله (فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن) الفاء لتفريع الحكم على ما تقدم، أي: إن كان المؤمن المقتول من قوم كافرين فيكتفى بعق رقة دون دفع الدية لأن أهله كافرون ولا يجوز للكافرين ميراث المؤمنين، فالضمير في (كان) عائد إلى المقتول، و(من) بيانية، وتنكير لفظ القوم ووصفهم بالعداوة للمؤمنين يراد به الكافرون المحاربون، وجملة (وهو مؤمن) جملة حالية من ضمير الكون.

قوله (فتحرير رقبة مؤمنة) الفاء واقعة في جواب (إن) الشرطية، أي: فعليه تحرير رقبة، وتحرير الرقبة كناية عن عتق العبد ومنحه حريته، ووصفة بالمؤمن لإفادة اتصافه بالإيمان والبلوغ.

قوله (وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق) العطف لاتصال بيان حكم آخر على قتل المؤمن بغير عمد، أي: وإن كان المقتول من قوم بينهم وبين المسلمين عهد واتفاق على السلم فتدفع ديته ويعتق عبد.

قوله (فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة) جواب الشرط مقدر الفاء اتكالا على ما تقدم، والتقدير: فعلى عاقلة القاتل بغير عمد فدية تسلم إلى أولياء المقتول المؤمن ويلزمه عتق رقبة مؤمنة كفارة لفعلته، وفرض كفارة العتق دلالة على تعويض المجتمع بواحد حر بعد فقد واحد حراً، قال العلامة الطباطبائي: ومن هنا يظهر أن الإسلام يرى الحرية حياة والاسترقاق نوعاً من القتل، ويرى المتوسط من منافع وجود الفرد هو الدية الكاملة. انتهى.

قوله (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين) الفاء للتفريع، والمعنى: فمن لم يقدر على دفع الدية ولا عتق العبد فعليه صيام شهرين متتابعين، ولهذه الأحكام تفصيل في مصادرها الفقهية.

قوله (توبة من الله) القطع للتعليل، أي: ليتوب الله عليه توبة.

قوله (وكان الله عليماً حكيماً) أي: كان ولم يزل الله عليماً بمصالح العباد حكيماً فيما يقضي بينهم.

قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ٩٣﴾

قوله (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها) الآية تقابل التي سبقتها في التقصد إلى قتل المؤمن، وحرمة القصاص في الدين، وفي الآخرة الخلود في جهنم، والغلظة في الوعيد من الله ليس حتميا فقد تقيد بقوله (إن الله يغفر الذنوب جميعا) [الزمر ٥٣]، وفي التهذيب عن الإمام الصادق عليه السلام في الآية مقدرًا المعنى: فجزاؤه جهنم إن جازاه. انتهى.

قوله (وغضب الله عليه ولعنه) وغضب الله مجاز في عقابه تعالى للقاتل بعمد، واللعن الإبعاد من رحمته تعالى.

قوله (وأعد له عذابا عظيما) الإعداد التهيئة إشارة إلى المبالغة في العقاب والتهويل، والعذاب استمرار ألم النار ووصفه بالعظم لشدته فهو يأتي من كل جهة وغير محدود الأجل.

ومن مجموع آراء المفسرين ولاسيما الآخذون بروايات أهل البيت عليهم السلام يبدو أن الآية مخصوصة بمن لا يتوب، وأن التائب خارج من عمومها. أما من قال غير ذلك فإنه يحملها على سلوك سبيل التغليظ في القتل، وقيل: إن الآية نزلت في مقيس بن صبابة الكناني قتل رجلا مؤمنا عمدا بعد دفع الدية بسبب قتله لأخيه وارتد كافرا راجعا إلى مكة فقال فيه النبي - كما في المجمع -: لا أؤمنه في حل ولا حرم، فقتل يوم الفتح. انتهى.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْغُونَ

عَرَضَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ
كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله) خطاب ابتدائي للمؤمنين
للإقبال على الحكم، والضرب في سبيل الله السفر للغزو والجهاد.

قوله (فتبينوا) الفاء واقعة في جواب (إذا) الشرطية، وأمر التبیین يراد به
التأني في القتل والتثبت فيه والتمييز بين المؤمن والكافر، لأن في ذلك حرصاً
أكبر على الدماء والحرمان.

قوله (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً) عطف النهي على الأمر
لاتصال الحكم، أي: لا تقولوا أيها المسلمون لمن استسلم لكم وحياكم بتحيةة
الإسلام لا حقيقة لإيمانك وأنتك أسلمت خوفاً، وقد يراد بالنهي عن القول
بمعنى: لا تحكموا على من استسلم لكم بنفي الأمن عنه.

قوله (تبتغون عرض الحياة الدنيا) جملة موقعها الحال أي: مبتغين، والابتغاء
الطلب أي: تقولون ذلك على سبيل الطمع بماله وغنمه، والعرض الشيء
الطارئ الذي ليس من أصل الشيء، وإضافته إلى الدنيا يراد به اللذائذ الزائلة
فيها والمتاع القليل المنتهي.

قوله (فعند الله مغانم كثيرة) الفاء لتفريع معنى أن حقيقة المغانم وكثرتها عند الله، يريد بها نعمه تعالى ورزقه، وما يكون عنده سبحانه فهو باق لا يزول، وهذا معنى العندية المكانية المجازية، والمغانم جمع مغنم مصدر ميمي وهو كل مظفور به من جهة العدى، فهو تربية للمؤمنين بألا يكون همهم الغنائم إلى درجة قد تشوه قدرة التمييز، لأن الحياة الدنيا كلها عرض مؤقت وليس بجوهر ثابت، والغنائم الحقيقية الدائمة عند الله.

قوله (كذلك كنتم من قبل) التشبيه بمعنى كذلك الذي قتلتموه كنتم مثله مستخفين بدينكم قبل أن تظهروا وتشتد قوتكم ويكثر عددكم. فشبه حالة المقتول من دون تمييز بحالهم حينما كانوا يخفون إيمانهم بين الكافرين.

وقيل في مناسبة الكلام نزوله - كما في المجمع - في أسامة بن زيد وأصحابه: بعثهم النبي في سرية، فلقوا رجلاً قد انحاز بغنم له إلى جبل، وكان قد أسلم، فقال لهم: السلام عليكم، لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فبدر إليه أسامة فقتله واستاقوا غنمه. انتهى. ولذلك اعتل أسامة في عزوفه عنبيعة أمير المؤمنين بأنه حلف ألا يقتل رجلاً موحداً متناسياً قول النبي ﷺ لعلي عليه السلام: حربك يا علي حربي، وسلمك سلمى. نقل في المجمع. انتهى.

قوله (فمن الله عليكم) الفاء للتعقيب، والمن الإنعام والتفضل من الله تعالى، وحرف الجر مجاز استعلائي من تمكن من الله على المؤمنين.

قوله (فتبينوا) الفاء للتفريع، وأمر التبيين أعيد لا للتكرار بل معناه طلب إدراك فوائد من الله ومعرفة فوائدها.

قوله (إن الله كان بما تعملون خبيراً) الإخبار المؤكد بخبرة الله بأعمال المؤمنين متضمن معنى الترغيب والتهديد. والخبير مبالغة في العلم. وتقديم الظرف المعمول للأهمية ورعاية الفاصلة.

قوله تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا



قوله (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله) الكلام في الترغيب الشديد على الجهاد، أي: لا يتساوى في الأجر والثواب عند الله التاركون للخروج إلى الجهاد من غير عذر والمجاهدون لأجل توحيده، والقاعدون كناية عن الماكثين في بيوتهم طلباً للراحة، ووصفهم بغير أولي الضرر لإخراج المعاقين من صفة القعود لأنهم في حكمهم، فالضرر النقصان من القيام بأمر الجهاد كالعمى والعرج والمرض، والمجاهد أصله الجهد وهو بذل المشقة، ويراد به المحارب لأعداء الله البازل للنفس والمال، وتقييده بقوله (في سبيل الله) يفيد السبب بمعنى: لأجل توحيده، لا لأجل حب السلطنة والمال والثأر.

قوله (بأموالهم وأنفسهم) الباء للملابسة متعلقة بلفظ الجهاد، والأموال يراد بها الإنفاق في تجهيز الجيش والسلاح والمؤونة، والجهاد بالأنفس يراد به القتال، وخصوصية ذكرهما لأنهما أعز ما يملك الإنسان.

قوله (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) الفصل علة لنفي الاستواء، والتفضيل التقديم والإعلاء في المنزلة عند الله للمجاهدين على القاعدين، ويراد بالقاعدين من المتخلفين عن الخروج عن الجهاد من ذوي النيات الحسنة لعذر من ضرر، أو بكفاية غيرهم عنهم، وانتصب لفظ الدرجة على التمييز، والدرجة المرقاة من أجزاء مراقي السلم، استعارة للمنزلة العالية، وتكثير اللفظ للنوعية.

قوله (وكلا وعد الله الحسنى) أي: وكلا من القاعدين والمجاهدين وعدهم الله العاقبة الحسنى، ولفظ الحسنى مبالغة في معنى الأجل الطيب، أقيمت مقام الموصوف، وجملة العطف لدفع الدخول من التوهم في أن القاعدين لا أجر لهم.

قوله (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) الكلام بيان إجمالي لما تقدمه، وفي معنى التفضيل هنا الإعطاء بدلالة ذكر الأجر العظيم، وفي إعادة تفضيل المجاهدين على القاعدين تهيج لحماس المؤمنين في الجهاد، ولخشية تركه اتكالا على الوعد بالحسنى.

قوله تعالى ﴿ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ﴿٩٦﴾

قوله (درجات منه ومغفرة ورحمة) الدرجات بدل من قوله (أجرا عظيما)، وذكر الدرجات بعد ذكر الدرجة لإفادة المواهب الكثيرة من الله للمجاهدين والمنازل الرفيعة، والعطف يفيد أن لفظي المغفرة والرحمة بدل ثان للأجر العظيم وهو مصداق للفظين.

قوله (وكان الله غفورا رحيمًا) أي: كان ولم يزل الله كثير الستر للذنوب عفا عنهم.

قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾

قوله (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) استئناف إخباري عن حديث الغيب، وهو كلام الملائكة لمن ماتوا ولم يتركوا دار الشرك، وفعل التوفية تمام الإيصال مخفف التاء، ويراد بها قبض الروح بعد انقضاء تمام الأجل للمتوفى. وإسناد التوفية إلى الملائكة على سبيل الإنابة عن الله فقد جعلهم جل شأنه وسائطه، وتعريف الملائكة للعهد أي الموكلون بقبض الأرواح وهم عزرائيل وأعوانه، ونصب (ظالمي أنفسهم) على الحال أي: توفيتهم وهم في حال الظلم لأنفسهم، والظلم إنقاص حق النفس في زيادة الثواب بالهجرة إلى دين الإسلام ودفع العقاب عنها.

قوله (قالوا فيم كنتم) أي: الملائكة سائلين الميتين في القبر لائمين لهم وموبخين: في أي دين كنتم فآثرتم البقاء على الهجرة، والجملة موقعها الخبر لـ (إن).

قوله (قالوا كنا مستضعفين في الأرض) ضمير الجمع في (قالوا) عائد إلى القاعدين عن نصره النبي ﷺ ولم يباينوا دار الشرك، أي: أجابوا الملائكة معذرين بأنهم لا دين لهم كانوا ضعفاء جدا في مكة لا يقوون على جباية قريش، والاستضعاف مبالغة في معنى الضعف وهو وهن القوة وشحة المال وقلة الناصر، وتعريف الأرض للعهد يراد بها مكة.

قوله (قالوا) الفصل للمحاورة، وضمير الجمع إجابة من الملائكة للقاعدين.

قوله (ألم تكن أرض الله واسعة) الاستفهام لإنكار اعتذار القاعدين وتوبيخهم، والإخبار عن سعة أرض الله رد لعذرهم في البقاء، لسوء اختيارهم، وإضافة الأرض إلى الله باعتبار تهيتها لهم للعمل بعد دعوتهم للإيمان بالتوحيد.

قوله (فتهاجروا فيها) الفاء للتفريع على سعة الأرض لذلك عبر بالظرف (في) دون التبويض فلم يقل: منها، كأنه يقال: فتخرجوا من جزء منها إلى آخر، وهو الخروج من مكة إلى أرض أخرى من أرض الله الواسعة فرارا بدين التوحيد وإنقاذ النفس من عاقبة الشرك.

قوله (فأولئك مأواهم جهنم) الفاء للتعقيب، ولفظ الإشارة لإحضار صورتهم في الذهن، والمأوى المصير والمنقلب، وجهنم اسم علم للنار يراد به قعرها.

قوله (وساءت مصيرا) جملة ذم لهذه العاقبة السيئة، أي: ساءت جهنم مصيرا.
والنصب على التمييز.

قوله تعالى ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ
حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ ﴿٩٨﴾

قوله (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) الاستثناء لإخراج من
ذكر من الحكم في قوله (مأواهم جهنم)، وهم الضعفاء في العقل أو البدن أو
السن من الرجال الفقراء والنساء والصغار، وفي النهج قال عليه السلام: ولا يقع
اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة فسمعتها أذنه، ووعاها قلبه. انتهى.

قوله (لا يستطيعون حيلة) جملة حالية مقيدة لتمييز هذا الاستضعاف عن الذي
ادعاه الذين يملكون رفعه عنهم، أي: لا يملكون ما يرصفهم عن المشركين
مما يتقوى به من مال أو صحة للخروج.

قوله (ولا يهتدون سبيلا) أي: ولا يعرفون طريقا يوصلهم لدار الهجرة للحاق
بالنبي ﷺ ويتخلصون من فتنة قریش لهم.

قوله تعالى ﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ ﴿٩٩﴾

قوله (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) الفاء للتفريع، ولفظ الإشارة لتمييز من
تقدم من المستضعفين القليلي الحيلة، الذين يدخلون في رجاء عفو الله عنهم.

قوله (وكان الله عفوا غفورا) إخبار متضمن معنى تجاوز الله عنهم، والعفو الغفور مبالغة في كثرة الصفح والستر، وتكرار الألفاظ وانتهاء الفاصلة فيها تأكيد لسعة عفو الله ورحمته.

قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾

قوله (ومن يهاجر في سبيل الله) أي: ومن يفارق دار الشرك فيخرج منها لأجل التوحيد.

قوله (يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة) جزم فعل الوجدان لأنه جواب (من) الشرطية، و(في الأرض) أي في الأرض المهاجر إليها، كالحاق بالنبي ﷺ في المدينة، والمراغم أصله من الرغام وهو التراب يشار به إلى الإلجاء والإذلال، ويراد به المواضع المتحولة من الأرض، ووصفها بالكثرة لسعتها إشارة إلى الرزق الوفير، والعطف في (وسعة) بمعنى: ويجد فيها سعة في العيش وراحة من تضيق المشركين.

قوله (ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله) العطف لاتصال الكلام في المهاجرة، والخروج من البيت إشارة إلى ترك دار الشرك بنية الهجرة إلى ابتغاء دين آله ورسوله، ونصب (مهاجرا) تقييد يفيد الحال.

قوله (ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) تفيد (ثم) التراخي الرتبي، وإدراك الموت استعارة لقبض الروح، والفاء في (فقد) واقعة في جواب (من) الشرطية، وفعل الوقوع أصله السقوط ويراد به ثبوت الأجر والثواب، والإتيان بحرف الجر (على) للمجاز الاستعلائي بأن ذلك الثواب حقيق على الله تأديته، والتعبير تطف من الله بعبده المهاجر المتوفى في طريق الهجرة، إذ لا أحد يفرض عليه سبحانه.

قوله (وكان الله غفورا رحيمًا) الإخبار بمضي الكون لرسوخ معنى كثرة ستره لذنوب عباده ورحمته لهم بمقام ألوهيته.

وفي الآية تقابل في معنيين متضادين، الأول: في حال المهاجر الذي نجا من الموت وكلاهما صيغا بأسلوب الشرط: فكأن في هذا الشرط وعدا بتحول الحال وسعة الرزق، هذا في حال نجاة المهاجرين، لأن في خروجهم من مكة مخاطر كبيرة من تربص المشركين أو أمراض السفر فمكة بعيدة عن المدينة، والثاني: في حال وفاتهم أثناء طريق الهجرة فذلك ممن سعد حاله، لوقوع الثواب عليه، وأبهم نوعه ومقداره وترك النفس تتصور حجم هذا الثواب ونوعه لأنه ما لا تتصوره الأذهان ويكفي أن يسند إلى الله تعالى، وفي المجمع: عن النبي ﷺ قوله: من فر بدينه من أرض إلى أرض، وإن كان شبرا من الأرض، استوجب الجنة، وكان رفيق إبراهيم، ومحمد عليهما السلام. انتهى.

قوله تعالى ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنْ
الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا



قوله (وإذا ضربتم في الأرض) استعمال الشرط لوضوحه في بيان الأحكام،
أي: وإذا خرجتم للسفر والتجارة بين البلدان، وتعريف الأرض للعموم.

قوله (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) الفاء واقعة في جواب (إذا)،
والمعنى: فليس عليكم إثم التقصير في الصلاة، وفي القصر قال الراغب:
القصر خلاف الطول وهما من الأسماء المتضايقة التي تعتبر بغيرها،
وقصّرت كذا جعلته قصيرا، والتقصير اسم للتضجيع، وقصرت كذا ضمنت
بعضه إلى بعض، وقصّر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض أركانها
ترخيصا. انتهى بتصرف.

واللفظ استعارة بالكناية، شبه الصلاة بثوب طويل ثم حذف المشبه به وأشار
إلى شيء مما يخصه وهو التقصير، والمراد تخفيف الصلاة للمسافر بدلا من
الصلاة الرباعية إلى ركعتين.

قوله (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) التعليق بـ (إن) الشرطية، على ما تقدم
من ترخيص تقصير الصلاة من باب ذكر ما يغلب على أسفارهم من خوف،
وإلا فإن النبي ﷺ أجاز القصر في حال الأمن، والفتنة يراد بها أسر
المؤمنين وتعريضهم للتعذيب لقهرهم على ترك التوحيد.

قوله (إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) تعليل لفتنة الكافرين، وهو لزوم عداوتهم الواضحة للمؤمنين. ووصف عداوة الكافرين بالإبانة لصراحتهم ووضوح كفرهم بالله وعنادهم في الشرك وتبجحهم في ذلك، والتعبير بلفظ المفرد (عدو) والموصوف جمع لأن في لغة العرب يكثر استعمال فعول بمعنى فاعل مفردا مذكرا من غير مطابقة للموصوف، والإخبار في جملة الفاصلة يحمل معنى التحذير للمسلمين.

قوله تعالى ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَّرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٦﴾﴾

قوله (وإذا كنت فيهم) الخطاب للنبي ﷺ، والظرفية (فيهم) بمعنى ضمن أصحابك الخارجين للغزو في جهاد الأعداء، والآية في بيان صلاة الخوف.

قوله (فأقمت لهم الصلاة) الفاء لتفريع معنى إقامة صلاة الخوف جماعة بإمامة النبي ﷺ لهم.

قوله (فلتقم طائفة منهم معك) الكلام تنظيم للعسكر في حال إقامة صلاة الخوف في جماعة، والفاء واقعة في جواب (إذا)، وأمر القيام للدخول بالصلاة مع النبي ﷺ مأمومين لمجموعة من المؤمنين وليسوا كلهم، بل مجموعة تصلي وأخرى تحرس ثم يتبادلون الموقع.

قوله (ولياخذوا أسلحتهم) أي وليمسكوا أسلحتهم، كناية عن الاستعداد واستبعادا للغفلة ومهاجمة العدو.

قوله (فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم) الفاء للتفريع، أي: إذا صلت مجموعة وأخذت سلاحها تأهباً حتى تسرع للفراغ لتأتي مكانها طائفة أخرى فيقوموا للحراسة (من ورائكم) أي أمام العدو بعد الفراغ.

قوله (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك) أي: ولتؤد الصلاة الطائفة الثانية التي تتبادل الموقف مع الأولى الصلاة والحراسة، ويتم ذلك بأن تنهي الطائفة الأولى الركعة الأولى جماعة ويصلون ركعة أخرى ويتشهدون ويسلمون والإمام قائم في الثانية، ثم ينصرفون إلى مواقف أصحابهم، ويحجى الآخرون، فيستفتحون الصلاة، ويصلي بهم الإمام الركعة الثانية، حسب، ويطيل تشهده حتى يقوموا فيصلوا بقية صلاتهم، ثم يسلم بهم الإمام فيكون للطائفة الأولى تكبيرة الافتتاح وللثانية التسليم جماعة. انتهى بتصرف في المجمع.

وعلى هذا لا يُفَرط بالصلاة مع النبي ﷺ، ولا تُكشف صفوف المسلمين فيؤخذوا بالغفلة والمفاجأة.

قوله (وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) إيحاء للمؤمنين حتى يكونوا وقت الصلاة مستعدين متأهبين للعدو غير غافلين من غوائله.

قوله (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم) الفصل لأنه تعليل لأوامر الاستعداد والتنظيم، وهو تمنى الكافرين لو سها المؤمنون وغفلوا عن الاستعداد والزاد.

قوله (فيميلون عليكم ميلاً واحدة) الفاء للتفريع على جملة التمني، أي يحملون عليكم أيها المؤمنون حملة واحدة لقتلكم واستباحة عسكريكم وقت انشغالكم بالصلاة في حال لم تنظموا أمركم كما أمرتم به.

قوله (ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر) أي: ولا حرج عليكم ولا إثم إن أصبتم بأذى ومشقة من مطر يؤدي بكم إلى ضعف.

قوله (أو كنتم مرضى) أو كنتم معتلين أو جرحى.

قوله (أن تضعوا أسلحتكم) الجملة موقعها الجر على تقدير: في أن تضعوا. ووضع الأسلحة كناية عن الضعف في حملها.

قوله (وخذوا حذركم) أي: احذروا من عدوكم لئلا يميل عليكم.

قوله (إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا) إخبار مؤكد لما ينتظر الكافرين من عذاب مذل متضمن معنى طمأننة المسلمين من خوف العدو بسبب كثرة التحذيرات منه.

وفي مناسبة الآية جاء في تفسير في تفسير القمي أنها: نزلت - يعنى آية صلاة الخوف - لما خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية يريد مكة فلما وقع الخبر إلى قريش بعثوا خالد بن الوليد في مائتي فارس ليستقبل رسول الله ﷺ فكان يعارض رسول الله ﷺ على الجبال فلما كان في بعض الطريق وحضرت صلاة الظهر أذن بلال، وصلى رسول الله ﷺ بالناس، فقال خالد بن الوليد: لو كنا حملنا عليهم وهم في الصلاة لأصبناهم فإنهم لا يقطعون صلاتهم، ولكن يجئ لهم الان صلاة أخرى هي أحب إليهم من ضياء أبصارهم، فإذا دخلوا في الصلاة أغرنا عليهم فنزل جبرائيل على رسول الله ﷺ بصلاة الخوف في قوله (وإذا كنت فيهم). انتهى.

ومن هذا التخطيط المنظم في نهج البلاغة قوله عليه السلام موصيا عسكريه: فإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم في قبيل الأشراف أو سفاح الجبال، أو أثناء الأنهار كيما يكون لكم رداء ودونكم مرداء، ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين، واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال ومناكب الهضاب لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن، وأعلموا أن مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم. انتهى.

قوله تعالى ﴿ فَإِذَا قُضِيَتْهُمُ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ (١٠٣)

قوله (فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) الفاء للعطف، والخطاب للمؤمنين وقت الحرب، وقضاء صلاتهم بمعنى الفراغ من أدائها. والأمر بذكر الله كناية عن دوام حضوره تعالى في اللسان والدعاء والتسبيح، وفي العمل في التزام أوامره ونواهيه، ليكون ذلك سبيلا لظفرهم على عدوهم، وانتصب لفظ القيام على الحال، والقعود على العطف، وجملة الظرف (وعلى جنوبكم) موقعها الحال. والمراد دعاء الله في الأحوال كلها.

قوله (فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة) الفاء للتفريع، والاطمئنان زوال الخوف القلبي من العدو وذلك بالرجوع إلى الوطن، فعندها أمر الله تعالى بإقامة الصلاة تامة.

قوله (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) الفصل تعليل للأمر بإقامة الصلاة بأنها مفروضة على المؤمنين ثابت وقتها لا يتغير بحال، والإخبار المؤكد لأهمية الصلاة ورسومها معنى توقيتها.

قوله تعالى ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۚ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

قوله (ولا تهنوا في ابتغاء القوم) الواو للعطف على قوله (إن يمسسكم قرح)، والخطاب للمؤمنين لتهييج حماس القتال فيهم، والنهي عن الوهن نهي عن الضعف في استمرار قتال المشركين بسبب هزيمتهم يوم أحد، و(في) للظرفية المجازية، وابتغاء القوم بمعنى ابتغاء قتال القوم أي طلب المشركين لقتلهم أو أسرهم، والكلام مناسبتة يوم بدر الصغرى أو حمراء الأسد.

قوله (إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون) القطع لأنه تعليل للنهي، والألم شعور النفس بالوجع الشديد، وقد يكون شعورا نفسيا كآلم الهزيمة أو شعور حسيا كآلم الجراحة، والخطاب للمسلمين يوم أحد، وتكرار فعل الألم والتشبيه لمواساة المسلمين من وقع هزيمة يوم أحد، وللتذكير إلى أن الحرب سجل يوم لك ويوم عليك.

قوله (وترجون من الله ما لا يرجون) الكلام تشجيع للمسلمين على الصبر والقتال، لأن رجاء المسلمين وأملهم بوحدة من الحسينيين النصر والغلبة أو ثواب الشهادة، وكلاهما يصدران من الحي القيوم، بينما أمل المشركين في بقائهم أحياء فحسب فلا رجاء لهم من أصنامهم.

قوله (وكان الله عليهما حكيما) أي: وكان الله عليهما بما يصلح عباده حكيما فيما يقضي ويقدر.

قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ١٠٥ ﴾

قوله (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق) فعل الإنزال مجاز في إبلاغ النبي ﷺ رسالة الله تعالى بطريق الوحي، وحرف الجر المقترن به كاف خطاب النبي لانتهاه غاية الإنزال والتبليغ، وتعريف الكتاب للعهد ويراد به المكتوب وهو القرآن، والظرف (بالحق) موقعه الحال، والحق الصدق ردا على مزاعم صدور القرآن من بشر.

قوله (لتحكم بين الناس بما أراك الله) جملة علة لإنزال الكتاب، وهو قضاء النبي ﷺ بين المتخاصمين بما أطلعه الله على أحكام القرآن وعلمه.

قوله (ولا تكن للخائنين خصيما) نهي عن الدفاع عن الخائنين قبل التبیین بأن يكون خصما عنهم فيمن طالبهم بحقه، فقد قيل إن الآيات نزلت في مثل هذه الظروف من مدعي الحق والمحتالين عليه، من خيانة الخائنين من قومه الذين يضعون شعرا يهجون به أصحاب النبي ﷺ وينسبونه إلى قریش، أو الذين يسرقون ويرمون بالتهمة على الأبرياء من بني أبيرق (بشر وبشير ومبشر)، إذ احتالوا بتدبير الكذب والشهود لإضلال النبي في قضائه.

والنهي فيه وإن كان للنبي ﷺ إلا إنه خطاب للأمة عن التسرع في الانقياد إلى ظواهر حق في عمقه باطل، ومصدق ذلك كثير في حياة الأمة كانقيادها في خلافة الإمام علي عليه السلام إلى باطل شعار الخوارج (الحكم لله لا لك يا علي) فقال الإمام كلمته المشهورة (كلمة حق أريد بها باطل)، لذلك ستؤكد الآيات اللاحقة النهي عن أشكال المجادلة عن هؤلاء الملبسين الحق باطلا ابتغوا إيهام النبي ﷺ بتحشيد الشهود لباطلهم وإلقاء التهم على الآخرين.

قوله تعالى ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ١٦﴾

قوله (واستغفر الله) أمر من الله لنبيه بالاستغفار عما هم به من الدفاع عن الخائن الذي حاول إضلال النبي ﷺ كما في بيان سبب النزول.

قوله (إن الله كان غفورا رحيمًا) القطع علة لطلب الاستغفار وهو كثرة مغفرته سبحانه ورحمته بعباده.

قوله تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ١٧﴾

قوله (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) المجادلة مفاعلة وهي مراجعة الكلام بين المتجادلين على سبيل الغلبة لذلك تفضي إلى التنازع.

ويراد بالكلام النهي عن الخصام في تبرئة الخائنين المحتالين على الحق، والخطاب وإن توجه إلى النبي ﷺ غير أن المراد به أمته على عادة الأسلوب

القرآني في اتخاذ الرسول وسيلة خطاب وتربية لأمته، وقوله (الذين يختانون أنفسهم) أي يخون أنفسهم، وإنما قال (أنفسهم) لأن خيانتهم تعود بالضرر عليهم أنفسهم، كما يقال: ما ظلمت إلا نفسك، والخيانة نقبض الأمانة، قال الراغب: والاختيان مراودة الخيانة ولم يقل: تخونون أنفسكم، لأنه لم تكن منهم الخيانة بل كان منهم الاختيان، فإن الاختيان تحرك شهوة الانسان لتحري الخيانة. انتهى.

قوله (إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما) إخبار على نحو التأكيد بنفي حب الله لمن كان كثير الخيانة مأثوما، ونفي الحب مجاز يراد به نقيضه وهو غضبه تعالى، والكلام تعليل لجملة النهي عن المجادلة لتبرئة الخائنين.

قوله تعالى ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾

قوله (يستخفون من الناس) الاستخفاء مبالغة في الخفاء، إشارة إلى تسترهم بمعاصيهم خشية الناس أو حياء منهم.

قوله (ولا يستخفون من الله وهو معهم) أي: ولا يتسترون أو يستحيون من ربهم. والتصريح بلفظ الألوهية لإنكار الفعل. وجملة (وهو معهم) موقعها الحال، والمعية مجاز في العلم والإدراك، وفي الكلام مقابلة بين معنيين متضادين يراد به إظهار قبيح هذا الفعل، فهم يكتمون الحق ويعلمون باطل

العمل ثم يؤيدونه حياء من الناس، مع أن الأولى أن يخشوا الله في ذلك لأن الله معهم يعلم ما يكتُمون ويستخفون وما يبذون ويعلنون، وفي الآية توبيخ للخائنين ولما يرمون به الأبرياء من باطل ما يقترفونه.

قوله (إذ يبيتون ما لا يرضى من القول) الظرفية (إذ) بمعنى: وقت، والتببيت تدبير الحيل ليلا، وفاعله (الذين يختانون أنفسهم)، وفاعل فعل الرضى الله تعالى، والكلام كناية عن تدبير قول الكذب في النفس ليلا بعد رواح الناس وغياب العيون، فقد قيل إنها نزلت في رجل سرق درعا ورمى بالتهمة على آخر بريء ثم شهد له قومه بذلك القبيح.

قوله (وكان الله بما يعملون محيطا) مصي الكون بمعنى الاستمرار أي كان ولم يزل. وتقديم المعمول للأهمية. والإحاطة استعارة للعلم التام بالشيء. والإخبار يراد به التهديد.

قوله تعالى ﴿ هَآأَنُتُمْ هَآؤُلَآءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾

قوله (ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا) تفيد (ها) التنبيه، والخطاب في (أنتم) للذابين عن السارق، ولفظ الإشارة، بمعنى: ها أنتم الذين لأن هؤلاء وهذا يكونان في الإشارة للمخاطبين إلى أنفسهم بمنزلة الذين. كذا قال في المجمع. انتهى.

قوله (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) استفهام مجازي يحمل دلالة النفي ويراد به التقرير والتوبيخ، أي: لا مجادل عنهم يدافع، ولا شاهد على براءتهم يوم القيامة، فالشاهد يوم القيامة هو الحاكم، وهو الله سبحانه.

قوله (أم من يكون عليهم وكيلا) الاستفهام إنكار ثان لمن يتكفل أمورهم ويدبرها لهم يوم القيامة.

قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝﴾

قوله (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه) الشرط لبيان الحكم في جوابه، وهو الترغيب الخائنين ومن في أمرهم على التوبة وطلب المغفرة، وذكر عمل السوء أولا في التردد توع تدرج في الكلام من صغائر الذنوب إلى كبيرها، والله أعلم.

وسمي العمل السيئ سيئا تشبيها لما يقبح منظره وتنفيرا له عن الطبع السليم لفطرة الإنسان، وفي الآية معنى الرحمة متجسد لمن يتوب، وسمى من يظلم الآخرين بسرقتهم أو بإلقاء التهم عليها ظلم للنفس حملا على عائدية الضرر عليها في الدنيا والآخرة.

قوله (ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا) تفيد (ثم) التراخي الرتبى، والاستغفار طلب المغفرة من الله، وفعل الوجدان بمعنى الإدراك والعلم،

والتصريح باسم الجلالة من باب وضع الظاهر موضع المضمر للتعظيم،
والغفور الرحيم من صفات التكثير، وهما من أسمائه العلى جل شأنه.

قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا ۝﴾

قوله (ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه) (من) للشرط، واستعمال
الشرط أبين في تفصيل المعنى، وفعل الكسب وأصل استعمال فعل الكسب
لما ينفع، واستعملت بالكثرة لما يضر، ولا يخلو إطلاقها هنا على الإثم من
الاستهزاء بالظالمين، فهو يخسر من حيث يعتقد الربح بالسرقة وغيرها في
حسابات التجارة، وتعدية الفعل بحرف الجر (على) لتضمنه معنى عود
ضرره على النفس.

قوله (وكان الله عليما حكيما) إخبار متضمن التهديد، أي: عليم بفاعل الإثم
وإن احتال ورمى به غيره، وهو عز وجل حكيم لا يؤاخذ بعقابه إلا الفاعل
دون البريء، وكلتا الصفتين من الصفات المشبهة بالفعل، وهما بعد من
أسمائه العلى جل شأنه.

قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ
أُحْتَمِلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ۝﴾

قوله (ومن يكسب خطيئة أو إثما) العطف لبيان حكم آخر من أحكام عمل المعاصي. والترديد بين الخطيئة والإثم لأن الأولى بمعنى الذنب عامة متقصدا أو غير متقصد. قال الراغب: والخطيئة والسيئة يتقاربان لكن الخطيئة أكثر ما تقال فيما لا يكون مقصودا إليه في نفسه، بل يكون القصد سببا لتولد ذلك الفعل منه كمن يرمي صيدا فأصاب إنسانا أو شرب مسكرا فجنى جناية في سكره. انتهى. في حسين لفظ الإثم فيه معنى العمد وهو اسم للأفعال المبطئة عن الثواب كما قال الراغب. انتهى. واستعمل الإثم في آيات الكتاب فيما يوجب من آثار وخيمة وأعمال قبيحة بأشد من معنى الخطيئة، نحو إطلاقه على الخمر.

قوله (ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً) جزم فعل الرمي لعطفه على (يكسب) بأداة العطف (ثم) التي أفادت التراخي الترتيبي في الكلام، وفعل الرمي استعارة من الأعيان، والإثم مفهوم عقلي وإن كان له واقع خارجي، فقد شبهه بشيء ثقيل ثم حذف المشبه به وأشار إليه بشيء مما يخصه وهو الرمي على سبيل الاستعارة المكنية، مبالغة في تجسيد المعنى وأثره في النفس، واستعماله هنا في غاية التناسب والتلميح مع الشيء المسروق ثم رمية على الآخرين ظلما كما ذكر في أصل النزول، والهاء في (به) عائد إلى الخطيئة أو الإثم، وجيء به مفردا مذكرا لأنهما بمعنى واحد، قال الفراء: وذلك جائز أن يُكنى عن الفعلين وأحدهما مؤنث بالتذكير والتوحيد، ولو كثر لجاز عنه بالتوحيد، لأن الأفاعيل يقع عليها فعل واحد، فذلك جاز، وإن شئت ضمنت الخطيئة والإثم فجعلته كالواحد. انتهى.

والفاء في (فقد) واقعة في جواب (من) الشرطية، وفعل الاحتمال استعارة وهو تكلف في حمل وزر الافتراء على المظلومين، لأنه سيحمل على ظهره وزرين: وزر ما بهت به غيره، ووزر عمله السيء الذي عبر عنه بالإثم المبين الواضح الذي لا شك فيه، وإسناد صفة الإبانة إلى الإثم مبالغة من المجاز العقلي.

وصيغت الآيات الثلاث على نحو العموم بأسلوب واحد هو الشرط وجزاؤه مع بيان عواقب فاعل السوء في الأحوال الآتية:

الأولى: صورة الظالم الذي لديه أمل التوبة إن استغفر.

الثانية: صورة المصّر على فعل القبيح.

الثالثة: صورة من يفعل القبيح ويرمي به غيره، وهي أشد الصور قتامة.

قوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١١٣﴾

قوله (ولولا فضل الله عليك ورحمته) الخطاب للنبي ﷺ، أي: لولا منن الله تعالى على رسوله باصطفائه وتسديده بالعصمة من السهو والخطأ لأوقع الخائنون النبي في إضاعة الصواب في الحكم.

قوله (لهمت طائفة منهم أن يضلوك) اللام واقعة في جواب (لولا)، والهم العزم على الفعل، والطائفة الجماعة وهم على ما جاء في سبب التنزيل بنو أبيرق، وموقع المصدر المؤول (أن يضلوك) النصب بمعنى: إضلالك، والمخاطب النبي ﷺ، وهو تكنية عن الوقوع فيما لا يجوز من وهم الحق المدعى، لأنهم جاؤوا بشهود زور كادت تؤثر في حكمه لصالحهم لولا تدارك الله لنبيه وتسديده بالحق وهي عصمته بالله ﷻ.

قوله (وما يضلون إلا أنفسهم) الكلام رد من الله على الخائنين في محاولتهم إيقاع الرسول في الشبهة، بأن وبال فعلهم عائد على أنفسهم لأنهم سيعاقبون على ما فعلوا، وإيراد المعنى بالنفي والاستثناء للتأكيد الشديد.

قوله (وما يضرونك من شيء) نفي مطلق منه تعالى لإمكان إيقاع أي ضرر بنبيه لتحصينه بسداد العصمة، والضرر الأذى استعمل مجازاً لإيقاع النبي ﷺ في إضاعة صواب الحكم، وتفيد (من) استغراق النفي.

قوله (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة) الجملة موقعها الحال، والمعنى: كيف يضلونك وأنت مسدد بالقرآن وأحكامه وعلوم شرائع الأولين من الرسل، وفعل الإنزال مجاز في تبليغ النبي ﷺ آيات القرآن التي عبر عنها بالكناية بالكتاب أي المكتوب لتوثيقه ونفي تغييره، والحكمة القول السديد مأخوذ من

الإحكام، والمعنى أقرب إلى الكناية عن سنته الشريفة، وعطفها لأنها منسوبة إلى فعل الإنزال من الله فهي من أطافه تعالى بنبيه.

قوله (وعلمك ما لم تكن تعلم) التعليم التفهيم، والفاعل الله تعالى أفهم نبيه بالوحي علوم الأولين من الشرائع التي سبقته وأفهمه أسرار التنزيل وأبلغه ما غاب عنه من أخبار الأمم الماضية وما يجيء من مستقبل الحوادث.

قوله (وكان فضل الله عليك عظيماً) إخبار امتناني من الله على نبيه، والفضل أصله زيادة الخير على الاستحقاق، ووصفه بالعظم لكثرتة، والله جعل رسوله ﷺ خاتم النبيين وجعل رسالته خاتمة الشرائع وجعل كتابه مهيمنا على الكتب السماوية التي سبقته ناسخا لها، وفي الكلام تفنن بديعي فقد بدأت الآية بتفضل الله على النبي ﷺ وختمت به، ويسمى رد العجز على الصدر.

قوله تعالى ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

قوله (لا خير في كثير من نجواهم) الفصل استئناف ابتدائي لإفادة الحكم في شأن المتناجين وهم الذين يسارون في الحديث للتأمر وتببيت السوء، وقد كانت المدينة مجتمع فتن أول هجرة الرسول تأمر عليهم المنافقون واليهود، ولذلك الكلام عائد إلى ما تقدم في قوله تعالى (وإذ يبيتون ما لا يرضى من القول)، ونفي الخير نفي لمطلق معانيه من النفع والفائدة التي تعود على

الغير، وتفيد (من) التبعض، والنجوى المسارة في الحديث بين اثنين أو أكثر، وما يفضي بعضهم إلى بعض من أسرار تضر بمجتمع الإسلام، وأصله مأخوذ من نجوة الأرض المرتفع منها للتخلية والتنحي عن الآخرين.

قوله (إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس) الاستدراك لإخراج القلة ممن عدت الآية من حكم نفي الخير عن كثير من تناجي المتناجين، وهم الأمرون بصدقة أو معروف أو إصلاح، لعلاقتها بما ينفع الناس فهي أفضل تناجيهم، وكلها من أعمال الخير التي تربي الفرد والمجتمع، وفي الكلام خفض تقديره: إلا فيمن. والترديد بـ (أو) للحصر لا للجمع.

والصدقة الإنفاق على المستحقين المعوزين، وإفرادها بالذكر مع أنها من جملة المعروف لمناسبتها لفعل التناجي، والمعروف لفظ شامل لعمل الخير، وهو كل ما رضيته الشريعة ووافقه العرف والعقل، والإصلاح بين الناس العمل على ما يقربهم من بعض ويبعد عنهم التفرقة ويصلح شأنهم، وفي تفسير القمي روي عن الصادق عليه السلام قوله: إن الله فرض التمثل في القرآن، قلت: وما التمثل جعلت فذاك؟ قال: أن يكون وجهك أعرض من وجه أخيك، فتمثل له وهو قول الله (لا خير في كثير من نجواهم). انتهى.

قوله (ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما) وتفيد (من) الشرط، ولفظ الفعل متضمن معنى التأثير، قال الراغب: الفعل التأثير من جهة مؤثر وهو عام لما كان بإجادة أو غير إجادة ولما كان بعلم أو غير

علم وقصد أو غير قصد، ولما كان من الإنسان والحيوان والجمادات، والعمل مثله، والصنع أخص منهما. انتهى.

ولفظ الإشارة لتمييز ما ذكر من استثناء النجوى، والابتغاء الطلب، ونصبه على الحال، والمرضاة مصدر ميمي والتصريح باسم الله لتعظيم أمر الرضا، والفاء في (فسوف) واقعة في الجزاء، والأداة تحيل على ما يستقبل من الجزاء على الفعل وهو يوم القيامة، والإتيان إعطاء الثواب الجزيل.

واستعمال أسلوب الشرط لبيان أن الأجر العظيم مشروط بكون تلك الأعمال لوجه الله وطلب مرضاته، لا لابتغاء الشهرة والرياء وطلب الرئاسة أو التفضل لتضخيم الذات ونحوه.

قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝١١٥﴾

قوله (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى) المشاققة والتشاقق مأخوذ من الشق والتباين، ويراد به المخاصمة والمعاداة، لأن كل طرف في شق عن الآخر. وتعريف الرسول للتعظيم وبيان الحجة على المشاقق، وهو أنه وضع نفسه في معاداة رسول الله، و(من) زائدة للتأكيد، و(ما) مصدرية بمعنى تبين، والتبيين التوضيح على نحو لا شك فيه، والظرف (له) تقدم على عامله الهدى للأهمية، والهدى كناية عن دين التوحيد، نقيض الضلال، وجملة الظرف (من بعد ما تبين له الهدى) موقعها الحال.

قوله (ويتبع غير سبيل المؤمنين) جملة تقرير لمشاقة الرسول، لأن اتباع غير سبيل المؤمنين يراد به شق عصا وحدة مجتمع الإسلام القائمة على طاعة الله ورسوله.

قوله (نوله ما تولى) جزم الفعل لأنه جواب الشرط، والمعنى: أن الله يلزمه بما ألزم به نفسه، ويعرض عنه ويخلي بينه وبين نفسه لاعتماده غير سبيل المؤمنين، والتولية الانقياد والاتباع.

قوله (ونصله جهنم) العطف لأن صليبه بالنار من جملة الجزاء، وهو العذاب الأخروي وما تقدم العقاب الدنيوي.

قوله (وساعت مصيرا) جملة ذم لسوء المنقلب، وانتصب لفظ المصير على التمييز، أي: ساءت جهنم مصيرا.

والآية بينت بفعل الشرط صورة المخاصم المعادي للنبي ﷺ، والمتبع طريق الشرك والنفاق فكان جواب الشرط صورة لمآله بتخليته إلى نفسه وإيكاله إلى ما تبني من نفاق وأصنام وشرك، وصليبه بجهنم نتيجة حتمية لا بد منها لكل من يوكل إلى نفسه بعيدا عن رحمة الله كحال ابن أبي أبيرق سارق الدرع الذي قيل - كما في المجمع - إن الآية نزلت بسببه، إذ لما أنزل الله في تقريره وتقرير قومه الآيات كفر وارتد، ولحق بالمشركون من أهل مكة، ثم نقب حائطاً للسرقة، فوقع عليه الحائط فقتله، وقيل: إنه خرج من مكة نحو الشام، فنزل منزلاً وسرق بعض المتاع وهرب فأخذ ورمي بالحجارة حتى قتل. انتهى.

ولا ريب في أن خصوصية نزول الآيات لا يلغي عموم أحكامها وشمولها لأزمان مختلفة، فالقرآن لا ينحصر بزمان معين.

قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿١١٦﴾

قوله (إن الله لا يغفر أن يشرك به) اتساقا الآية مع ما سبقها في معنى مشاقة الرسول فإن مقام الآية التعليل لقوله (نوله ما تولى ونصله جهنم) لكون مخالفته ﷺ من جملة الشرك، والمغفرة ستر الذنوب، فكونه تعالى لا يغفر للمشرك ذنبه فقد أنزل به عقابه الشديد وهو عذاب النار الدائم.

قوله (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) أي: ويغفر ما دون مشاقة الرسول لمن يشاء بحكمته، قال في الميزان عن هذه اللاحقة: إنما هو لتتميم البيان وإفادة عظمة هذه المعصية المشؤومة أعني مشاقة الرسول. انتهى.

قوله (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) الكلام تذييل لما سبق. والشرك بالله اتخاذ إله آخر معه للعبادة، والضلال إضاعة طريق الصواب ووصفه بالبعد مجاز يراد به تباعد مراتبه عن الحق والجنة كأبعد ما يكون بسبب الشرك بالله.

قوله تعالى ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ ﴿١١٧﴾

قوله (إن يدعون من دونه إلا إناثا) الكلام بيان لقوله (ضل ضلالا بعيدا)، وفائدة أسلوب القصر بالنفي والاستثناء حصر عبادة الضالين بالإناث وبالشياطين، وفعل الدعوة كناية عن العبادة لأن العبادة أصلها دعاء العبد لمعبوده، ومعنى (من دونه) أي: من غير عبادة الله، ولفظ الدون يقال للقاصر عن الشيء، ومن هنا كُنيت بها عبادة المشركين لأصنامهم، والإناث جمع أنثى وأصل اللفظ مأخوذ فيه معنى السهولة والانفعال، ولذا أطلق اللفظ على ما في هذا الحكم، قال في المفردات: وقيل أرض أنيث سهل اعتبارا بالسهولة التي في الأنثى أو يقال ذلك اعتبارا بجودة إنباتها تشبيها بالأنثى، ولذا قال أرض حرة وولودة، وقال: ولما كانت معبوداتهم من جملة الجمادات التي هي منفعة غير فاعلة سماها الله تعالى أنثى وبكتهم بها ونبههم على جهلهم في اعتقاداتهم فيها أنها آلهة مع أنها لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر بل لا تفعل فعلا بوجه. انتهى.

قوله (وإن يدعون إلا شيطانا مريدا) الجملة بيان لما سبقها لأن دعوتهم غير الله في حقيقتها دعوة للشيطان، والشيطان محض الشر، ووصفه بالمريد بمعنى المتعري من كل خير، وأصل اللفظ للملامسة، مأخوذ من قولهم: شجر أمرد إذا سقط ورقه وتعري منه، ومنه المتمرد المتملس من الطاعة.

قوله تعالى ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾



قوله (لعنه الله) الجملة موقعها للصفة للشيطان، واللعن الطرد من رحمته تعالى. وفصلها لأن محلها التعليل لوصفه بالمريد.

قوله (وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) العطف لأن القول المحكي عن الشيطان وقع بعد لعن الله له، واللام في (لأتخذن) مشعرة بالقسم، قال في المجمع: والاتخاذ أخذ الشيء على وجه الاختصاص، فكل من أطاعه فإنه من نصيبه وحزبه، كما قال سبحانه (كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله). انتهى.

و(من) للتبيين، وإضافة العباد إلى كاف الألوهية، بمعنى أن توليهم للشيطان لا يخرجهم من كونهم مربوبين لله، والنصيب المفروض القسم المعلوم المقطوع للشيطان من العباد، قال في التبيان: والفرض القطع، والفرضة التلثة تكون في النهر، والفريضة: كل ما أمر الله به وألزمه. انتهى.

قوله تعالى ﴿وَلَا ضِلَّيَهُمْ وَلَا مَنِّيَهُمْ وَلَا أُمُوتَهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَازَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مُوتَهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾

قوله (وَلَا ضِلَّيَهُمْ) الواو للعطف لأنه متصل بما قبله مما أخبر الله به عن قول الشيطان، والجملة مؤكدة بالقسم ونون التوكيد، والإضلال حمل العباد على إضاعة طريق الحق والصواب، بوسوسته لهم وتزيين باطل أعمالهم.

قوله (وَلَأْمَنِيَّهِمْ) فعل الأمنية رغبة في القلب بطلب تحقيق المحال، والمعنى: يقسم الشيطان لله بإغواء العباد بطول البقاء، والإخلاد إلى اللذات لنسيان الآخرة، وتزيين شهواتهم بحسب ما تميل إليه طباعهم فيصدهم عن طاعة الله.

قوله (وَلَأْمَرْتَهُمْ فَلْيَبْتَكَنْ آذَانَ الْأَنْعَامِ) والمعنى: يقسم الشيطان بأنه سيأمر عباد الله بصرفهم عن عبادة الله إلى عبادة الأصنام، والفاء للتفريع، والتبتيك الشق والقطع، والآذان جمع أذن، والأنعام من الحيوان كالإبل والبقر والماعز والضأن.

والمعنى: لأمرن النصيب المفروض من عبادك بعبادة غيرك من الأنداد والأوثان، لينسكوا لها ويحرموا ويحلوا ويشرعوا غير الذي شرعه الله لهم فيتبعوني ويخالفوك.

وفي الكلام فن بديعي يسمى الإدماج، لأنه دمج بين قول الشيطان وبين التعريض بعبادة مشركي مكة لأصنامهم وما يفعلون من نذر أنعامهم لها، فبتك الآذان فعل جاهلي قديم يُحرّمون به أكل ما أُجلّ، قال الزمخشري: فكانوا يفعلون ذلك بالبحيرة والسائبة يشقون أذن الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكروا وحرّموا على أنفسهم الانتفاع بها. انتهى.

قوله (وَلَأْمَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرْنَ خَلْقَ اللَّهِ) الأمر يكون بوسوسة الشيطان لأتباعه وتزيينه لفعلهم، وتغيير خلق الله كناية عن تحريمهم ما أحلّ الله وتحليلهم ما حرّم.

قوله (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا) أي: ومن اختص باتباع الشيطان وطاعته من غير الله فقد هلك هلاكاً لا شبهة فيه وهو العذاب في النار، وفعل الخسران استعارة للهلاك بالكناية عن إضاعة رأس المال، ووصفه بالمبين لأنه ليس هناك صفقة بيع أخسر من استبدال طاعة الشيطان بطاعة الرحمن.

قوله تعالى ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٢٠)

قوله (يعدهم ويمنيهم) فصل جملة الوعد لأنه تعليل لخسران من يتولى الشيطان، لأنه يعد أوليائه بالأمانى الباطلة كدوام البقاء في الدنيا والصدّ عن الإيمان بالآخرة.

قوله (وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) الجملة تفسير لوعد الشيطان لأوليائه، ووصفه بالغرور لأنه وعد خادع لا أصل له ولا حقيقة.

قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ مَأْوَهُم جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾



قوله (أولئك مأواهم جهنم) لفظ الإشارة لإحضار صورة أولياء الشيطان وتمييزهم لبيان سوء عاقبتهم، وهي إدخالهم نار جهنم.

قوله (ولا يجدون عنها محيصا) الجملة تقرير لسلوك أتباع الشيطان في جهنم، فلا مفر لهم عنها ولا عدول، وتقديم المعمول (عنها) للاهتمام والهاء

عائد إلى نار جهنم، والمحيص من فعل الحوص وهو التغيير والعدول عن الجهة.

قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ۖ﴾

قوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) الكلام في المؤمنين بالتوحيد العاملين بطاعته تعالى، يقابل ما تقدم من ذكر الكافرين المتبعين للشيطان.

قوله (سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار) إخبار بوعد المؤمنين بالنعيم الدائم يوم القيامة، والالتفات من خطاب الحضور إلى الغيب تعظيم للمؤمنين، وإشعار بقربهم منه تعالى.

قوله (خالدين فيها أبدا) انتصب لفظ الخلود على الحال، والهاء المقترن بالظرف عائد إلى الجنات، والتأبيد حال بعد حال لدوام الخلود.

قوله (وعد الله حقا) الجملة تقرير لمعنى ما تقدمها، وانتصب المصدر (وعد) بفعل محذوف من لفظه تقديره: وعد الله وعدا، ولفظ الحق للثبات ونفي التغيير تأكيد للوعد، والكلام يقابل الإخبار عن وعد الشيطان في قوله (وما يعدهم الشيطان إلا غرورا).

قوله (ومن أصدق من الله قيلا) الاستفهام مجازي يراد به النفي والتقرير، بمعنى لا أحد أصدق قيلا من الله تعالى، والقيـل والقول واحد، وتقديم المعمول للاهتمام ورعاية الفاصلة.

قوله تعالى ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿١٢٢﴾

قوله (ليس بأمانيكـم ولا أمانـي أهل الكتاب) الفصل للاستئناف الابتدائي، والخطاب للمؤمنين، والباء المقترن بلفظ الأمانـي للملابسة وليست واقعة في خبر (ليس)، واللفظ استعارة لمخيلات وأوهام توهمها بعض المسلمين وأضيف إليهم بعض من أهل الكتاب في أن لهم كرامة عند الله بمجرد إيمانهم بالله من دون العمل به، والأمنية رغبة قلبية شديدة، واسم (ليس) محذوف تقدير: ليس الأمر بأمانيكـم، والمعنى: ليس الثواب والعقاب يكون برغبتكم أيها المسلمون، ولا برغبة اليهود والنصارى من دون عمل.

قوله (من يعمل سوءا يجز به) القطع لأنه في تقدير الجواب عن سؤال محذوف تقديره: فكيف يكون تحصيل الثواب إذا لم يكن الأمر خاضعا للأمانـي؟ فأجيب بأن مدار الأمر قائم على العمل فيجازى عليه، خير بخير وشر بشر، وخص عمل السوء بالذكر لأن السياق دائر في سوء التقدير من المسلمين وغيرهم، وذكر السوء لمطلق الذنب، والآية منطبقة على سبب

التنزيل وهو ما ذكر فيما تقدم من سرقة بعضهم ورمي غيرهم بها، ثم محاولة تخطئة النبي ﷺ بالحكم على المتهم، على ما حُكي في الآيات السابقة.

قوله (ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) النفي بوجود الناصر والولي عن عامل السوء مطلق غير مقيد يشمل الدنيا والآخرة.

قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ۝١٢٤﴾

قوله (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) العطف لنتميم الفائدة بذكر الصالحين بعد المسيئين، وتفيد (من) التبعية للتوسعة على المؤمن بالوعد فلولاها لأفاد الشرط أن يكون كل عمل صالح دون بعضه، وذكر الصالحات من باب إقامة الصفة مقام الموصوف وهي الأعمال، و(من) لبيان الجنس، والترديد بين الذكر والأنثى لتساويهما عند الله بالمجازاة على العمل خلافا - والقول لصاحب الميزان - لما كانت تزعمه القدماء من أهل الملل والنحل كالهند ومصر وسائر الوثنيين أن النساء لا عمل لهن ولا ثواب لحسناتهن، وما كان يظهر من اليهودية والنصرانية أن الكرامة والعزة للرجال، وأن النساء أذلاء عند الله نواقص في الخلقة خاسرات في الأجر والمثوبة، والعرب لا تعدو فيهن هذه العقائد فسوى الله تعالى بين القبيلين بقوله (من ذكر أو أنثى). انتهى.

وجملة (وهو مؤمن) مقيدة للعمل الصالح موقعها الحال، والتوحيد لأن (من) اسم مبهم موحد اللفظ مجموع المعنى، فيعود الضمير مرة على اللفظ ومرة على المعنى كما ذكر بعدها بالجمع (فأولئك). كذا ذكر في المجمع. انتهى بتصرف.

قوله (فأولئك يدخلون الجنة) الفاء واقعة في جواب (من) الشرطية، ولفظ الإشارة للتنويه بالمؤمنين والمجازاة على أعمالهم الصالحة بإدخالهم الجنة. قوله (ولا يظلمون نقيرا) أي: ولا يبخص حق المؤمنين مقدار نقير نواة تمر، وهو ما يكون في شقها كناية عن أدنى المقدار.

قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ ﴿١٢٥﴾

قوله (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) أفاد الاستفهام بـ (من) المجاز الإنكاري، أي: لا أحد أحسن ممن دان بدين الإسلام، والحسن كمال الشيء، وإسلام الوجه لله التدين بدين الإسلام، وجوهره الانقياد والخضوع لله، ولذلك خص الوجه بالذكر لأنه أشرف ما عند العبد يتذلل به لنيل القرب من الله والتخضع إليه، وقوله (وهو محسن) قيد للمسلم موقعه الحال، أي الفاعل للإحسان.

قوله (واتبع ملة إبراهيم حنيفا) العطف لأن الجملة موقعها الصفة للمسلم،
واتباع ملة إبراهيم عليه السلام الاقتداء بطريقته والاستئنان بسنته، وانتصب لفظ
الحنف على الحال، ويراد به الاستقامة في المنهاج.

قوله (واتخذ الله إبراهيم خليلا) الإخبار بخلة الله لإبراهيم لتهييج إيمان
المؤمنين باتباع ملته، والخلة المودة وهي من الله مجاز في اصطفاء إبراهيم
ونصرته ضد النمرود ودفع المكروه عنه، أما الخلة من إبراهيم فتعني شدة
موالاته لله ولأوليائه ومعاداة أعدائه، فقد كان أمة بذاته يعبد الله وحده في
الأرض، وفي تفسير القمي عن أبي عبد الله عليه السلام: إنما اتخذ إبراهيم خليلا
لطاعته، ومسارعته إلى رضاه، لا حاجة منه سبحانه إلى خلته. انتهى.

وفي العيون بإسناده عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال:
سمعت أبي يحدث عن أبيه عليه السلام أنه قال: إنما اتخذ الله إبراهيم خليلا لأنه لم
يرد أحدا، ولم يسأل أحدا قط غير الله عز وجل. انتهى.

فتوصيف إبراهيم بأنه خليل الله تشريف له يدل على شدة انقطاعه لربه
وافتنقاره له، كما سمي موسى بكليم الله، وعيسى بروح الله ونبينا بحبيب الله.

قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ 

قوله (ولله ما في السماوات وما في الأرض) العطف لاتصال الكلام، وذكر
ملك الله تعالى لما في السماوات والأرض لدفع دخل توهم معنى الخلة بأنها

احتياج وافتقار، وتقديم الظرف (لله) للقصر، وتفيد (ما) معنى دخول العاقل وغير العاقل في ملك الله.

قوله (وكان الله بكل شيء محيطاً) الجملة تذييل بعلم الله بكل شيء ومن جميع جهاته، بالتكنية عنه بلفظ الإحاطة، وتعني التمكن والإدراك.

قوله تعالى ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضَعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ ﴿١٢٧﴾

قوله (ويستفتونك في النساء) الواو للرجوع بالكلام إلى أحكام مواريث النساء ومهورهن في أول السورة، والاستفتاء طلب الفتوى وهو تبيان الحكم الشرعي فيما أشكل من أمر النساء، وفاعل الفعل يدل على أن المسلمين سألوا النبي ﷺ عن أمر النساء اليتيمات فيما يخص حقوقهن لأنه من ابتداعات الإسلام في حفظ حقوق النساء لم يكن معهودا عندهم ذلك في الجاهلية، وربما استغربوه لذلك أكدته الآية بأنه حكم مقطوع من الله لا دخل للنبي فيه.

قوله (قل الله يفتيكم فيهن) التلقين بمعنى: أخبرهم يا محمد أن الله يبين الحكم في أمر النساء.

قوله (وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء) الواو للعطف على (فيهن) لأن السؤال دار حولهن بمعنى: وتفتيكم الآيات المقروءة عليكم أيها المسلمون في حكم صغار النساء اليتيمات، ويشير إلى قوله أول السورة (وإن خفتن ألاّ تقسطوا)، وذلك لأنهن كن محرومات من الإرث والمهور في الجاهلية، فنهى الإسلام عن ذلك وأثبت حقوقهن، وإضافة اليتامى إلى النساء من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

قوله (اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن) جملة الموصول وصلته موقعها الصفة ليتامى النساء، أي: الممنوعات مما قضى الله لهن من الإرث أو المهر.

قوله (وترغبون أن تنكوهن والمستضعفين من الولدان) العطف لأن ذكر نكاح اليتيمات والمستضعفين من الولدان متصل بحكم النساء الوارد أول السورة، وهو لم يكن بحسب الظاهر من ضمن ما استفتي عنه ولكنه ذكر لاتصال المناسبة فانقل بالحكم من الخاص إلى العام، وأريد بفعل الرغبة - بحسب سياق الحرمان - العزوف عن التزويج بهن بتقدير: وترغبون عن نكاحهن، لأنهم كانوا يستمتعون باليتيمات الجميلات منهن ويعضلون الدميمات طمعا في مالهن، وكذلك يفعلون بالمستضعفين من صغار اليتامى يحرمونهم حقهم بحجة ضعفهم عن ركوب الخيل ولا يمنعون ظلما، نقل في التبيان أن عيينة بن حصن كان يقول: يا محمد أتعطي الولدان المال؟ إنما يأخذ المال من يقاتل ويحوز الغنيمة. انتهى.

قوله (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) العطف على الضمير في (فيهن)، والمعنى: والله يفتيكم أن تقوموا لليتامى بالقسط، وفعل القيام استعارة للمبالغة في تحقيق العدل لليتامى في حفظ حقوقهم من الإرث وسائر أحوالهم صغيرا كان أو كبيرا، ذكرا كان أو أنثى، واللام المقترن بلفظ اليتامى للغاية بمعنى: لأجل اليتامى، والباء المقترن بالقسط للملابسة، والقسط أخص من العدل.

قوله (وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما) الشرط لبيان حكم جوابه المتسق مع سياق الآية، وتضمن معنى الترغيب والترهيب.

قوله تعالى ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا



قوله (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا) العطف على ما تقدم لاتصال الكلام في أحكام النساء، وخوف المرأة من نشوز زوجها بمعنى إدراكها لعلامات رغبته عنها واستعلائه عليها رغبة إلى غيرها، ولذلك اختير لفظ البعل لما فيه من معنى الاستعلاء، والنشوز من النشز وهو المرتفع من الأرض، استعمل استعارة لتعالي الزوج على زوجته وإعراضه عنها.

قوله (أو إعراضاً فلا جناح عليهما) الترديد بـ (أو) بمعنى استتعار الزوجة معنى تجاهل بعلمها لها وتجافيه عنها، وكلا اللفظين - النشوز والإعراض - من الكنايات التي تعني التجافي بين الزوجين والتباعد، والكلام هنا عن نشوز الرجل لزوجته استعلاء أو كراهة أو رغبة عنها لدمامتها أو علو سنّها، والفاء واقعة في جواب (إن) الشرطية، ونفي الجناح عنهما بمعنى نفي الإثم، والجنحة والجناح واحد وهما الذنب الصغير.

قوله (أن يصلحاً بينهما صلحاً) الصلح الذي وجهت به الآية توجيه تربوي رفيق خص به المرأة وإن أدمجت بالتثنية لأن أول الكلام فيها بمعنى غض النظر عن بعض حقوقها في ترك يومها أو التخفيف على زوجها ببعض الإنفاق والكسوة استبقاء للألفة واستعطافاً له.

قوله (والصلح خير) تعريف الصلح فيه احتمالان للعهد بمعنى: والصلح بترك بعض الحقوق برضى من نفسها خير، وهو خير باعتبار المحافظة على رابط الألفة، وإن لم تقبل المرأة فيجب القسط بالتسوية على الزوج.

أو يكون تعريف الصلح للجنس، وحينئذ يكون أعم في المعنى ولفظ الخير مصدر وليس اسم تفضيل.

قوله (وأحضرت الأنفس الشح) فعل الإحضار للمعاينة، ونسبة الشح إليه لملازمته النفوس، وانتصب اللفظ بتقدير: أعني أو مفعول ثان، وأضرمر فاعل الإحضار لشيوعه بمعنى: أحضر الله الأنفس المجبولة على الشح، أو لخفاء

فاعله، والعرب تبني الفعل للمجهول إذا لم يعرف فاعله نحو: توفي، اضطر،
والتعقيب بهذا الإخبار بعد ذكر خير الصلح للتحضيض عليه.

والمعنى: وأحضرت الأنفس للتنازل بشح كل واحد من الرجل والمرأة بحقه،
قبل صاحبه، فشح المرأة يكون بترك حقها من النفقة والكسوة والقسمة
وغيرها، وشح الرجل بإنفاقه على التي لا يريد لها. كذا قال في التبيان. انتهى.
ووصف الأنفس بالشح أعم من البخل لأن البخل خاص بالمال، بينما يمكن
أن تصف بالشح المعاني نحو: مودته شحيحة.

قوله (وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً) العطف لاتصال
الكلام، والخطاب في فعل الإحسان للرجال متضمن معنى الترغيب بالصبر
على نساءهم والتحذير من سوء معاملتهم.

قوله تعالى ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا
كُلَّ الْمِيلِ فَتَهْتَكُوا كَالْمَعْلَقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ
كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١٢٩﴾

قوله (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) العطف على قوله
(وإن تحسنوا وتتقوا)، والنفي بمعنى لا يمكن تحقيق العدل بمعناه بين نساءكم
في المودة ولو كنتم حريصين على ذلك لأن الميل القلبي خارج عن الاختيار،
والكلام اعتذار للأزواج لإفادة ما بعده من النهي.

قوله (فلا تميلوا كل الميل) الفاء للتفريع، والنهي بمعنى لا تبالغوا بالتى فرطتم بها كل المبالغة في الإساءة إليها أو تجافيتها، والميل الانحراف عن الطريق المستقيم، كناية عن الجور وعدم الاعتدال في المعاملة السوية بين الزوجات من الكسوة والنفقة والمودة والصحبة بالمعروف، ولاسيما التى لا تميل إليها النفس، وفي الصورة دلالة ضمنية في الاكتفاء بالزوجة الواحدة في حال توافر الشروط.

قوله (فتذروها كالمعلقة) الفاء للتعقيب، وتشبيه المرأة التى لا يميل إليها زوجها بالمرأة المعلقة باعتبار الاضطراب ونفي الاستقرار على حال، وقد نهى الله الرجل عن ذلك لأن فيه ظلما للمرأة فلا هو سرحها ولا هو عاشرها، واستعمال فعل الذر لما فيه من دلالة الترك بكراهة، ولم يقل: فتدعوها كالمعلقة، لأن فعل الودع ترك بشوق وهذا ما لا يريده مضمون الآية الشريفة فتأمل، ومثله الاستعمال الدقيق المقصود للفعل في قوله تعالى (أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين) [الصافات ١٢٥]، إذ أراد إنكار الإعراض الشديد عن عبادة الله تعالى.

قوله (وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان عفورا رحيمًا) في الكلام ترغيب للرجال بالإصلاح وطلب التقوى لأن في ذلك نيل مغفرة الله ورحمته، ومثله في الآية السابقة (وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرًا).

قوله تعالى ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا

حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾

قوله (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته) العطف لاتصال بيان الأحكام بين الزوجين، وغالبا ما تستعمل البلاغة القرآنية أسلوب الشرط في بيان الأحكام لوضوح أشراطه، وفعل التفريق كناية عن الطلاق بعد نفاد أسباب الصلح بالتنازل من كل واحد منهما عن بعض حقه، وفعل الغنى معناه الاكتفاء بالله والاستغناء عن غيره سبحانه بمطلق الغنى في المادة كالإنفاق ونحوه وفي المعنى كالألفة والاستئناس، وجزمه لوقوعه جوابا للشرط، وتنوين الفتح للفظ الكل تنوين عوض بتقدير: كل أحد من الطرفين، و(من) ابتدائية، وسعة الله كناية عن رزقه الواسع ونعمه التي لا تعد، والكلام تلطف من الله تعالى بالمفترقين لأن الأرزاق والاستيحاش والألفة بيده تعالى يجريها على يدي من يشاء من عباده.

قوله (وكان الله واسعا حكيما) إخبار بمنزلة التعليل لما تقدم في إغناء الله، وهو أنه تعالى واسع الفضل على عباده حكيما في تدبير ما يخصهم.

قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ

أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾﴾

قوله (ولله ما في السماوات وما في الأرض) الإخبار عن سعة ملكه تعالى
وكمال قدرته بمنزلة التعليل لما تقدم قبله، ولا سيما مجيئه بعد أحوال الافتراق
والتنبيه إلى لطفه بالاغتناء والاستئناس به سبحانه.

قوله (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم) دلالة استعمال (لقد)
لما فيها من التأكيد بالتوطئة بالقسم باللام، وحرف التحقيق الداخل على الفعل
الماضي، لذلك استعمالها يرد في المعاني المؤكدة من قبيل هذه الآية الشريفة،
وخصوصية استعمال فعل الوصية دون فعل الإيصاء لما يتضمن من شدة
عناية واهتمام، ولأنه يستعمل أكثر في المعاني لما فيها من المبالغة كوصاية
الأنبياء أو الوصاية بالوالدين، بينما الفعل (أوصى) يستعمل للمحسوسات
لذلك يقع في إرث الميت فحسب كقوله تعالى (يوصيكم الله أولادكم للذكر مثل
حظ الأنثيين) ونحو ذلك من آيات الإيصاء.

والتوصية بمعنى الفرض والأمر لمن سبقوا المسلمين من أهل الكتاب كاليهود
والنصارى، وقوله (وإياكم) بالعطف بمعنى: وأنتم أيها المسلمون وصّاكم في
كتابكم بالتقوى.

قوله (أن اتقوا الله) مفعول فعل التوصية، واتقاء الله بمعنى اجتناب عقابه
بالالتزام بأوامره والانتهاز عن نواهيه، واتساقا مع الآيات يكون اتقاؤه
بالإحسان إلى الزوجة في جميع مراحل العشرة الزوجية وفي كل حال.

قوله (وإن تكفروا فإن الله ما في السماوات وما في الأرض) أي: وإن تجحدوا
فإن الله غني عنكم، ودلالة الإخبار بملكه السماوات والأرض التعليل لأمر

اتقائه، بمعنى أن أمره تعالى باتقائه وعبادته لا عن حاجة منه إليهم بل تفضل منه على عباده ونعمة.

قوله (وكان الله غنيا حميدا) أي: كان ولم يزل الله مستغنيا عن حاجة عباده لأنه لا يجوز عليه الاحتياج، وحميدا مستوجبا لجميع المحامد لإنعامه وتفضله على خلقه.

قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (١٣٢) قوله (ولله ما في السموات وما في الأرض) إعادة التذكير بملك الله للسموات والأرض لبيان العلة لما بعده، في جملة الفاصلة والآية التي بعدها في قوله (إن يشأ يذهبكم).

قوله (وكفى بالله وكيلا) فعل الكفاية بمعنى: حسبك الله حافظا مستغنيا به عن كل أحد، ومن هنا يتضح سبب ذكر سعة ملك الله ثلاث مرات لبيان العلة الثلاثة التي مرت.

قوله تعالى ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ (١٣٣)

قوله (إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين) الكلام بمنزلة النتيجة عن كمال قدرته في ملكه، وهي قدرته تعالى في استبدال خلق بخلق، بأن يفني أجيالا من الناس ثم يأتي بغيرهم، وإتيانه بآخرين بالسبب الطبيعي على سبيل

تناسلهم كما جرى في هلاك البشر في الطوفان ثم كثرهم بعد ذلك، والخطاب تهديد لعموم الكافرين والمنافقين وأهل الكتاب زمن النبي ﷺ بإفنائهم والإتيان بآخرين ينصرونه ويؤازرونه، وخصوصية استعمال فعل الإتيان لما فيه من دلالة يسر الاستبدال على الله تعالى بتقديم قوم على قوم، إذ يمكن أن يحمل معنى الإذهاب على المجاز بأن يقدم قوما ويؤخر آخرين، لا بمعنى الاستئصال والإفناء.

قوله (وكان الله على ذلك قديرا) أي: لم يزل الله سبحانه قادرا على الإفناء والاستبدال، قال الطبري في الجامع: ويروى أنه لما نزلت هذه الآية ضرب النبي يده على ظهر سلمان، وقال: هم قوم هذا يعني عجم الفرس. انتهى.

وفي شرح نهج البلاغة روي عنه عليه السلام أنه: جاء الأشعث إليه وهو على المنبر، فجعل يتخطى رقاب الناس حتى قرب منه ثم قال: يا أمير المؤمنين، غلبتنا هذه الحمراء على قربك - يعني العجم - فركض المنبر برجله، حتى قال صعصعة بن صوحان: ما لنا وللأشعث، ليقولن أمير المؤمنين عليه السلام اليوم في العرب قولاً لا يزال يذكر، فقال عليه السلام: من يعذرني من هؤلاء الضيافة، يتمرغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمار، ويهجر قوما للذكر، أفتأمروني أن أطردهم، ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين، أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ليضربنكم على الدين عودا كما ضربتموهم عليه بدءا. انتهى. وكذا جاء في الفائق للزمخشري من قبل.

قوله تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾

قوله (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) الكلام بيان لمعنى الالتزام بالوصية بالتقوى، والإرادة عزم على الفعل، وإرادة الاختصار على ثواب الدنيا نقصان حظ للعبد لذلك وجه الله تعالى إرادته بأن تكون أعلى همة وذلك بطلبها في الدنيا والآخرة بالعمل بوصية التقوى.

قوله (وكان الله سميعا بصيرا) أي: لم يزل الله عالما بما خفي في السرائر، مطلعا تمام الاطلاع على أعمالكم.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ

عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا

فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا

تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) النداء بالاتصاف بالإيمان لإفادة الإقبال على التكليف، وصيغة أمر الكون تفيد الشأن والثبات، والقوام صيغة مبالغة في تكثير معنى إقامة العدل، والباء في (بالقسط)

للملابسة، والقسط العدل، وأمر المؤمنين بالقيام عليه بمعنى العمل به على أتم صورة.

ولفظ الشهداء جمع شهيد، من الشهادة والحضور، وانتصب اللفظ على البذل أي: كونوا قوالين بالصدق، وفي الكلام تدرج من العام الى الخاص، لأن الصدق فرع من القسط، واللام في (لله) للغاية بمعنى: شهداء لأجل الله لا لأجل أحد.

قوله (ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) تفيد (لو) الافتراض، أي: ولو شهداء على أنفسكم، والجملة موقعها الحال، وحرف الجر للاستعلاء المجازي في تمكن الشهادة من الأنفس والوالدين والأقربين، وهي الموارد التي تضعف القائل بالشهادة وتعده به عن قول الحق لذلك خصت بالذكر.

قوله (إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما) وهي صورة من صور العدل في أن تكون الشهادة خالصة لله لا اعتبار فيها لغني أو فقير، والشرط بمعنى: إن يكن المشهود عليه غنيا أو فقيرا فالله أرحم بهما، فدلالة جواب الشرط متضمنة جعل الشهادة خالصة لله ليس فيها ميل إلى غني أو فقير، لأن في العدل تحقيقا لمصلحة الغني والفقير، والتثنية في (بهما) مع ما تقدم من ترديد فلم يقل: أولى به، لكون المراد - والكلام لصاحب الميزان - بالغني والفقير هو المفروض المجهول الذي يتكرر بحسب وقوع الوقائع وتكررها فيكون غنيا في واقعة، وفقيرا في أخرى. انتهى.

قوله (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) فرع على ما تقدم النهي عن الانقياد إلى هوى النفس فيكون ذلك سببا للعدول عن إقامة الشهادة، فقوله (أن تعدلوا) موقعه مفعول لأجله.

قوله (وإن تلووا أو تعرضوا) أي: وإن تصروا على قول الزور في الشهادة، فعبر عن ذلك بالكناية بلي اللسان وتحريف الكلم، تشنيعا بشاهد الزور، وقوله (أو تعرضوا) تفيد (أو) الترديد، وفعل الإعراض كناية عن ترك الشهادة من أصل.

قوله (فإن الله كان بما تعملون خبيرا) الفاء واقعة في جواب (إن) الشرطية، والتأكيد بالإخبار بعلم الله بما يعملون متضمن معنى التهديد على الحاليين المزور للشهادة، والتارك لها. والخبير يراد به العليم المحيط بكل شيء. والله العالم.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ الْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَ الْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَ الْيَوْمِ ٱلْءَءْخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله) الخطاب بالانصاف بالإيمان لم تخاطب بمثله أمة غير أمة النبي ﷺ، واختلف في الخطاب بفعل أمر الإيمان فمن قائل إنه للمسلمين أو للمنافقين أو لأهل الكتاب، وبقرائن السياق المرتبطة بالفعل بما عدت الآية من تقسيمات متصلة بواو العطف يظهر أن المراد

بخطاب المؤمنين بـ (آمنوا) التصديق بالمجموع المذكور كلا واحدا لا الإيمان ببعض والإنكار بالآخر كما فعلت اليهود والنصارى، لأن ذلك هو الإيمان الحق وغيره يعني النفاق، ولذلك كانت الآية كأنها ممهدة لذكر المنافقين وصفاتهم، وقدم الإيمان بالله لأنه مفتاح كل إيمان، وإضافة الرسول إلى هاء الجلالة للتعظيم إشارة إلى النبي محمد ﷺ.

قوله (والكتاب الذي نزل على رسوله) العطف بمعنى وآمنوا، وكذا ما بعده، وتعريف الكتاب للعهد وهو القرآن العظيم، وجملة اسم الموصول وصلته موقعها الصفة للكتاب، والإتيان به لتعظيم الكتاب والرد على منكريه، وفعل التنزيل أخذ فيه نزول الكتاب منجما على النبي ﷺ، وتلك من صفات القرآن فقد نزل مجموعا دفعة واحدة أول نزوله على النبي ﷺ ثم نزل متفرقا بعد ذلك، وحرف الجر (على) مجاز من تمكن التنزيل، والتصريح بلفظ الرسول دون الإشارة إليه بالضمير من وضع الظاهر موضع المضمرة يراد به تفخيم شأن الرسول ولرفع الإبهام فيما لو جاء بضمير الغائب.

قوله (والكتاب الذي أنزل من قبل) تعريف الكتاب للجنس، أي الإيمان بالكتب السماوية السابقة على القرآن كصحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى عليهم السلام، واستعمل الفعل (أنزل) بدلا من (نزل) نوع تفنن في البيان القرآني، وإن قال بعضهم بسبب مضي عهد نزول الكتب القديمة.

قوله (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) الكلام تقرير لما تقدم يقابله في المعنى، والواو لا تفيد الجمع كما في الأولى بل مأخوذ في حكمها معنى الترديد بمعنى: ومن يكفر بالله أو ملائكته أو كتبه أو رسله أو اليوم الآخر، لأن من يكفر بواحدة مما ذكر يكفر بجميعها، فالإيمان كل واحد كما تقرر، والكفر الجحد والإنكار، فالكفر بالله إنكار توحيده، والكفر بالملائكة إنكار وجودهم، والكفر بالكتب إنكار صحة صدورها من الله، والكفر بالرسل إنكار بعثتهم، والكفر باليوم الآخر إنكار لمعاد الخلاق للحساب، وإضافة التقسيمات كلها إلى هاء الجلالة للتعظيم، وبيان تهويل الإنكار.

قوله (فقد ضل ضلالا بعيدا) أي: فقد أضاع طريق الصواب ولا أمل في رجوعه إليه، وهو معنى وصف الضلال بالبعد، واشتقاق المصدر من الفعل لبيان النوعية.

ودلالة الإعادة للمعنى ذاته بأسلوب الشرط المغاير عن الأول بأسلوب الأمر لإفادة التأكيد بأن الإيمان بجزء مما ذكر كفر ونفاق وضلال بعيد، لأن الإيمان كما تقرر في الأولى إيمان في المجموع لترابط أجزائه وعدم مفارقة بعضها بعضا. بينما الكفر بواحد مما ذكر كفر بالمجموع، ولذلك يؤخذ في واو الجمع معنى الترديد دفعا لدخل توهم أن الكفر بواحد منها لا يخرج من الإيمان، قال في الميزان: وليس المراد بالعطف بالواو الجمع في الحكم ليتم الجميع موضوعا واحدا له حكم واحد بمعنى أن الكفر بالمجموع من حيث إنه مجموع ضلال بعيد دون الكفر ببعض دون البعض. انتهى.

وفي الكلام - من وجه آخر - تهديد لأهل الكتاب لأن جحد نبوة محمد ﷺ تعني إخراجهم من الإيمان كله لأنه لا يتجزأ كما ظهر.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ ﴿١٢٧﴾

قوله (إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا) الفصل للابتداء والإخبار عن فئة المنافقين الذين اتخذوا الدين هزوا ولعبا يؤمنون ويرتدون تبعا لمصالحهم ومنافعهم، وتعريفهم باسم الموصول لحضورهم الذهني، وبدلالة ما بعدها في قوله تعالى (بشر المنافقين) ينتفي أن يكون الإخبار هذا عن غيرهم.

قوله (ثم ازدادوا كفرا) زيادة الكفر استعارة من رسوخ النفاق في نفوس المنافقين وتمكنه منهم نتيجة اضطرابهم وترددهم بين أهل الإيمان مرة وأهل الكفرة مرة أخرى، حتى غلب الكفر على نفوسهم واستولى عليها.

قوله (لم يكن الله ليغفر لهم) الجملة خبر لـ (إن)، والنفي بالكون ولام الجحود في خبره يفيد غاية التأكيد في عقاب المنافقين وعدم مغفرة الله لهم.

قوله (ولا ليهديهم سبيلا) تشديد وإيعاد من الله بإبقاء المنافقين مضطربين لا يستقر لهم حال.

قوله تعالى ﴿ بَشِّرِ الْمُتَفَقِينَ بِأَنَّهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ﴿١٢٨﴾

قوله (بشر المنافقين) الخطاب في فعل التبشير للنبي ﷺ متضمن معنى إخبار المنافقين بسوء عاقبتهم، والبشارة غلب على استعمالها الخبر السعيد لما يظهر على بشرة وجه المُبشِّر من أمارات الفرح، ولا يخلو استعمالها لما يغم من الاستهزاء والتهديد، وتعريف لفظ المنافقين للعهد ويراد بهم الفئة زمن النبي ﷺ التي تتظاهر بالإيمان وتستبطن الكفر، ولفظ النفاق مأخوذ من النفق، قال الراغب: النفق الطريق النافذ والسرب في الأرض النافذ، وفيه قال (فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض) ومنه نافقاء اليربوع، وقد نافق اليربوع ونفق، ومنه النفاق وهو الدخول في الشرع من باب والخروج عنه من باب. انتهى. والنافقاء يجعل لجره بابين للتمويه فيدخل من أحدهما ويخرج من الآخر.

قوله (بأن لهم عذابا أليما) جملة التبشير، والباء لتعدي الفعل، وتقديم الظرف للأهمية، والعذاب الأليم العذاب المستمر الموجه، والأليم مبالغة يراد به المؤلم.

قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئْتَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ﴿١٣٩﴾

قوله (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) اسم الموصول وصلته موقعه الصفة للمنافقين، والاتخاذ اختصاص المنافقين بالكافرين من مشركي مكة أخلاء لهم وناصرين من دون المؤمنين، وإنما وصفوا بذلك

للإشارة إلى قلق الإيمان في نفوسهم، فتكون موالة المشركين سببا في زيادة كفرهم وبعدهم من الإيمان، ولذا نهى الله عن صحبة المشركين ومحاباتهم.

قوله (أَيَّتُغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ) الاستفهام يفيد التوبيخ والإنكار لوجود القوة والمنعة عند الكافرين حتى يتخذوا أولياء، والابتغاء الطلب، والعزة أصلها الشدة ويقال للأرض الصلبة عزاز، وفي الكلام إشارة إلى وهن المنافقين بأن موالاتهم الكافرين ليس حبا بدينهم بل للاعتزاز بهم.

قوله (فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) الفاء للتفريع ردا على فرض ابتغائهم، بأن العزة وأشكالها جميعا ملك له سبحانه يعز بها من يشاء وبذل من يشاء.

قوله تعالى ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ أَيْتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ ﴿١٤٠﴾

قوله (وقد نزل عليكم في الكتاب) العطف لاتصال الكلام في المنافقين وتحذير المؤمنين من فعل ما يقرب من أحوالهم كمحابة المشركين أو الجلوس في مجالس الاستهزاء للمنافقين كما حكته الآية الشريفة، وعلى هذا فالخطاب لعموم مجتمع الإسلام، يدخل فيه المنافقون ومن حبابهم، وفعل التنزيل مجاز من التبليغ والإيصال، وفاعله معلوم لدى السامعين لذلك حذف، والمجاز الاستعلائي في (على) يعني تمكن ما بلغوا به من مسامعهم واستقراره فيهم،

وتعريف الكتاب للعهد يراد به القرآن، وإنما يقال الكتاب لدلالة التوثيق أي المكتوب.

قوله (أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها) أن المصدرية وجملتها المكونة من جملة الشرط جملة تفسير لما أشار إليه فعل التنزيل، ويراد به قوله تعالى في سورة الأنعام (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين)، [الآية ٦٨]، والخطاب في (سمعتهم) للمؤمنين كما ذكر ينهى فيه عن مجالسة المنافقين في حال تلاوة الآيات بكفر منهم واستخفاف، وقد كان ذلك من شأن المنافقين، وإنما النهي للمحافظة على ثبات إيمان هذه الفئة المجاملة للمنافقين مخافة انحرافها عن قصد السبيل، والواو بين الفعلين للترديد وليس للجمع فإن أي حال من الكفر أو الاستهزاء موجب للقيام من المجلس.

قوله (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) الفاء واقعة في جواب (إذا). والنهي عن القعود مع المنافقين على تلك الحال بمعنى الأمر بمغادرة مجالسهم إظهارا للغضب منهم وعدم الرضى عنهم، وحرصا على السماع اللائق بقُدسية الآيات فلا يضعف الإيمان بها، وتفيد (حتى) انتهاء الغاية، والجملة بعدها قيد لمجالسة المنافقين وهو الانتقال إلى حديث آخر ليس فيه كفر بآيات الله أو استهزاء بها، واستعمال فعل الخوض لجمع المنافقين فيه دلالة البطلان في كلامهم وإشارة للمؤمنين للتمايز عنهم وكراهة مصاحبتهم، والحديث من الكلام مأخوذ فيه صفتا الإيجاد وقرب العهد.

قوله (إنكم إذا مثلهم) فصل الكلام لأنه علة لما نهت الآية عن مجالسة المنافقين، والمعنى: إن وقوع النهي كيلا تكونوا مثلهم، و(إذن) حرف جزاء، والمماثلة بمعنى الانجرار إلى الكفر والاستهزاء والنفاق، وفي الكلام تغليظ شديد للمؤمنين المحابين لأن محاباتهم وعدم إنكارهم مع القدرة عليه يجعلهم راضين بكفر المنافقين، وفي تفسير العياشي روي بإسناده عن علي بن موسى الرضا عليهما السلام في تفسير هذه الآية قال: إذا سمعت الرجل يجحد الحق، ويكذب به، ويقع في أهله، فقم من عنده ولا تقاعده. انتهى.

قوله (إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) الإخبار الاستثنائي المؤكد متضمن معنى التهديد للمؤمنين لحملهم على مباينة أهل النفاق، لأن الله جامع الفريقين أهل الكفر وأهل النفاق يوم القيامة في النار كما اتفقوا متظاهرين على المؤمنين في الدنيا، ودلالة المضي لاسم فاعل الجمع لاحتمية وقوعه يوم الحشر وعقاب الكافرين والمنافقين وإنزاله منزلة الكائن.

قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمُ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾

قوله (الذين يتربصون بكم) اسم الموصول موقعه الصفة للمنافقين والكافرين، والتربص الانتظار على نحو من القلق والتطلع بشدة لما سيأتي من جديد،

وهو هنا وصف لانتهازية المنافقين، والباء في (بكم) للتعدية، وكاف الخطاب للمؤمنين.

قوله (فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم) الكلام مفرع على جملة التربص، لتفصيل معناه، وهو هوان المنافقين وضعفهم وطمعهم، فيميلون إلى الجهة الغالبة دائماً طلباً للغنيمة والسلامة من غير اتخاذ مبدأ يقفون عليه ويدافعون عنه، والخطاب في (لكم) للمؤمنين، وسمى غلبتهم وظفرهم على الكافرين فتحا من الله لأنه نصر دائم مؤيد منه تعالى، وجملة القول ليس شرطاً أن يكون حقيقة بل يحتمل تصوير لسان حالهم في طلب الغنيمة، والاستفهام المحكي للتقرير.

قوله (وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم) العطف والشرط لبيان انتهازية المنافقين، وسمت الآية نصر الكافرين نصيباً تحقيراً لغلبتهم لأنها لم تصدر عن دين أو أفكار سامية بل عن طمع في حظ من غنيمة الحرب، والاستحواذ الغلبة والاستيلاء، والمعنى: ألم نقوكم ونثبت معتقدكم ونغلبكم على رأيكم والموالاتة لكم.

ومن جلال البيان القرآني أنه وسم نصر المؤمنين بالفتح وأسند إليه تعالى إحياء بالثواب والأجر العظيم قبل التفكير بالمغانم الزائلة، بينما أطلق على ما يعتقد به الكافرون والمنافقون بأنه نصيب لتصوير تفكيرهم النفسي المحدود.

قوله (ونمنعكم من المؤمنين) والتقدير بمنعهم من المؤمنين بمعنى نصرهم خفية بإفشاء أسرار المؤمنين إليهم ودفع صولتهم عن الكافرين، والمنع الدفع، وقد كان ذلك من أعمال المنافقين يبتون الأراجيف بين مجتمع الإسلام، وينشرون الفتن والتشكيك لتضعيف صف المؤمنين وتوهين إيمانهم.

قوله (فالله يحكم بينكم يوم القيامة) تسمى الفاء الفصيحة لأنها داخلة على جملة مسببة وتفصح عن جملة محذوفة، والتصريح بلفظ الجلالة للقصر بأن الله وحده الحاكم بين المؤمنين والمنافقين يوم القيامة، فكاف الخطاب في (بينكم) شاملة للمؤمنين والكافرين والمنافقين، والحكم يراد به الفصل بين أهل الحق لإثابتهم وبين أهل الباطل لمعاقبتهم.

قوله (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) النفي تأييس للمنافقين والكافرين بالغلبة على المؤمنين في الآخرة، فالنصر حتمي لهم ولا سبيل لعكسه أبداً، وتفيد (على) معنى الاستعلاء والغلبة، وتعريف المؤمنين يراد بهم الخصوصية المميزة لإيمانهم الحق.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى

الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿١٤٢﴾

قوله (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) الفصل للابتداء والاستئناف بكشف معائب المنافقين، والابتداء بحرف التأكيد لتحقيق أحوالهم المتقلبة،

واستعمال فعل المخادعة لكثرة تفننهم في الحيلة والتمويه، والخداع - كما ذكر الراغب: إنزال الغير عما هو بصدده بأمر يبيده على خلاف ما يخفيه. انتهى.

وأريد بمخادعة الله مخادعة نبيه والمؤمنين لعظم منزلتهم لأنهم في الحكم واحد فهم أولياؤه، زد عليه نكتة إفادة جملة الحال (وهو خادعهم) لبيان سذاجة المنافقين، والله أجل من أن يخادع مخلوقا، وإنما هو مجاز في إمهاله تعالى لهم عن علم منه، ليرتكسوا أكثر في الضلالة وإعطائهم الحجة على أنفسهم في عقاب النار.

قوله (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى) الشرط لبيان حال ريائهم للمسلمين، وقت حلول الصلاة، والقيام للصلاة بمعنى النهوض من قعود، ولذلك لم يستعمل كعادة القرآن فعل الإقامة للصلاة بل فعل القيام للإشارة إلى ذلك، وتعريف الصلاة للعموم. ولفظ الكسالى حال من واو الجماعة، والكسلان المتثاقل عما لا ينبغي التثاقل عنه ولأجل ذلك صار مذموما. كذا قال في المفردات. انتهى.

وكسل القيام إلى الصلاة من علامات المنافقين، لأنهم يؤمنون ظاهرا، وصلاتهم لا شوق فيها ولا محبة للقاء الله.

قوله (يراءون الناس) أي: يحملون الناس على أن يروهم مصليين، وذلك بالتعرض بصلاتهم أمام أعينهم طلبا للسلامة لا طلبا للأجر من الله، ولو خلوا بأنفسهم لم يصلوا، والجملة حال ثانية بمعنى: مرأين، وتعريف الناس لإفادة عموم المسلمين.

قوله (ولا يذكرون الله إلا قليلا) أي: ولا يذكرون الله إلا ذكرا قليلا، بمعنى أن حضور الله تعالى في أنفسهم يكاد لا يذكر فهم، لاضطراب نفوسهم وقلقها بين الكفر والإيمان وتعلق قلوبهم بغير الله.

وذكر للإمام علي عليه السلام رأي لطيف في معنى الذكر القليل نقله الكليني في الكافي بإسناده قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: من ذكر الله عز وجل في السر فقد ذكر الله كثيرا، إن المنافقين كانوا يذكرون علانية، ولا يذكرونه في السر فقال الله عز وجل: (يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا). انتهى.

قوله تعالى ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا﴾ (١٤٣)

قوله (مذبذبين بين ذلك) النصب على الحال من فاعل (قاموا)، والتذبذب التردد، وفي تكرار مقطع الذب دلالة إيحائية للاهتزاز جيئة وذهابا، وصيغة المفعول لتطبع نفوسهم بصفة الاضطراب فكأنه بفعل فاعل لا يعرف وغير مسيطر عليه لاعتيادهم النفاق، والظرف ولفظ الإشارة بمعنى: بين الكفر والإيمان.

قوله (لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) بيان لتذبذبهم. فهم مرة إلى جانب المؤمنين يدعون الإيمان بالله ورسوله، ومرة إلى جانب الكافرين يوالونهم بالاستهزاء والأخذ ببعض الكتاب، وهذه صورة التذبذب تكرار التردد والتحير فهو كلما مال إلى جانب يذب ويدفع إلى جانب آخر، وحرف الجر

متعلق بفعل محذوف تقديره: عائدين أو منتسبين أو ذاهبين، ولفظ الإشارة دون تعيين المشار إليه مقصود فيه الإبهام لتصوير حالة ضياعهم في قصد الطريق، لأنهم لا يشبهون المؤمنين الذين يبدو عليهم الإيمان كما أضمره، ولا يماثلون أهل الكفر الذين يعملون بما يضمرون.

وفي الدر المنثور أثر عن النبي ﷺ قوله: مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة لا تدري أيهما تتبع. انتهى.

قوله (ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا) إخبار بأسلوب الشرط، بمنزلة التعليل لذنبية المنافقين، قال في الميزان: ولهذه العلة بعينها قيل: (مذبذبين بين ذلك) ولم يقل: متذبذبين أي القهر الإلهي هو الذي يجبر لهم هذا النوع من التحريك الذي لا ينتهي إلى غاية ثابتة مطمئنة. انتهى.

ونسبة الإضلال إلى الله نسبة مجازية على سبيل المجازاة وليست على سبيل الابتداء، لأن ذلك سلب اختيار للعبد يتنافى وعدالته تعالى التي بنى عليها نظام الخلق، ونفي وجدان مطلق السبيل للضال يراد به نفي وجدان مطلق سبل الاهتداء، إشارة إلى شدة تلبسه بالضلالة بعد رفع ألطاف الله عن قدر له الإضلال.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَرْيَدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا) نداء للمتصفين بصفة الإيمان للإقبال على الالتزام بما ينهى الله عنه، والكلام كالنتيجة المتحصلة مما سبق من الآيات المتقدمة، وبقرينة ما بعده من نهى يدل على أن النداء وإن جاء عاما إلا أنه مختص بضعة الإيمان الذين هم أقرب إلى النفاق بحسب الآيات المتقدمة.

قوله (لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين) نهى صريح لضعة الإيمان بالإقلاع عن ولاية الكافرين والمنافقين من دون ولاية المؤمنين، وهو تقرير لما سبق من نواه في الآيات السابقة التي أمرت بعدم مجالسة المنافقين ومحاباتهم أو ولايتهم.

قوله (أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) الاستفهام مجاز يفيد التقرير والتوبيخ لضعة الإيمان لتمكين عقاب الله من أنفسهم وإعطاء الحجة عليها بإنزال عقابه فيهم، والسلطان البرهان ووصفه بالمبين لوضوحه.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا



قوله (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) استئناف ابتدائي يؤكد لأهمية الخبر، وحرف الجر (في) مجاز ظرفي، والدرك تقال للحدور كما يقال الدرج للصعود، ويراد به الطبقة في قعر جهنم، ووصفه بالأسفل لشدة انحطاطه وسفالته في النار، إشارة إلى عمقها في طبقاتها وإيلامها فإن للنار دركات كما أن للجنة درجات والمنافقون في أسفل طبقاتها.

والنار سبع دركات لأنها متدركة متتابعة بعضها فوق بعض، ولذا تسمى هابوية، وفي نهج البلاغة قوله عليه السلام: أفرأيتم جزع أحدكم من الشوكة تصيبه، والعثرة تدميه والرمضاء تحرقه؟ فكيف إذا كان بين طابقين من نار، ضجيع حجر وقرين شيطان. انتهى.

قوله (ولن تجد لهم نصيرا) إخبار للنبي عليه السلام بنفي وجود من يخلصهم من مصيرهم الوخيم.

قوله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا



قوله (إلا الذين تابوا وأصلحوا) الاستثناء لإخراج التائبين من نفاقهم المصلحين ما فسد من سيرتهم من الحكم المذكور في الآية السابقة.

قوله (واعتصموا بالله) أي: وتمسكوا بدين الإسلام وكتابه.

قوله (وأخلصوا دينهم لله) أي: عملوا لمرضاة الله دون غيره.

قوله (فأولئك مع المؤمنين) الفاء للتفريع، ولفظ الإشارة لتمييزهم، ومعيتهم للمؤمنين معية اصطحاب ولحاق، لأن لفظ المؤمنين - هنا وما بعدها - مأخوذ فيه النوعية والتمحض، قال في الميزان: وقد قال تعالى: (فأولئك مع المؤمنين) ولم يقل: فأولئك من المؤمنين، لأنهم بتحقيق هذه الأوصاف فيهم

أول تحققها يلحقون بهم، ولن يكونوا منهم حتى تستمر فيهم الأوصاف على استقرارها. انتهى.

قوله (وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما) الإحالة على المستقبل بـ (سوف) ترغيب للتائبين ووعدهم من الله بإتيانهم الثواب الجزيل في حال التوبة والإصلاح والاعتصام والإخلاص.

قوله تعالى ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾

قوله (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم) الاستفهام خطاب من الله للمنافقين التائبين المصلحين يفيد النفي، بمعنى أن الثواب والعقاب مبنيان على المجازاة ولا علاقة لهما بالذات، والله تعالى لا تنفعه طاعة المطيع ولا تضره معصية العاصي. لذلك ليس في تعذيب المنافقين اجتلاب نفع لله كما يفعل البشر بالتشفي العقاب أو الأخذ بالثأر لإرضاء النفس فإن تلك المعاني لا تصلح مع الله تعالى، لأنه مستغن غير محتاج، ولذا علق على الاستفهام الإنكاري شرط شكر نعمه تعالى على المنافقين وتأدية حق عبادته والإيمان بوحدانيته ورسالته. وتقديم الشكر على الإيمان لما في الشكر من مقدمات المعرفة الحقة بالنعم وبالمنعم التي تؤهله للإيمان الصادق.

قوله (وكان الله شاكرا عليما) إخبار بصيغة الكون لرسوخ المعنى ولزومه، أي كان ولم يزل، وشكره تعالى تطف منه بعباده مجاز يراد به المجازاة

على العمل، والعليم مبالغة في علمه بما أضمر عباده وأظهروا من أقوال وأفعال.

قوله تعالى ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ (١٤٨)

قوله (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) الحب والرضى معان قلبية لا يصلح إطلاقها على الله حقيقة، وإنما يراد ما يستلزم منها في آثارها، فنفي الحب عنه تعالى مجاز في غضبه تعالى وسخطه، واستعمل هنا كناية عن الكراهة التشريعية، والجهر نقيض الإسرار وهو الإفشاء والإظهار والعلن، ويقصد به هنا رفع الصوت.

والباء في (بالسوء) للتعدية، ولفظ السوء لعموم ما يساء منه، ويراد به كل كلام فيه قدح لمن قيل فيه وشتم وتعريض ودعاء وعيوب كانت فيه أو لم تكن، و(من) ابتدائية، والقول الكلام على اللسان، والكلام ظاهره الإخبار ويراد منه الإنشاء بالنهي عن إسماع الآخرين الشتم وما ينتقص منهم، والاستثناء (إلا من ظلم) لإخراج المظلوم المعتدى عليه من حكم النهي، فرخص له بالرد انتصاراً لنفسه بما سوغت له الشريعة، كأن يجهر بدعائه على الظالم.

قوله (وكان الله سميعا عليما) إخبار بعلم الله بكل شيء متضمن معنى التهديد لمن لا ينتهي أو يسرف في الرد، فالله سميع لكل ما يسمع، عليم بكل ما دق وخفي.

وفي نهج البلاغة قوله عليه السلام لما سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين: إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر، وقتلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به. انتهى.

قوله تعالى ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا﴾

قوله (إن تبدوا خيرا) الخطاب لعموم المؤمنين تهيجا لهم على عمل الخير، الإبداء الإعلان والإظهار، ولفظ الخير شامل لمعاني الفضيلة والمعروف كمساعدة الآخرين والإنفاق ونحوه، وتذكيره لإفادة عمومهم، وفي الكلام حذف تقديره: إن تبدوا عمل خير.

قوله (أو تخفوه) الترديد بـ (أو) للإشارة إلى أن كلا من التقسيمات المذكورة محبوب عند الله مندوب يثاب عليه عامله، وإخفاء عمل الخير نقيض الإبداء ومن مظاهره التصديق على الفقراء في السر حفاظا على ماء وجوههم.

قوله (أو تعفوا عن سوء) العفو عن السوء بمعنى الترفع على الرد والمسامحة عليه، والكلام توجيهات أخلاقية تربي الفرد لأجل تقوية المجتمع والحفاظ على تماسكه.

قوله (فإن الله كان عفوا قديرا) الفاء في جواب (إن) الشرطية، والجواب من باب إقامة السبب مقام المسبب، لأن الله تعالى بما اتصف من كمال كثرة العفو والقدرة مع القدرة على إنزال العقاب، يحب من عباده أن يقتدوا بذلك، ففي الكلام تحبيذ وترغيب للمؤمنين للعمل بصفات التسامح والعفو.

قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾

قوله (إن الذين يكفرون بالله ورسله) استئناف ابتدائي للإخبار عن أحوال أهل الكتاب. وهو جحودهم بآيات الله وإنكارهم لرسله.

قوله (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله) العطف لتفسير كفرهم بالله ورسله، وفعل الإرادة دال على رغبتهم وعزمهم على عمل التفرقة بين الله ورسله، والتفرقة إشارة إلى محاولتهم الفصل بين الله ومبعوثيه من الرسل بتكذيبهم وإثارة الشكوك في صحة التبليغ والرسالة.

قوله (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) وهذا جزء من كفرهم بالله ورسله، وهو ادعائهم الاكتفاء بما عندهم من رسل واستغنائهم عن غيرهم اعتدادا بأنفسهم وتمردا على أوامر الله، فقد كذب بنو إسرائيل عيسى وأنكروا رسالته، مثلما جحدوا رسالة النبي محمد ﷺ، والنصارى فعلت مثلهم فأمنت بموسى وعيسى عليهما السلام وأنكرت نبوة محمد ﷺ.

قوله (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا) أي: يحبون أن يبتدعوا في طريق الضلالة بدعا بحسب أهوائهم. ولفظ الإشارة بمعنى: ذلك التفريق والإيمان المجزأ، وقد قرر القرآن دائما إن الإيمان واحد بالله وبرسله جميعا لا يمكن تجزئته أو الوقوف وسطا بينه وبين الكفر، فالذين آمنوا بالله وكفروا برسله أو آمنوا بالله وبيعض رسله وكفروا ببعض كافرون بالله وبرسله جميعا.

قوله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا



قوله (أولئك هم الكافرون حقا) لفظ الإشارة لتمييز هذه الفئة الضالة حتى كأنها تحضر وتشاهد في الذهن، والكلام إخبار على وجه التأكيد لئلا يتوهم متوهم أن قولهم (نؤمن ببعض) يخرجهم من جنس الكفار ويلحقهم بالمؤمنين، ولإفادة شدة كفرهم جيء في الآية بقصرين: ضمير الفصل (هم) وأل تعريف الكافرين، ومصدر فعل الحق.

قوله (وأعدنا للكافرين عذابا مهينا) فعل الإعداد مبالغة في تهيئة العذاب للكافرين ووصفه بالإهانة لإخزائهم وإذلالهم يوم القيامة، والكلام إخبار متضمن الوعيد الشديد.

قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ﴿١٥٢﴾

قوله (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم) العطف لإتمام الفائدة بذكر المؤمنين وعاقبتهم بعد ذكر الكافرين وسوء مصيرهم، ففي الكلام تقابل بديعي، فالإيمان الذي يدعو إليه القرآن هو الإيمان الكامل الذي لا يفرق بين الكتب السماوية ولا يجحد رسالات الأنبياء السابقين، فيأمر بالإيمان بها جميعا كما يأمر بالإيمان برسالة محمد ﷺ وكتابه المنزل.

قوله (أولئك سوف يؤتيهم أجورهم) إحضار فئة المؤمنين باسم الإشارة للتنويه بهم. والتعليق بسين المستقبل للإشارة إلى مجازاة الله المؤمنين في الدنيا والآخرة بثوابه العميم.

قوله (وكان الله غفورا رحيمًا) إخبار متضمن الوعد الجميل للمؤمنين في الآخرة بالعفو عن ذنوبهم ورحمته بهم.

وفي الآيات التفات في أسلوب الكلام، ففي وعيده تعالى للكافرين أسند الكلام إلى نفسه فقال (وأعدنا للكافرين عذابا مهينا) لأن سياق الإسناد إلى نون العظمة أوقع في التهديد والتخويف، وحين وعد المؤمنين بأجره تعالى تغيرت

صيغة الخطاب إلى الغيبة فقال (أولئك سوف يؤتاهم أجورهم) على سبيل الإخبار لنبيه بقرب إنجازهم.

قوله تعالى ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنِ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾

لما ذكرت الآيات السابقة حال أهل الكتاب في إرادتهم التفريق بين الله ورسله وتجزئتهم للإيمان بحسب أهوائهم، أعقبته بذكر معائبهم في طلب المحالات من النبي ﷺ إنكارا وجحودا بدعوته.

قوله (يسألك أهل الكتاب) دلالة مضارع فعل السؤال تكرر طلب اليهود والنصارى من النبي ﷺ إنزال معجزة غير القرآن، وسموا أهل الكتاب لأنهم يعتزون بكتبهم السماوية التوراة والإنجيل، والسؤال وإن صدر من علماء اليهود للنبي ﷺ إلا أن النصارى كانوا متوافقين معهم في إنكار الرسالة المحمدية، ولأنهم أصلا من بني إسرائيل.

قوله (أن تنزل عليهم كتابا من السماء) المصدر المؤول جملة مضمون السؤال، وهو اقتراح منهم على الله تنزيل كتاب آخر غير القرآن مخصوص بهم كما كانت التوراة مكتوبة من عند الله في الألواح، لأنهم لم يقنعوا بنزول

القرآن بالوحي منجما، وهو اجترأ يدل على تعنتهم واعتدادهم بأنفسهم وتعاليتهم على الأمم، وسذاجتهم لمقام الألوهية، وكأن المعجزات خاضعة إلى أمزجتهم، وأن لهم الخيرة في رد الرسل أو قبول المعجزة، أو كأن للأنبياء الخيرة في تبديل المعجزات واقتراح غيرها، والحال أنهم رسل الله مبلغون عنه، لا شأن لهم بما ينزل عليهم من تأييدات إلهية لأن المعجزات من مختصات الله وحده.

قوله (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) الفاء تفصح عن جملة محذوفة تقديرها: فلا تعجب فقد سألوا موسى أكبر من ذلك، وفي الكلام تسلية لنفس النبي ﷺ للإشارة إلى أن القوم أبناء القوم، والسؤال بمعنى الطلب، وسؤالهم موسى فسرته الجملة التي تليها، ووصفه بأنه أكبر من سؤالهم للنبي ﷺ مجاز لما في الطلب من جرأة على الله وتجاوز لكل حد.

قوله (فقالوا أرنا الله جهرة) والفاء لترتيب الكلام، طلبوا من نبيهم أن يريهم الله عيانا جهارا، ولا ريب في أن السؤال منهم لموسى مبني على جهل وضلال، إذ كيف يطلب ذلك وقد رأوا المعجزات الكثيرة التي أيد الله بها نبيه وآخرها - قبل سؤالهم هذا - إنجائهم من غرق البحر، وفعل الرؤية للعيان والبصر، ونصب لفظ الجهرة على الحال، أو الصفة للقول: بمعنى: قالوا جهرة أرنا الله، والقصة مر ذكرها في سورة البقرة [٥٥ - ٥٦]، وستأتي في الأعراف [١٥٥].

قوله (فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) الفاء للسبب، والأخذ الإمساك، والصاعقة عمود من نار ينزل من السماء فيه صوت شديد، والصورة كناية عن فقدهم الإحساس بالحياة، أو الموت المؤقت، عقابا لهم، والباء في (بظلمهم) للسبب، أي: بسبب ظلمهم أنفسهم بتعريضها للعقاب لجحودهم آيات الله الدالة على استحالة الرؤية البصرية، وعلى جرأتهم في طلبهم وهذرهم.

قوله (ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات) تفيد (ثم) التراخي الرتبي، واتخاذهم العجل معبودا لهم مثلبة عظيمة لا تقل في الإثم عن سؤالهم رؤية الله جهرة، وقوله (من بعد ما جاءتهم البينات) جملة موقعها الحال، و(من) زائدة للتأكيد، و(ما) مصدرية، بمعنى: مجيئهم، أي تبليغ موسى لهم حجج الله ومعجزاته التي أسماها بينات لأنها كثيرة وظاهرة لا شك فيها.

قوله (فعفونا عن ذلك) العفو والتعفية أصله المحو، و(عن) للتعدية، بمعنى تجاوز الله عنهم بأخذهم بالعقاب.

قوله (وآتينا موسى سلطانا مبينا) أي وأعطى الله موسى الحجة القوية في زجر قومه المتمردين، وإحراق عجلهم وذره في اليم، وبنفي السامري في الصحراء من دون أن يخالطه أحد، وقصة اتخاذ العجل مر تفصيلها في سورة البقرة [٥٤].

قوله تعالى ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾

قوله (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) الواو لاتصال تعداد جحود أهل الكتاب، ورفع الطور قلع الله لجبل سيناء فوق عسكرهم بسبب نقضهم العهد بالعمل بشريعة التوراة، ولولا دعاء موسى ربه لسحقهم الله به، وتعريف الطور لأنه جيل معروف عندهم، والقصة مر تفسيراها في سورة البقرة [٦٣ - ٩٣].

قوله (وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا) والمعنى: أمر الله بني إسرائيل بدخول بيت المقدس في حال من السجود والخضوع لله، وأن يدعو عند عتبه بأن يحط الله عنهم ذنوبهم ويسقطها، فيقولون (حطة حطة)، ولكنهم لووا ألسنتهم على عادتهم مستهزئين فقالوا (حنطة).

قوله (وقلنا لهم لا تعدوا في السبت) أي: تذكير بأمر الله لأسلافهم بقصة أصحاب السبت، وعصيانهم لنبيهم بالألّا يجاوزوا في صيد الحيتان السبت فقد حرمه الله عليهم، ولكنهم اعتدوا وخالفوا ما أمروا به فمسخوا قردة خاسئين.

قوله (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) الأخذ الميثاق كناية عن فرض الله عليهم حرمة الصيد في يوم السبت، ووصفه بالغليظ لشدة اليمين المعطى منهم على تنفيذ العهد، والقصة ذكرت في سورة البقرة [٥٨ - ٦٥].

والكلام في الآيات إشارات مختصرة لقصص بين بعضها أزمان طويلة في نكت اليهود للعهد وتعاليمهم على الالتزام بأوامر نبيهم، لإثبات أن الخلف متصل بخيانات السلف ونقض المواثيق.

قوله تعالى ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا



قوله (فبما نقضهم ميثاقهم) الفاء للتفريع على ما سبق من تعداد جرائم بني إسرائيل، والباء يفيد السبب، و(ما) زائدة، والنقض أصله الحل ويراد به نكث العهود والمواثيق مع الأنبياء والمرسلين، والعامل في جملة النقض محذوف تقديره: لعناهم. وهو الأقرب إلى المتعلق بدلا من جعله في قوله (حرمنا عليهم طبيبات أحلت لهم).

قوله (وكفرهم بآيات الله) العطف بمعنى: وبسبب كفرهم وجحودهم بآيات الله ومعجزاته، ومنها طلبهم إراءة الله واتخاذ العجل، وآخرها كفر خلفهم بالقرآن وجحدهم لنبوة النبي ﷺ.

قوله (وقتلهم الأنبياء بغير حق) العطف كذلك بمعنى: وبسبب قتلهم الأنبياء ظلما وعدوانا، وقد عرف بنو إسرائيل بقتل اليهود والتحريض عليهم كما فعلوا مع يحيى وزكريا، وكما زعموا صراحة بقتل عيسى، ولكن الله نجاه منهم فصلبوا الذي شبه لهم نحو قوله تعالى الذي سيأتي في السورة (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول).

قوله (وقولهم قلوبنا غلف) أي: وبسبب قولهم قلوبنا غلف عنادًا وتكبرا منهم، بمعنى أن قلوبهم مغلفة عن إدراك الموعظة لاتصل إليها رقة النصيحة ولا

يؤثر فيها الوعظ، وهو ادعاء زائف وزعم كاذب، غايته تبرئة أنفسهم من عدم استجابة دعوات أنبيائهم بادعائهم أنهم خلقوا هكذا جبلة وليس بأيديهم، لذلك رد الله عليهم دعواهم بأنها إنما هي كذلك بسبب أعمالهم فقال:

(بل طبع الله عليها بكفرهم) والحرف (بل) للإعراض عن قولهم وزعمهم الأنف، والمعنى: أصبحت قلوبهم قاسية لا تعمل فيها النصيحة بسبب جحودهم لآيات الله ونعمه عليهم وإنكارهم لدعوات الأنبياء، والطبع الختم ويراد به المنع، وحرف الجر مجاز استعلائي من تمكن الطبع من قلوبهم، والباء في (بكفرهم) للسبب، بمعنى أن الطبع مسبب من أعمالهم لا مبتدأ من الله كما زعموا.

قوله (فلا يؤمنون إلا قليلا) الفاء لتفريع نفي الإيمان عنهم، والاستثناء لإخراج القلة القليلة من كفرهم حفظا لحقهم.

قوله تعالى ﴿وَبَكَفِّرْهُمْ وَقُولِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٥٦﴾

قوله (وبكفرهم) العطف على قوله (فبما نقضهم) بمعنى: لعن الله بني إسرائيل بسبب جحودهم لآيات عيسى ونبوته، والإتيان بحرف الباء دون الاكتفاء بالعطف لبعد المعطوف عليه وإفادة التأكيد والتحويل لهذه الفرية.

قوله (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) وبسبب اتهامهم مريم عليها السلام بالزنا في ولادة عيسى عليه السلام، وفعل القول متضمن معنى الادعاء من دون دليل لذلك عدي بحرف الجر (على)، ومريم ابنة عمران وتعني في العبرية

الخادمة العابدة لربها، والبهتان مبالغة في البهت وهو الافتراء الذي يتحير فيه من شدته، ووصفه بالعظيم لشدة الفرية في قذفها بالفاحشة.

قوله تعالى ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ ﴿١٥٧﴾

قوله (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) العطف لتبيان جرائم بني إسرائيل، وفي تصريحهم بقتل عيسى اجتراء على الله، مع أنه تعالى رد عليهم بالنفي، والمسيح صفة لعيسى قيل إنها من مسحها بيده على الأكمه أو الأبرص أو الأعمى فيعود بإذن الله سليما، أو قيل من لبسه المسوح، أو قيل إنه مما كان يستهزئ به بنو إسرائيل، وقال في المجمع: وأصل المسيح: الممسوح، سماه الله بذلك لتطهيره إياه من الذنوب والأدناس التي تكون في الأدميين، وقيل: إنه سرياني، وأصله مشيحا، فعربت كما عربت أسماء الأنبياء. انتهى.

وذكر عيسى منسوباً لأمه لأنه جعل كالعلم المركب رداً على من زعم أنه ابن الله، وذكره بأنه رسول الله على البذل أو الصفة، بتقدير الحكاية عنهم: رسول الله في زعمه، استخفافاً من اليهود بعيسى، هذا إذا عدناه من تنمة قول اليهود، أما على تقدير كلام الله فهو بمعنى: الذي هو رسولي، تشنيعاً لفعالهم.

قوله (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) رد منه تعالى بنفي قتله وصلبه حقيقة، وإنما رفعه الله إليه وجعل من تدبيره من يشبه وجه عيسى، فاشتبه الأمر على اليهود وجنود الرومان فأخذوه وعلقوه مصلوبا أمام الناس حتى مات.

قوله (وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه) إخبار باختلاف اليهود في حقيقة قتل عيسى، فعامتهم قالوا بقتله، وعلمائهم علموا أنه غير مقتول، واللام في (لفي) واقع في خبر (إن)، وحرف الجر للظرفية المجازية، والشك بمعنى الجهل في قبول حقيقة قتل عيسى، و(من) في (منه) تفيد السبب.

قوله (ما لهم به من علم إلا اتباع الظن) القطع للتعليل، والنفي المؤكد لنفي العلم بحقيقة مقتله، و(ما) نافية، و(لهم) متعلق بلفظ العلم تقدم للأهمية، و(من) زائدة لتقوية النفي، والعلم بمعنى اليقين بقتله، والاستثناء منقطع لأن اتباع الظن تخمين ليس من جنس العلم.

قوله (وما قتلوه يقينا) أي: كان قتلهم على التخمين بأنه المسيح، وليس على الحقيقة.

قوله تعالى ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾

قوله (بل رفعه الله إليه) الحرف (بل) للإضراب لتأكيد ما بعده، وهو رفع الله عيسى إليه، وفعل الرفع مجاز بانتقاله من عالم الدنيا إلى عالم الغيب على نحو الإعجاز، ليس بمقدورنا فهمه عقلا، لأننا لا نعلم من هذا الانتقال سوى

طريق قبض الروح، والآيات في شأن عيسى - كما في سورة آل عمران - تؤكد فعل الرفع لعيسى بروحه وبدنه دائماً ثم التوفي.

قوله (وكان الله عزيزاً حكيماً) واختيار لفظ العزيز لقوته تعالى وقدرته على نصر أوليائه، ولفظ الحكيم للإشارة إلى علمه تعالى وتدبيره بوضع الأمور فيما تقتضي المصلحة، وكلا الاسمين من أسمائه العلى.

قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾

قوله (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) في الكلام حذف بمعنى: وإن أحد، وتفيد (من) الاستغراق، وأهل الكتاب تركيب يطلق في القرآن ويراد بهم اليهود والنصارى، وأداة الاستثناء ملغاة، واللام المقترنة بفعل الإيمان مؤذنة بالقسم للتأكيد، والإيمان التصديق، والهاء في (به) عائذ إلى عيسى وكذا الهاء في (موته)، والصياغة عامة مؤكدة بأشد التأكيدات في إيمان أهل الكتاب بعيسى قبل موته، بمعنى أن عيسى حي عند الله بعد رفعه إليه، وإنما ينزله الله في آخر الزمان فيؤمن به جميع أهل الكتاب من اليهود والنصارى بحسب الروايات المعتبرة في ذلك ثم يقبضه الله إليه، وينزوله تتوحد الملل كلها بدين الإسلام، إذ يكون ناصراً لقائم آل محمد - عجل الله تعالى فرجه - الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ملئت ظلماً وجوراً، وذكر في تفسير القمي بإسناده عن شهر بن حوشب قال: قال الحجاج بن يوسف:

آية من كتاب الله قد أعيتني قوله (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) الآية، والله إني لأمر باليهودي والنصراني فيضرب عنقه، ثم أرمقه بعيني فما أراه يحرك شفثيه حتى يحمل، فقلت: أصلح الله الأمير، ليس على ما أولت، قال: فكيف هو؟ قلت: إن عيسى بن مريم ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا، ولا يبقى أهل ملة يهودي أو نصراني أو غيره إلا وآمن به قبل موت عيسى، ويصلي خلف المهدي، قال: ويحك أنى لك هذا؟ ومن أين جئت به؟ قال: قلت: حدثني به الباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: جئت والله بها من عين صافية، فقل لشهر: ما أردت بذلك؟ قال: أردت أن أغيظه. انتهى.

ولا ريب في أن الروايات القائلة بنزول عيسى عليه السلام عند ظهور الإمام المهدي عج كثيرة من الفريقين، من طرق أهل السنة، وكذا من طرق الشيعة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومين عليهم السلام.

قوله (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) أي: ويوم القيامة يكون عيسى شهيدا على قومه بأنه بلغهم رسالات ربه بتوحيده تعالى وأنه عبد من عبيد الله.

قوله تعالى ﴿فِظْلَمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ ﴿١٦﴾

قوله (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) الفاء للتفريع، والباء للسبب متعلقة بقوله (حرمنا)، والظلم إشارة إلى جحدهم لنعم الله

وتتكرهم للعهود، ونكر للتهويل، والكلام بدل جزء من كل في (فبما نقضهم)،
(من) ابتدائية، والإتيان بالموصول وصلته لزمهم لأن صفة اليهودية أحلوها
بدل دين الإسلام لإبراهيم الحنيف، وأرادوا بها العاملين بتعاليم شريعة التوراة
التي أعملوا الدس والتحريف فيها، والتحريم من الله منعهم من أكل طيبات
كانت أحلت لهم بسبب ظلمهم، وهي آخر ما جاء في شريعة التوراة،
والطيبات المحرمة عليهم بينها قوله تعالى (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي
ظفر ومن البقر والغنم) [الأنعام ١٤٦].

قوله (وبصدهم عن سبيل الله كثيرا) العطف لذكر علة ثانية للتحريم، وهو
مبالغتهم في منع الناس عن دين الله وشرعته الحق بتبديل أحكامه، وتقولهم
على الله، وبجدهم نبوة محمد ﷺ.

قوله تعالى ﴿ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ
وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

قوله (وأخذهم الربا وقد نهوا عنه) العطف لذكر سبب آخر لتحريم، وهو
تعاملهم الربوي الذي أصروا عليه بعدما أمروا بالانتهاء عنه.

قوله (وأكلهم أموال الناس بالباطل) علة أخرى لتحريم الله الطيبات عليهم،
وهي هضم حقوق الناس وأكلها بالباطل نحو ما قبضوا ثمنه من رشى في
تغيير أحكام الله.

قوله (وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) الإخبار بتهيئة الله العذاب الأليم وإنزال بعضهم منزلة الكافرين إبعاد شديد لا قبل لهم به، والتبعض في (منهم) إشارة إلى علماء السوء من اليهود.

قوله تعالى ﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١١٢﴾

قوله (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) الاستدراك بـ (لكن) لاستثناء الفئة المؤمنة القليلة من سؤال أهل الكتاب في قوله تعالى (يسألك أهل الكتاب) لأنهم لا يسألونه سؤال هذر وجهالة بل علموا حقيقة نبوته مما بشرت به التوراة كعبد الله بن سلام وأصحابه، والراسخون استعارة لثبات علماء اليهود المصدقين بالنبي ﷺ الذين لم يحرفوا ولم يغيروا ما جاء في التوراة من البشارة بالنبي ﷺ، و(في) للظرفية المجازية، والتبعض في (منهم) لتمييزهم من كثرة علماء السوء الذين اقترحوا على الرسول إنزال كتاب غير القرآن، ولفظ المؤمنين بمعنى المصدقين بدعوة النبي ﷺ، وجملة (يؤمنون) خبر (الراسخون)، والباء في (بما) للتعدية فعل الإيمان الذي يفيد التصديق بالقرآن النازل على الرسول ﷺ، ويصدقون بالكتب النازلة قبله كالطوراة والإنجيل.

قوله (والمقيمين الصلاة) العطف على قوله (الراسخون) ونصب المقيمين على المدح بمعنى: أعني المقيمين الصلاة وهم الذين يؤدونها بتمام وقتها.

قوله (والمؤتون الزكاة) أي: والمعطون زكاة أموالهم.

قوله (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) أي: والموحدون المقرون بنفي الشركة عنه تعالى، والمؤمنون بالبعث والمعاد.

قوله (أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما) إحضارهم بلفظ الإشارة للتنويه بما تقدم من صفاتهم، والإخبار عنهم بإعطاء الله لهم الثواب العميم متضمن معنى المجازاة لهم في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَيُوسُفَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾

قوله (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) قطع الكلام لأنه علة لقوله (يؤمنون بما أنزل إليك) بمعنى: إن هؤلاء المستثنين آمنوا بنبوة محمد لأن الله اصطفاه نبيا كما اصطفى من قبله أنبياء آمنوا بهم، والوحي التبليغ من الله بملك أو بإلقاء العلم في النفس بالإلهام.

والتشبيه بإحياء الأنبياء المذكورين بمعنى أن بعثة النبي ﷺ ليست مبتدعة لا نظير لها من قبله بل سبق أن بعث الله قبله أنبياء كثيرا.

فتقدم ذكر الرسول ﷺ على غيره من سائر الأنبياء لأنه هو المخاطب ولعلته لإيمان المستثنين من اليهود، والنبي نوح أطول الأنبياء عمرا، وكانت معجزته في نفسه لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، فجاءهم بكتاب وشريعة، وأمه أول أمة أصرت على الكفر فنالها عذاب الاستئصال.

قوله (وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب) واو العطف بمعنى الشبه في الإيحاء، أي: كما أوحينا إلى إبراهيم وآله، وذكرهم تعظيم لأمرهم، وتفخيم لشأنهم.

قوله (والأسباط) أي: كما أوحينا إلى الأسباط. وهم أنبياء من ذرية يعقوب، أو من أسباط بني إسرائيل.

قوله (وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان) وقدم عيسى على أنبياء كانوا قبله، لشدة العناية بأمره، لغلو اليهود في الطعن فيه، والواو لا يوجب الترتيب.

قوله (وآتينا داود زبورا) العطف بمعنى: وكما أعطينا داود كتابا يسمى زبورا، واشتهر به كما اشتهر كتاب موسى بالتوراة، وكتاب عيسى بالإنجيل، والزبور بمعنى المزبور وهو المكتوب.

قوله تعالى ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾

قوله (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل) إجمال بعد تفصيل ذكر فيه أسماء النبيين وأخبارهم في القرآن، وذكر رسل آخرون تعرف عليهم النبي ﷺ بالوحي في غير القرآن، ونصب لفظ الرسل على تقدير فعل الوحي بعد حذف الخفض لأن الفعل يتعدى بحرف الجر (إلى)، أو بتقدير فعل القص. والقص أصله تتبع الأثر، ويراد به القراءة المتواصلة، والخطاب المقترن بحرف الجر (عليك) للنبي ﷺ، والظرف (من قبل) إشارة إلى ما ذكر الله لنبيه من قصص الأنبياء في سورة الأنعام النازلة بمكة، لأن هذه السورة مدنية.

قوله (ورسلا لم نقصصهم عليك) أي: وأوحينا إلى رسل آخرين لم نقصصهم عليك يا محمد، ولا ريب في أن المصلحة التي يعلمها الله لم تستوجب ذكر الأنبياء كلهم، وإنما المذكورون قص بعضهم على النبي ﷺ لفضيلتهم على من لم يقصصهم.

قوله (وكلم الله موسى تكليما) واو العطف على ما سبق لأن تكليم الله لموسى نوع تبليغ بلا واسطة تخفى علينا كيفيته، وأكد بالنعوية بذكر مصدر الفعل لبيان ما تميز به موسى عن سائر الأنبياء، إذ إن الوحي كان واسطة الله مع أنبيائه إلا هو إبانة له وتمييزا.

وروي في المجمع: أن رسول الله ﷺ لما قرأ الآية التي قبل هذه، على الناس، قالت اليهود فيما بينهم: ذكر محمد ﷺ النبيين، ولم يبين لنا أمر موسى عليه السلام، فلما نزلت هذه الآية، وقرأها عليهم، قالوا: إن محمدا قد ذكره وفضله بالكلام عليهم. انتهى.

قوله تعالى ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٦٥﴾

قوله (رسلا مبشرين ومنذرين) نصب لفظ الجمع على الحال، وما بعده صفات للرسل، والتبشير يكون للمؤمنين بالجنة، والإنذار للكافرين بالنار، وهذه وسائل الأنبياء في بعثتهم لأقوامهم يبلغونهم عن الله الوعد والوعيد.

قوله (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) جملة تعليل لما تقدم، وهو أن إرسال الرسل إلى الناس لقطع المعذرة عليهم، لو احتجوا بعدم علمهم بالعقاب في حال ترك عبادة الله أو الشرك به.

قوله (وكان الله عزيزا حكيما) أي: لم يزل الله قويا مقتدرا على من عصاه، حكيما في إرجاء العقاب عنه.

قوله تعالى ﴿لَٰكِنَ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ ۥ بِعِلْمِهِ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَٰهِدًا﴾ ﴿١٦٦﴾

قوله (لكن الله يشهد بما أنزل إليك) الاستدراك - بحسب سياق الآيات - على تعلق الكلام بإنكار اليهود القرآن في طلبهم استبداله بكتاب آخر، والتصريح باسم الله لعظمة شهادته تعالى بصحة إنزال القرآن على النبي ﷺ، ودلالة الكناية عن القرآن باسم الموصول وصلته دلالة تفخيم وتشريف.

قوله (أنزله بعلمه) الفصل لأنها جملة تفسير للشهادة، والباء في (بعلمه) للمصاحبة، والظرف موقعه الحال، قال الزمخشري: أنزل القرآن متلبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره، وهو تأليفه على نظم وأسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان، وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لأنه بيان للشهادة، وأن شهادته بصحته أنه أنزله بالنظم المعجز الفائت للقدرة. انتهى.

قوله (والملائكة يشهدون) الواو للعطف، وتعريف الملائكة للعهد يراد بهم ملائكة الوحي والتبليغ، وشهادتهم على أن محمدا ﷺ رسول الله وأن القرآن حق نازل منه تعالى، ودلالة الفعل المضارع لفعل الشهادة من الله وملائكته لاستمرارها وتأبيدها لرسالة النبي ﷺ.

قوله (وكفى بالله شهيدا) الكفاية بالله في الشهادة لأنها مغنية عن كل شهادة، فهو الخالق المطلق وله الحجة البالغة المطلقة، ولعناية الله بنبيه تكررت لفظ الشهادة ثلاث مرات في الآية، ردا على جحد اليهود، وتسلية للنبي ﷺ.

قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿١٦٧﴾

قوله (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) استئناف ابتدائي لأهمية الإخبار عن أهل الكتاب، وهو الحكم على الجاحدين منهم بكتاب الله والمعرضين عن دينه بالضلال الذي لا أمل في الرجوع عنه.

قوله (قد ضلوا ضلالا بعيدا) حرف التحقيق للتأكيد والجملة موقعها الخبر للابتداء، والضلal إضاعة طريق الصواب واشتقاق المفعولية المطلقة من فعله لإفادة نوعية الضلال المؤدي بأهله إلى الهلاك، ووصفه بالبعد لتأيس أهله من إصابة الهدى.

قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ ﴿١٦٨﴾

قوله (إن الذين كفروا وظلموا) تأكيد ابتدائي بمنزلة التعليل لضلal أهل الكتاب الموصوف بالبعيد، والكفر الجحد بنبوة محمد ﷺ، والظلم لصددهم عن سبيل الله والتشكيك بكتابه.

قوله (لم يكن الله ليغفر لهم) نفي الكون ولام الجحد الداخلة على خبره لإفادة التأكيد الشديد بعدم تجاوز الله عنهم يوم القيامة.

قوله (ولا ليهديهم طريقا) أي: لن يكون لهم أمل يوم القيامة في التيسير إلى طريق الجنة.

قوله تعالى ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ ﴿١٦٩﴾

قوله (إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا) الاستثناء لاستدراك نفي الاهتداء إلى عموم الطرق، ودفع توهم أن العقاب لن ينالهم، فأكد طريقا واحدا لهم وهو طريق جهنم، وأكد بحالهم فيها وهو ديمومة بقائهم في نار جهنم، وأبدى لهم تأكيدا بعد تأكيد.

قوله (وكان ذلك على الله يسيرا) أي: وكان العقاب الأبدي لهم سهلا عليه تعالى، فلا أحد يمنع من ذلك.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ١٧٠

قوله (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) عمومية النداء لعمومية رسالة الإسلام وشموليتها للإنسانية كلها في كونها رحمة من الله لهم، فهو نداء يتجاوز اليهود والنصارى والمسلمين إلى بني الإنسان كلهم لتلبية نداء الوعظ الحق الذي توافرت فيه عناصر التعريف والتأكيد كلها نحو:

- حرف التحقيق (قد) الذي يفيد تأكيد معنى مضي الفعل. وفعل المجيء متضمن معنى التبليغ.

- أل العهد في لفظ (الرسول) وهي كناية عن محمد ﷺ لخصوصية معنى الاتصال بالله في كونه مبعوثا من الله سبحانه.

- المتعلقات (بالحق، من ربكم) المؤكدة لصحة الرسالة وانتماء مصدرها إلى الله تعالى. والباء للملابسة، و(من) ابتدائية.

قوله (فآمنوا) الفاء للتفريع، والأمر لفعل الإيمان بمعنى التصديق بنبوّة محمد ﷺ وكتابه المنزل عليه من الله.

قوله (خيرا لكم) انتصب لفظ الخير على الحال اللازمة من صفة الإيمان، بتقدير: فآمنوا حال كون الإيمان خيرا، وقيل في نصبه تأويلات مضمرة قريبة من ذلك.

قوله (وإن تكفروا فإن الله ما في السماوات والأرض) الجملة في مقابلة كما سبقها، لإتمام الفائدة، أي: وإن تعرضوا وتجحدوا بمعجزة القرآن وتنكروا نبوة محمد ﷺ فإن الله غني عنكم وعن إيمانكم لأن له سبحانه ملك كل شيء من مملكته الواسعة، ودلالة الجملة الإسمية المؤكدة التي أقيمت مقام جواب الشرط لما تحمل من معنى ثبات غناء الله تعالى عن كفر الكافرين، وأن سلطانه لا يضره شيء بكفرهم بل يعود فعلهم عليهم بالضرر، والتقدير: إن تكفروا فضرر كفركم يعود عليكم دون الله لأن الله مالك كل شيء.

وثمة دلالة مضمرة أخرى في الآية، فكأن فيها تحذيرا للمؤمنين أيضا أن يثبتوا على إيمانهم، لأن غنى الله عن كفر الكافر مثل غناه عن إيمان المؤمن فكلاهما يعودان بالضرر والنفع على أصحابها على التوالي بعد إلقاء الحجة عليهما.

قوله (وكان الله عليهما حكيمًا) إخبار متضمن معنى مجازاة الله لأهل الإيمان بإيمانهم، ولأهل الكفر بكفرهم.

قوله تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾

قوله (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) الخطاب لأهل الكتاب اليهود والنصارى، غير أنه خص به النصارى بدليل القرائن بعده، والخطاب بتعريفهم بأهل الكتاب للالتزام بحدود ما بينه الكتاب لهم، والنداء لإفادة الانتباه بالإقبال على ما بعده من النهي عن المغالاة في الدين، والغلو تجاوز الحد.

ودلالة أسلوب النهي الصريح عن الغلو في الدين لفداحة تجاوز الحد فيه، لأن النصارى غلت في أمر عيسى فمنهم من زعم أنه ابن الله ومنهم من قال هو الله، وبعضهم قال هو ثالث ثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس، واليهود غلت فيه حتى قالوا ولد لغير رشدة، فالغلو لازم للفريقين.

قوله (ولا تقولوا على الله إلا الحق) أي: ولا تدعوا باطلا على الله، والقول الحق هو القول بوحدانية الله وأنه لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد له، وإنما

جاءت العبارة بالقصر بالنفي والاستثناء إشارة إلى تقولهم على الله أن المسيح ابنه، فهو قول بغير الحق.

قوله (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) التأكيد بـ (إنما) فائدته قصر عيسى على الرسالة دون أي صفة أخرى غيرها، لأن (إنما) تفيد قصر الموصوف على الصفة، وعرف باسمه الثلاثي: المسيح عيسى بن مريم، للرد على من زعم غير ذلك أي: إنه ابن مريم، لا ابن الله، كما ادعت النصارى، ولا ابن أب، كما زعمت اليهود، وفي ذلك تعليل ورد على غلو المسيح في عيسى الوارد آنف، لذلك قطع الكلام ولم يعطف. وفي لفظ المسيح معان كثيرة منها السياحة في الأرض بقطعها مشياً، وقوله (رسول الله) المقصور عليه، أي: رسول مبلغ عن الله إلى خلقه، وليس كما زعموا أنه ابن الله.

قوله (وكلمته ألقاها إلى مريم) العطف على القصر بمعنى: وإنما عيسى كلمته ألقاها إلى مريم، والكلمة إشارة إلى أصل خلق عيسى بأمر إعجازي من قوله تعالى: كن، فهو يختلف من سائر الأنبياء في كونه مولود من دون أب. وإلقاء الكلمة إلى مريم بمعنى خلقه في رحمها على نحو من الإعجاز الذي تخفى كيفيته على المخلوقين.

قوله (وروح منه) العطف لأنه قصر ثالث لعيسى على أنه روح من الله بعد قصره على الرسالة والكلمة. والمعنى: وإنما عيسى خلق بأمر منه، قال في

الميزان: والروح من الامر، قال تعالى: (قل الروح من أمر ربي) [أسرى ٨٥]، ولما كان عيسى عليه السلام كلمة (كن) التكوينية وهي أمر فهو روح. انتهى.
قوله (فآمنوا بالله ورسله) الفاء لتفريع جملة الإيمان بوحداية الله ورسله جميعا على ما تقدم من قصر المسيح على الرسالة.

قوله (ولا تقولوا ثلاثة) خطاب النهي لعموم النصارى، لأن في قولهم ذلك مغالطة وابتعادا عن حقيقة الوحداية المدعاة من النصارى، فكيف يكون الله واحدا وهم يقولون بالتثليث: الأب والابن وروح القدس، لذلك أمرهم الله بالكف عن ذلك القول.

قوله (انتهوا خيرا لكم) أمر بعد نهى زيادة في تأكيد الامتناع عن ادعاء هذه المقالة الشنيعة. ونصب لفظ الخير على الحال من فعل الانتهاء، والقول فيه كالقول في الآية السابقة.

قوله (إنما الله إله واحد) الكلام تأكيد لوحداية الله بأسلوب قصر الألوهية على الأحدية، متضمن معنى الرد على القول بالتثليث لاستحالة الولدية عليه تعالى.

قوله (سبحانه أن يكون له ولد) التسبيح لتنزيه الله عن النقصان لأن اتخاذ الولد دليل احتياج والله مطلق الكمال مستغن بذاته عما خلق. والجملة اعتراض للتعظيم، أي: أنزهه تنزيها من أن يكون له ولد.

قوله (له ما في السماوات وما في الأرض) الجملة موقعها الحال، والاحتجاج على نفي الولد عنه، بأن ما خلق في السموات والأرض مملوك له في أصل ذاته ولا يشبهه منها شيء، بينما الأبناء يماثلون الآباء في السخية.

قوله (وكفى بالله وكيلًا) أي: في الله الغناء والكفاية عن كل أحد في الحفظ والتدبير.

قوله تعالى ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾

قوله (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله) الاستنكاف أصله من نكف الدمع وتحتيته، ويراد به الأنفة من الشيء، والاستعلاء عليه، والمعنى: لن يأنف عيسى من حقيقة عبوديته لله ولن يستعلي عليها. والكلام احتجاج على نفي الألوهية عن عيسى لأنه هو نفسه مقر بعبوديته لله فكيف تزعمونه ربا، ومن الجدير بالذكر أن النصارى تقول بذلك والأنجيل التي بين أيديهم كذلك، ورغم ذلك يزعمون غيره.

قوله (ولا الملائكة المقربون) العطف بمعنى: ولن يستنكف الملائكة المقربون من أن يكونوا عبادا لله، وذكر الملائكة - مع أن الكلام يخص عيسى - من باب الاستطراد والتعميم، لأن العرب المشركين زعمت الملائكة بنات لله، والإتيان بتوصيف عيسى بالمسيح والملائكة بالمقربين لبيان علة نفي

الاستتكاف لأنه كيف يكون مسيحا باركه الله وهو مستتكف عن عبادته، وكذلك الملائكة كيف يكونون مقربين لله وهم يستعلون عليه، فهو احتجاج ضمنى يبطل ادعاء المدعين.

قوله (ومن يستتكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا) الواو للحال والكلام مقامه التعليل، وعطف الاستكبار على الاستتكاف لإفادة العلم والعمد لإخراج الجهلاء والمستضعفين عن الحكم، وفي الكلام نفي عن أن يكون المسيح والملائكة من المستتكفين عن عبادة الله لعلمهم اليقيني بأنهم محشورون إليه سبحانه، لأن استتكافهم يعني استكبارهم، قال في الميزان: ولذلك اكتفى بذكر الاستتكاف فحسب فيهم، فيكون معنى تعليل هذا بقوله: (ومن يستتكف عن عبادته ويستكبر) أنهم عالمون بأن من يستتكف عن عبادته يحشرون إلى الله. انتهى.

والفاء المقترن بفعل الحشر واقعة في جواب (من) الشرطية، والسين بالوعد إلى يوم القيامة، والحشر الجمع من كل صوب على نحو القهر، وحرف الغاية المشار به إلى الله تعالى بمعنى: ينتهي بهم البعث والحشر إلى الغاية التي من أجلها خلق الخلق وهو الحساب والمجازاة وتحقيق العدل، ونصب لفظ الجميع على التأكيد والحال، أي: جميعا لا يفلت منهم أحد.

قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ
وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ ﴾

قوله (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم) الفاء تفریع على فعل الحشر، لتفریع معاني الجزاء لأهل الإيمان بالثواب وأهل الاستنكاف والاستكبار بالعذاب، والتوفية إيصال الأجر كاملا غير منقوص.

قوله (ويزيدهم من فضله) جملة العطف امتنان منه تعالى بزيادة الأجر على صالح أعمالهم، لأنه وعد على الحسنه عشر أمثالها من الثواب، إلى سبعين ضعفا، وإلى سبعمائة، وإلى الاضعاف الكثيرة، والزيادة على المثل، تفضل من الله تعالى عليهم. كذا قال في المجمع. انتهى.

قوله (وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما) العطف على ما تقدم يراد به مقابلة المعاني فهم القسم الثاني للأول، وذكر الاستنكاف والاستكبار لأن الكلام فيهم وإلا فإن الحكم بعذابهم غير مقصور عليهم وحدهم.

قوله (ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) فيه وعيد لمن اتخذ غير الله إلها كالنصارى والمشرکين، وذكر نفي الولي والنصير يوم القيامة من دون الله تعريض بزعم ألوهية المسيح والملائكة.

قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ

نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾

قوله (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم) عموم النداء لسائر الملل الذين قص قصصهم في هذه السورة المباركة للإقبال على قبول ما يشملهم من عموم الرسالة، والبرهان الذي بلغوا به من ربهم فعلموه من النبي ﷺ هو القرآن، والكلام اختص ببيان معجزة الإسلام بعد بيان صحة النبوة، والإتيان بالصياغة ذاتها مشعر بالامتزاج والاندماج بين المعنيين، لأن لفظ البرهان يصلح استعارة بالكناية عن القرآن أو عن النبي ﷺ، ولا فرق، و(من) ابتدائية.

قوله (وأنزلنا إليكم نورا مبينا) أسند فعل الإنزال إلى الناس مجاز عقلي باعتبار الملازمة لأن ما يبلغ به النبي يوصله إلى الناس ولذلك عدي الفعل بـ (إلى) لتضمنه فعل الانتهاء، والنور المبين استعارة بالكناية عن القرآن بجامع الهداية بين حجه وبراهينه والنور، ووصفه بالمبين لشدة وضوحه لمن يبتغي النجاة.

قوله تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ

مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾

قوله (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به) الفاء للتفريع على ما تقدم من ذكر صفة القرآن والرسول، وعطف جملة الاعتصام على الإيمان لإفادة ترجمة الاعتقاد بالعمل وذلك بالأخذ به في الالتزام بشرعة الله ورسوله وأوامره ونواهيه.

قوله (فسيدخلهم في رحمة منه وفضل) أي: يدخل الله المؤمنين الجنة، أطلق الحال (الرحمة) وأراد المحل (الجنة) لأنها محل الرحمة من باب المجاز المرسل.

قوله (ويهديهم إليه صراطا مستقيما) أي: ويوفقهم لألطافه في الاقتداء بسنة أوليائه والاهتداء بسيرتهم، والصراط المستقيم كناية عن ذلك، وتنكيره لخصوصيته، ووصفه بالاستقامة لأمن من يسلكه.

قوله تعالى ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ إِنَّ أَمْثُلَ هَٰذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا أَثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلَثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

قوله (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله) الاستفتاء - كما مر - طلب الفتوى وهو السؤال عن حكم ما أشكل، والفعل دلالته تكرار صدوره من المسلمين

سائلين به النبي ﷺ، وأمر فعل القول تلقين من الله لنبيه وعناية به بأن يبلغ
بالجواب عنه تعالى. وذكر لفظ الجلالة للتعظيم، و(يفتيكم) بمعنى يقضي
ويحكم، و(في) للظرفية المجازية، والمعنى: في أمر الكلالة.

والظاهر إن آية الكلالة في الختام تنمة لما بقي منها في أول السورة، فالآية
تبين فرائض الكلالة من جهة الأبوين أو الأب، بينما ما ذكر أول السورة
سهام كلالة الأم، ولذلك الفرائض المذكورة ههنا أكثر مما ذكر هناك، ومن
المستفاد من الآيات أن سهام الذكور أكثر من سهام الإناث، فقد تضمنت الآية
التي أنزلها الله في أول هذه السورة، بيان ميراث الولد، والوالد، والآية التي
بعدها بيان ميراث الأزواج، والزوجات، والاخوة، والأخوات، من قبل الأم،
وتضمنت هذه الآية التي ختم بها السورة، بيان ميراث الإخوة، والأخوات،
من الأب والأم، والاخوة والأخوات من قبل الأب، عند عدم الاخوة والأخوات
من الأب والأم. كذا ذكر في المجمع. انتهى.

قوله (إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك) فيه إيجاز
حذف بإضمار فعل يفسره ما بعده، وتقديره: إن هلك امرؤ هلك، ولا يجوز
إظهاره، لأن الثاني يعبر عنه، والإتيان بالشرط لبيان تفصيل الجواب، وفعل
الهلاك بمعنى الوفاة، وليس له عقب ذكر أو أنثى وليس له والد.

قال في المجمع: أي ليس له ولد ذكر وأنثى، وهو موافق لمذهب الإمامية،
فمعناه إن مات رجل ليس له ولد ولا والد، وإنما أضمرنا فيه الوالد للإجماع،
ولأن لفظة الكلالة ينبئ عنه، فإن الكلالة اسم للنسب المحيط بالميت، دون

اللصيق. والوالد لصيق الولد، كما أن الولد لصيق الوالد، والإخوة والأخوات المحيطون بالميت (وله أخت) يعني: وللميت أخت لأبيه وأمه، أو لأبيه، لأن ذكر أولاد الأم، قد سبق في أول السورة. انتهى.

قوله (وهو يرثها إن لم يكن لها ولد) الضمير بمعنى: والأخ يرث أخته إن لم يكن لها عقب ولا والد لها.

قوله (فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) الفاء للتفريع، والحكم في الأختين ترثان تركة الأخ المتوفى كلاله، وهو أن لهما الثلثان.

قوله (وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين) العطف تفريع حكم ثان، وهو إن كانوا خليطا من الإخوة والأخوات فيرجع إلى الأصل وهو أن سهم الذكر ضعف الأنثيين.

قوله (يبين الله لكم أن تضلوا) التبيين التوضيح، وفي الكلام حذف تقديره: يبين الله لكم مخافة أن تضلوا طريق الصواب.

قوله (والله بكل شيء عليم) إخبار بمعنى إحاطة الله علما بمصالح العباد وأمور معاشهم.

وختام سورة النساء بآية الكلالة التفات وعدول، فقد قيل إن الآية شغلت الصحابة في معناها ومبناها، وتسمى هذه الآية، آية الصيف، وذلك أن الله تعالى أنزل في الكلالة آيتين: إحداهما في الشتاء، وهي التي في أول هذه

السورة، وأخرى في الصيف وهي هذه الآية. كذا قيل في المجمع: انتهى.
وبالله التوفيق.

سورة المائدة

مدنية، وهي مائة وعشرون آية

تدور موضوعات السورة حول موضوع العقود وما يتفرع منها نحو الدعوة إلى الإيفاء بالعهود وحفظ المواثيق، وكالتحذير البالغ من عواقب الاستهانة بالعهود أو نقضها، ومثل مبدأ الثواب والعقاب الإلهي مبنيان على حفظ العهد أو الخروج عليه، ومن هنا ستتضمن السورة كثيرا من الأحكام المتعلقة بالحدود والقصاص، وعلى قصص مختلفة مثل قصة المائدة، وسؤال المسيح، وقصة ابني آدم، وعلى الإشارة إلى كثير من مظالم بني إسرائيل ونقضهم المواثيق المأخوذة منهم، وعلى كثير من الآيات التي يمتن الله تعالى فيها على الناس بأمور كإكمال الدين، وإتمام النعمة، وإحلال الطيبات، وتشريع ما يطهر الناس من غير أن يريد بهم الحرج والعسر، وهذا هو المناسب لزمان نزول السورة إذ لم يختلف أهل النقل أنها آخر سورة مفصلة نزلت على رسول الله ﷺ في أواخر أيام حياته، لذا السورة - بحسب الروايات - ناسخة غير منسوخة، والمناسب لذلك تأكيد الوصية بحفظ المواثيق المأخوذة لله تعالى على عباده وللتثبت فيها.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتَنَلَّى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١ ﴾



قوله (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) النداء خص به أهل الإيمان لنظم أمورهم ومعاملاتهم، وأمر فعل الإيفاء يراد به إيصال الشيء بتمامه وأجله المضروب له، والباء المقترن بلفظ العقود للتعدية، وتعريف اللفظ للعموم.

والعقد حقيقة شد طرف بآخر شدا يصعب معه فصل أحدهما عن الآخر كعقد الحبل، واستعير لتشبيهه المعاملات بين الناس بالحبل، ثم حذف المشبه به وأشار إلى شيء مما يخصه على سبيل الاستعارة المكنية، بجامع التزام أحدهما بالآخر وعدم انفكاكه، ومن هذا الباب اتسع استعمالها فأطلق العقد على العهد نقلاً، لاستعماله من المحسوسات إلى المعنويات، ولكثرة استعماله أصبحت جميع العهود والمواثيق الدينية تدخل في باب حفظ العهود، التي أخذها الله على عباده أصولاً وفروعاً، كالتوحيد وسائر الأعمال العبادية الأخرى، ومنها عقود المعاملات.

والعهود نظام يحفظ الحقوق أفراداً ومجتمعات، شأنها شأن عقود البيع، فنظام البيعة عهد، وفي عالم اليوم نظام التوظيف عهد بين الفرد والدولة، وداستير

الشعوب عهود، والقوانين المتفق عليها بين الدول كذلك، إذن العقود مراد عام يشمل الحياة كلها عبادات ومعاملات، نظماً اجتماعية وقانونية وإدارية وغيرها.

قوله (أحلّت لكم بهيمة الأنعام) صلة جملة التحليل بما قبلها كالتمهيد لما سيرد بعدها من الالتزام بالعهد فيما حرم الله تعالى، وتقديم الحلية أولاً لإقبال النفوس ولتهيئتها في قبول المحرمات، والإتيان بفعل التحليل على المبني للمجهول لمعلوميته، فهو الله تعالى الذي يحل ويحرم، وفي معنى الفعل إباحة أكل لحوم بهيمة الأنعام، وهي من باب إضافة النوع إلى أصنافه، فالبهيمة اسم يقع على كل ذي أربع من الأزواج الثمانية التي تسمى الأنعام كالإبل والشيء والماعز ونحوها.

قوله (إلا ما يتلى عليكم) استثناء الإباحة يقصد به ما سيأتي من قوله تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير.. الآية)، وفعل التلاوة يفيد القراءة المتصلة، وحرف الجر في (عليكم) للتمكن والاستعلاء، والمعنى: إلا ما يقرأ عليكم تحريمه في القرآن، وما عدا ذلك فمباح أكله.

قوله (غير محلي الصيد وأنتم حرم) نصب (غير) لأنه حال من ضمير الجمع (لكم) أو من (أوفوا)، والمعنى نفي حلية الصيد في حال الإحرام التي تشير إليها جملة (وأنتم حرم)، ولفظ الصيد مصدر بمعنى المصطاد اسم المفعول، كما إن لفظ الحرم جمع حرام بمعنى المحرم اسم الفاعل.

قوله (إن الله يحكم ما يريد) قطع الكلام لأنه تعليل لأمر الإيفاء بالعقود، وهو أنه تعالى يبيح ويحرم كما شاءت حكمته.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءِمِّينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۖ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) تجديد الخطاب للمؤمنين تأكيد لبيان الأحكام، فنهى نهيا صريحا عما كان من أفعال الجاهلية عند الحج منتقلا من الحس في استعمال الفعل (أحل) مع الصيد إلى المعقول في (شعائر الله) المراد به بحسب السياق وكثرة القرائن أعلام الحج أي مناسكه، فالشعائر جمع شعيرة وهي العلامة، وإضافتها إلى لفظ الجلالة مبالغة في حرمتها، وعلى هذا يكون المعنى: أي لا تحلوا مناسك الحج فتضيعوها، وقد يكون المراد المعنى العام، أي: لا تحلوا حرمان الله وحدوده.

قوله (ولا الشهر الحرام) العطف بمعنى: ولا تحلوا القتال في الشهر الحرام، فالنهى عن التحليل إثبات لحرمة قتال المشركين في الشهر الحرام، وأصل الحرمة المنع.

قوله (ولا الهدي) أي: ولا تستحلوا ما يهدى من بعير، أو بقرة، أو شاة، إلى بيت الله، تقربا إليه، وطلبا لثوابه فتغصبوه أهله، ولا تحولوا بينهم وبين أن تبلغوه محله من الحرم، ولكن خلوهم حتى يبلغوا به المحل الذي جعله الله له.

وقوله (ولا القلائد) جمع قلادة، أي: ما يقلد به الهدي ويطوق في عنقه من علامات للتمييز من غير المقلد، وليعلم أنه من الهدي للحج فلا يتعرض له أحد.

قوله (ولا أمين البيت الحرام) جمع أم وهو القاصد، أي: ولا تحلوا قاصدي البيت الحرام، أي: لا تقتلوه لأنهم من قاتل في الأشهر الحرم، فقد أحل، و(البيت الحرام): بيت الله بمكة، وهو الكعبة، سمي حراما لحرمة لأنه ما يحرم فيه يحل في غيره.

قوله (يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا) الجملة موقعها الحال من (أمين)، أي: أمين مبتغين، والمبتغي الطالب، والفضل الزيادة على الاستحقاق ونسبة صدوره إلى الله باعتبار توجيه الكلام إلى المؤمنين لا باعتبار إقرار الأمين بالوحدانية، وكذا معنى الرضوان كأنه محكي عن لسان حالهم، ولفظ الفضل إشارة إلى الأرباح في تجارتهم، وأن يرضى عنهم بنسكهم على زعمهم.

قوله (وإذا حللتم فاصطادوا) استعمال صيغة المزيد في فعل الاصطياد بدلا من فعل الصيد لتكثير المعنى والمبالغة فيه، ويشعر بشدة الرغبة في الصيد بعد المنع، والمعنى: إذا حللتم من إحرامكم فاصطادوا فيها الصيد الذي نهيتم أن تحلوا، فاصطادوه إن شئتم حينئذ، لأن السبب المحرم قد زال.

قوله (ولا يجرمكم شأن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) الخطاب للنبي ﷺ وأصحابه لما صدوهم عام الحديبية، أي: لا يكسبنكم بغضكم قوما الاعتداء عليهم، بصددهم إياكم عن المسجد الحرام، والمسجد الحرام اسم يراد به الكعبة من اصطلاحات الإسلام، ولم يكن يعرف عند الجاهليين. كذا ذكر ابن عاشور. انتهى.

وإسناد الفعل إلى لفظ الشأن - وهو البغضاء - وإضافته إلى الفاعل الحقيقي من باب المجاز العقلي مبالغة في المعنى، والمراد القوم الذين يبغضونكم، واستعمال صيغة الشأن لما فيها من دلالة اضطراب النفس، مثل دوران غليان.

قوله (أن صدوكم عن المسجد الحرام) جملة مفعول لأجله بمعنى: لأجل صد المشركين لكم عن المسجد الحرام، والصد شدة المنع الذي جوبه به المؤمنون يوم الحديبية من دخول البيت الحرام.

قوله (أن تعتدوا) جملة المصدر محلها نصب مفعول ثان لفعل الجرم، ومعناه: لا يكسبنكم بغضكم قوما الاعتداء عليهم، بصددهم إياكم عن المسجد الحرام، والاعتداء العدوان وإيقاع الضرر بالغير.

قوله (وتعاونوا على البر والتقوى) ليست الواو للعطف على (أن تعتدوا) - كما قرر الشيخ الطوسي - ويحسن أن تكون الجملة مفصلة لتعليل النهي السابق، لإفادة تقريب قلوب الناس في الحج - وإن كانوا مخالفين - إلى عقيدة الإسلام بفعل البر والتقوى والانتهااء من فعل الإثم والعدوان.

وفعل المعاونة مأخوذ فيه معنى المشاركة من أكثر من جانب في فعل الخير، لأنه يراد به بناء مجتمع متكاتف متعاقد، وحرف الجر (على) مجاز استعلائي، والبر فعل الإيمان والإحسان، والتقوى مصطلح إسلامي يدل على الالتزام بأوامر الله ونواهيه.

قوله (ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) جمل مقابلة، نهى بعد أمر للتأكيد، جمعت أساس السنة الإسلامية. والإثم معصية الله والعدوان الاعتداء على الغير بسلب حقوقهم أو أمنهم أو أذاهم.

قوله (واتقوا الله إن الله شديد العقاب) تغاير الأساليب من الإنشاء (اتقوا) إلى الإخبار (إن الله..) بالفصل بينهما، لأنه تأكيد يتبع تأكيدا في التحذير والوعيد، وصفة الشدة للعقاب لديمومته وصلي ناره والعياذ بالله.

قوله تعالى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

قوله (حرمت عليكم الميتة) تغييب فاعل فعل التحريم لشدة حضوره في الذهن إذ ليس غيره سبحانه من يحل ويحرم، وحرف الجر المقترن بكاف خطاب المؤمنين للاستعلاء المجازي وتمكن التحريم منهم، والميتة من محرمات الأكل، وهي كل ما له نفس سائلة من دواب البر وطيره، مما أباح الله أكله، أهليهما ووحشيتهما، فارقه روحه من غير تذكية، فقد روي عن النبي ﷺ أنه سمى الجراد والسمك ميتا، فقال: ميتتان مباحتان الجراد والسمك. ذكره الطوسي في التبيان. انتهى.

قوله (والدم) الواو للعطف، وحرمة أكل الدم لأنهم كانوا يجعلونه في المباخر من كل ذي أربع، ويشوونه، ويأكلونه، فأعلم الله سبحانه أن الدم المسفوح أي: المصبوب، حرام، فأما المتلخ بالحم، فإنه كاللحم، وما كان كاللحم مثل الكبد، فهو مباح، وأما الطحال فقد روي الكراهية فيه، عن علي عليه السلام، وابن مسعود، وأصحابهما وأجمعت الإمامية على أنه حرام، وذهب سائر الفقهاء إلى أنه مباح. ذكر في التبيان. أه.

قوله (ولحم الخنزير) الواو بمعنى حرمة أكل لحم الخنزير، سواء كان مذكى أو لا، فهو محرم بعينه لا لكونه ميتة، وتشريع ما ذكرت الآية من محرمات الأكل ذكر قبل سورة المائدة في الأنعام والبقرة.

قوله (وما أهل لغير الله به) أي: حرم الله الذبائح التي سمي على تذكيتهها باسم الأصنام لا باسم الله، وقد كان ذلك من أفعال الجاهليين، والإهلال رفع الصوت، وقيل سمي الهلال بذلك لأنه يرفع الناس صوتهم عند رؤيته، و(ما)

اسم موصول، واللام في (لغير) للغاية، وتقديمه للاهتمام، والظرف (به) متعلق بفعل الإهلال، والباء لتعدية الفعل لأنه متضمن معنى التضحية، والهاء عائد إلى ما يهدى من الذبائح للنصب.

قوله (والمنخقة) أي: حرمة البهيمة التي تموت خنقا، اتفاقا بما يعرض لها ما يخنقها أو اختيارا بفعل فاعل كما كان يعمل أهل الجاهلية بإدخال رأسها بين شعبتين من شجرة، أو بحبل الصائد، والخنق حبس مجرى النفس، والمنخقة دون استعمال المنخوقة لإفادة عموم ما يعرض لها من خنق.

قوله (والموقوذة) العطف بمعنى: ويحرم أكل البهيمة الموقوذة، وهي التي تضرب حتى تموت.

قوله (والمتردية) العطف لدخول اللفظ في معنى البهيمة الميتة بسبب سقوطها من جبل، أو مكان عال، أو وقعت في بئر فماتت.

قوله (والنطيحة) العطف بمعنى: ويحرم أكل البهيمة التي تقضي بنطح غيرها لها.

قوله (وما أكل السبع) الواو بمعنى: تحريم أكل ما قتل السبع من فريسته، والكلام يتعلق بحرمة المأكول لا بعض ما أكل السبع، والسبع يطلق على الأسد والنمر والذئب ونحوهم، وتعريفه للعموم.

وخصوصية تفصيل هذه الأصناف الميتة من البهائم بعد عموم ما ذكر من لفظ تحريم الميتة لتأكيد أن حكمها جميعا واحد عند الله، وأن الأصل في حلية

الأكل هو التذكية المشروعة فقط، فقد كان قوم من العرب لا يعدون ذلك ميتة، فيمنعون من الأكل التي ماتت من مرض ونحوه.

قوله (إلا ما ذكيتم) الاستثناء لإخراج ما ذكر من الحرمة مما يقبل التذكية، أي: البهائم المذكورة التي فيها بقايا روح، فتذبح على وفق الشريعة بالتسمية باسم الله وفري أوداجها، أما الميتة فخارج أصلاً عن الاستثناء لأنها لا ذكاة لها، ولا لحم الخنزير.

قوله (وما ذبح على النصب) الواو للعطف على فعل التحريم بمعنى: وحرم عليكم ما ذبح على النصب من الذبائح لطرد الشر أو جلب الفأل الحسن، وتفيد (على) معنى الفوقية لأنهم يذبحونها ويلقون على النصب بعض اللحم ويلطخونها بدمائها، ولا معنى لتعاقب على باللام، لأنها ستكون تكراراً لما ذبح لغير الله.

والنصب والأنصاب جمع نصيب، قال الراغب: نصب الشيء وضعه وضعاً نائناً كنصب الرمح والبناء والحجر، والنصيب الحجارة تنصب على الشيء، وجمعه نصائب ونُصُب، وكان للعرب حجارة تعبدها وتذبح عليها. انتهى. وتعريف اللفظ للعهد.

قوله (وأن تستقسموا بالأزلام) العطف لتحريم مورد آخر من أفعال الجاهلية بشأن البهائم، وهو استقسامها بالأزلام، وهو نوع مقامرة بلحم الجزور للذهاب بأخذ نصيب من لحمه بآلة القداح والسهام التي تعلم بعلامة تدل على صاحبها المستقسم، والاستقسام من القسم وهو طلب فرز النصيب، والأزلام

السهم والقдах، وتحريم الله لأكل اللحم المقامر عليه لأنها من سنن الجاهلية الباطلة، فقد كانوا - كما ذكر في الخصال - يعمدون إلى جزور فيجتزون عشرة أجزاء ثم يجتمعون عليه فيخرجون السهم فيدفعونها إلى رجل والسهم عشرة، وهي: سبعة لها أنصباء، وثلاثة لا أنصباء لها، فالتى لها أنصباء الفذ والتوأم والمسبل والنافس والحلس والرقيب والمعلّى، فالفذ له سهم، والتوأم له سهمان، والمسبل له ثلاثة أسهم، والنافس له أربعة أسهم، والحلس له خمسة أسهم، والرقيب له ستة أسهم، والمعلّى له سبعة أسهم، والتي لا أنصباء لها: السفيح، والمنيح، والوغد، وثمان الجزور على من لم يخرج له من الأنصباء شيء وهو القمار فحرمه الله. انتهى.

وربما ذكر أن الاستقسام بالأزلام أن يأخذ سادن الصنم الجزور المتقرب به إليه فيفرز عليه قداحه التي كتب عليها: افعل ولا تفعل وغلف بمعنى الترك، ثم يضربها ببعض فيخرج القдах لمن استقسم طلبا لمعرفة الخير ودفع الشر أو لطلب الفأل، وهذا التأويل بعيد.

قوله (ذلكم فسق) الفصل لتعليل النهي عن أكل ما ذبح على النصب وما أخذ بالاستقسام بالأزلام، وهو الأنسب عن أن يكون تعليلاً لجميع ما تقدم من ذكر المحرمات، لبعدهما سبق الاستثناء من جملة التعليل، ولفظ الإشارة لإحضار المشار إليه في الذهن، والفسق أصله الخروج، ويراد به الذنب العظيم الموجب للخروج من طاعة الله إلى معصيته.

وعن علة التحريم ذكر في تفسير العياشي: عن محمد بن عبد الله عن بعض أصحابه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك لم حرم الله الميتة والدم ولحم الخنزير؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى لم يحرم ذلك على عباده وأحل لهم ما سواه من رغبة منه - تبارك وتعالى - فيما حرم عليهم، ولا زهد فيما أحل لهم، ولكنه خلق الخلق، وعلم ما يقوم به أبدانهم وما يصلحهم فأحلّه وأباحه تفضلاً منه عليهم لمصلحتهم، وعلم ما يضرهم فنهاهم عنه وحرّمه عليهم ثم أباحه للمضطر وأحلّه لهم في الوقت الذي لا يقوم بدنه إلا به، فأمره أن ينال منه بقدر البلغة لا غير ذلك، ثم قال: أما الميتة فإنه لا يدنو منها أحد ولا يأكلها إلا ضعف بدنه، ونحل جسمه، ووهنت قوته، وانقطع نسله، ولا يموت أكل الميتة إلا فجأة، وأما الدم فإنه يورث الكلب، وقسوة القلب، وقلة الرأفة والرحمة، لا يؤمن أن يقتل ولده ووالديه، ولا يؤمن على حميمه، ولا يؤمن على من صحبه، وأما لحم الخنزير فإن الله مسح قوماً في صورة شتى شبه الخنزير والقرود والدب وما كان من الأمساخ ثم نهى عن أكل مثله لكيلا ينفع بها ولا يستخف بعقوبته. انتهى.

قوله (اليوم يؤس الذين كفروا من دينكم) تعريف اليوم للعهد ويراد به يوم مخصوص بعينه، واليأس نقيض الأمل والرجاء، والإتيان باسم الموصول وصلته دون لفظ الكافرين لإفادة كفار قريش ومن تحالف معهم من الداخلين في حكمهم كالمنافقين واليهود، ومعنى يأس الكافرين من دين المؤمنين انقطاع أملهم في إرجاع المؤمنين من الإيمان إلى الشرك، والإخبار من كلام الله بدلالة ما بعده من جملة النهي والأمر لفعل الخشية.

قوله (فلا تخشوهم واخشون) الفاء لتفريع نهى المؤمنين عن خشية الكافرين والأمر بخشية الله على انقطاع آمال الكافرين في ردة المؤمنين، والخشية خوف قلبي ولذلك هو أشد الخوف، والنهي والأمر يحمل دلالات مضمرة في الكلام، فخطاب النهي يحمل معنى الأمن للمسلمين لأن الكافرين خسروا جولاتهم في الرهان على ارتداد الناس عن دين التوحيد، وخطاب الأمر (اخشون) يحمل دلالة التهديد والتحذير للمسلمين لأن ما يخشون منه الآن - الذي يئس منه الكافرون من ترك دينهم - يمكن أن يكون من جهة المسلمين أنفسهم فيما لو كفروا بهذه النعمة التامة، ورفضوا هذا الدين الكامل المرضي، ولم يحفظوا عهد هذا اليوم ویراعوا حرمة، فإمكان نزع الدين عنهم ربما يرد من جهة أخرى غير متوقعة، فالذي أمرهم بالخشية من نفسه فيه هو ذاك بعينه وهو أن ينزع الله الدين من أيديهم، ويسلبهم هذه النعمة الموهوبة، قال السيد الطباطبائي: ومن أراد الوقوف على مبلغ صدق هذه الآية في ملحمتها المستفادة من قوله: (فلا تخشوهم واخشون) فعليه أن يتأمل فيما استقر عليه حال العالم الإسلامي اليوم ثم يرجع القهقري بتحليل الحوادث التاريخية حتى يحصل على أصول القضايا وأعرافها. انتهى.

قوله (اليوم أكملت لكم دينكم) تكرار لفظ اليوم تفخيم لشأنه، ومهما قيل في معناه واختلف في تفسيره، لكن بحسب القرائن وبالإشارة إلى ما ذكرنا من خصوصية هذا اليوم يبدو أنه لا يشبه بقية الأيام لا من حيث موقع آيته اللافتة ولا من حيث خصوصياته، وكأن الجملة تعليل ليأس الكافرين، وفاعل فعل الإكمال الله تعالى لأنه من كلامه تعالى في خطاب المؤمنين، والإكمال كما

قال الراغب: كمال الشيء حصول ما فيه الغرض منه، فإذا قيل كمل ذلك فمعناه حصل ما هو الغرض منه وقوله: (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) تنبيهها أن ذلك غاية ما يتعلق به صلاح الولد. انتهى. فمعنى إكمال الله دين المؤمنين في اليوم المعهود الذي خاطبهم فيه الله على لسان نبيه بلوغ الغرض منه، وهو تحصينه تحصينا يبأس فيه الكافرون من ردة المؤمنين بعد وفاة الرسول ﷺ.

قوله (وأتممت عليكم نعمتي) العطف لاتصال الكلام، والإتمام من التمام وهو كما قال في المفردات: تمام الشيء انتهاؤه إلى حد لا يحتاج إلى شيء خارج عنه والناقص ما يحتاج إلى شيء خارج عنه ويقال ذلك للمعدود والممسوح، تقول عدد تام وليل تام قال (وتمت كلمة ربك - والله متم نوره - وأتممناها بعشر - فتم ميقات ربه. انتهى.

وحرف الجر في (عليكم) مجاز من تمكن إتمام النعمة من نفوس المؤمنين واستقرارها فيهم، والنعمة الحالة الحسنة، وإفرادها وإسنادها إلى ياء الجلالة للتعظيم، لأنها لا تحصى لعظم ما انطوت عليه من نعم.

وفسرت النعمة بالنصر والعلم ودخول الجنة وكلها معان عامة لا تناسب اقتضاء المقام وخصوصية لفظ اليوم لأنها نعم أعطوها من قبل، ولكن مع الماضي في السياق والتماس الفرق بين فعل الإكمال للدين وبين فعل الإتمام للنعمة، يتضح أن اليوم أضيف إلى كمال الدين ما تم به نقصه، وعلى حد

قول السيد في الميزان: كأنه كان ناقصا غير ذي أثر فتمم وترتب عليه الأثر المتوقع منه. انتهى.

قوله (ورضيت لكم الإسلام دينا) الجملة نتيجة على الإكمال والإتمام، وهو رضى الله للمؤمنين دين الإسلام كامل التشريع تام النعمة بالولاية وحفظ مستقبل الأمة، ورضاه تعالى بأن يرى المؤمنين ملتزمين باتباع أوليائه وأخذين عنهم بتعاليمه ومنتهين عن نواهيه.

ولا بد من الإشارة إلى أن موقع هاتين في سورة المائدة يدل على أنها من أواخر ما أنزل عليه ﷺ، فهما مرتبطتان ببعضهما نظما ومعنى ومسوقتان لغرض واحد، وتدلان على معنى آخر غير موضوعات الحل والحرام من الأحكام التي سبقت وربما يراد منه مزيدا من الالتفات والتنبه في العدول عن الخطاب، إذ يشير معنى اليوم أنه غير ما تأوله كثير من المفسرين بأنه يوم عرفات أو بمعنى (الآن)، فهو يوم مخصوص بعينه بلغ فيه جميع المتربصين بالإسلام شرا اليأس من ترك الناس دينهم والتفافهم حوله، وتؤيده المصاديق الآتية:

أولا: تكرار لفظ اليوم مرتين تعظيما وتفخيما لشأنه.

ثانيا: البناء الواحد للآيتين المسوق لمعنى واحد، وكأن الأول تمهيد للثاني.

ثالثا: الطبيعة الخاصة لنفي طلب الخشية ثم طلبها تشي بأنها تخص يوما خاصا بهما.

رابعاً: إكمال الدين وإتمام النعمة لم يرد إلا في تخصيص هذا اليوم، وهو تعبير في غاية الإثارة والانتباه فما معنى ما كان من أمر الإسلام والقرآن حتى يكون اليوم فحسب كمال الدين وتمامه.

خامساً: السنة النبوية والروايات الصحيحة تؤيد صحة خصوصية هذا اليوم وأنه غير ما قيل في كثير من كتب التفسير كما ذكرنا.

ومن مجموع القرائن يتأكد لنا أن المقصود بهذا اليوم المعظم هو يوم الثامن عشر من ذي الحجة يوم ولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) في غدير خم، والروايات المعتبرة التي تؤيد ذلك أكثر من أن تحصى روي في التبيان عن الإمامين أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: أن الآية نزلت بعد أن نصب النبي ﷺ علياً علماً للأمة يوم غدير خم منصرفه عن حجة الوداع. انتهى.

وروي في المجمع: أن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية قال: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالتني، وولاية علي بن أبي طالب من بعدي، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله. انتهى.

قوله (فمن اضطر في مخمصة) رجوع إلى تنمة الآيات، فالآية في الاستثناء في مسائل أكل ما حرم مما ذكر، والفاء للتفريع على المحرمات المذكورة، والاضطرار الالتجاء، وفي الكلام حذف للإيجاز تقديره: فمن اضطر إلى أكل ما حرمه الله عليكم في يوم ذي مخمصة، و(في) للظرفية المجازية،

والمخمصة شدة الجوع ويقصد بها المجاعة، التي تبيح ضرورتها أكل ما نهى الله عنه اضطراراً.

قوله (غير متجانف لإثم) جملة حال، أي: غير عادل عن الطاعة إلى المعصية. والتجانف التمايل من الجنف بالجيم وهو ميل القدمين إلى الخارج مقابل الحنف بالحاء الذي هو ميلهما إلى الداخل، وهو مجاز لأنه يستعمل للأعيان، أي: غير مائل إلى إثم أي غير عاص، والمعنى: فمن اضطر إلى أكل الميتة، وما عدد الله تحريمه عند المجاعة الشديدة، غير متعمد لذلك، ولا مختار له، ولا مستحل له، فإن الله سبحانه أباح تناول ذلك له، قدر ما يمسك به رمقه، بلا زيادة عليه.

قوله (فإن الله غفور رحيم) الفاء واقعة في جواب (من) الشرطية، والجملة الإسمية مقامها الجزاء متضمنة معنى الإباحة، وهو أن الله غفور لذنوبه رحيم لا يؤاخذ المضطر على فعله.

قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّينَ تُعَامُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ٤﴾

قوله (يسألونك ماذا أحل لهم) دلالة فعل السؤال تكرار صدوره من المسلمين إلى النبي ﷺ، وحكاية السؤال بطريقة الإخبار عنه بمعنى: ماذا أحل لنا من

طعام نأكله؟ والسؤال جاء بعد ذكر محرمات اللحوم، ومعنى التحليل الإباحة، ومعنى (لهم) لأجلهم.

قوله (قل أحل لكم الطيبات) الأمر في فعل القول من الله إلى نبيه تلقين للجواب وعناية بنبيه، والمعنى: أحل الله لكم أيها المؤمنون ما طاب أكله وبلغ تمامه من الطعام الحلال، أو أحل لكم مما لم يرد نص بتحريمه من كتاب أو سنة، والطيبات جمع طيب وهو الحسن الجميل من رزقه تعالى.

قوله (وما علمتم من الجوارح مكلبين) العطف بمعنى: أحل لكم صيد الجوارح الذي يتم بالكلاب وإن قتل، فقد حذف المضاف بدلالة ما بعده (أمسكن)، والجوارح جمع جارحة وهي الكواسب من الطير والسباع التي تكسب صاحبها الطعام بصيدها، والمراد صيد الكلاب خاصة، ولفظ التكليب منصوب على الحال وهم أصحاب الكلاب المدربة على الصيد.

قوله (تعلمونهم مما علمكم الله) جملة التعليم محلها الحال، والتعليم يراد به تدريب الكلاب على الصيد، وتعليم الله للمكلبين بمعنى إلهام الله لهم بتدريب الكلاب على مطاردة الفرائس وصيدها لصاحبها لا لنفسها.

قوله (فكلوا مما أمسكن عليكم) الفاء للتفريع، وفعل الأكل للإباحة مما أمسكت كلاب الصيد إمساكا لأجلكم لا لنفسها، لأن ذلك قيد لحلية الصيد، و(مما) مكونة من حرف التبعية (من) و(ما) موصولة، ومعنى (عليكم) التعليل، أي: أمسكن لأجلكم.

قوله (واذكروا اسم الله عليه) أي تذكية الصيد بالكلام المعلمة تكون مع إرسالها، والهاء في (عليه) راجع إلى الصيد، وهي من شرائط حلية الصيد.

وروي في تفسير القمي عن الصادق عليه السلام قوله: إذا أرسلت الكلب المعلم فاذكر اسم الله عليه، فهو ذكاته، وهو أن تقول: بسم الله والله أكبر. انتهى.

قوله (واتقوا الله) تقوى الله هنا بمعنى اجتناب معصيته تعالى بأكل الصيد غير المعلم من الكلاب، أو أكله من دون التسمية عليه.

قوله (إن الله سريع الحساب) تذييل متضمن معنى الوعد والوعيد على الطاعة والمخالفة لأوامر الله ونواهيه، وسرعة الحساب مجاز في سرعة المجازاة.

قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَحْلَلْ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْلِفِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾

قوله (اليوم أحل لكم الطيبات) لفظ اليوم وتكرار حلية الطعام الطيب للدلالة على الامتتان منه سبحانه على المؤمنين بإحلال طعام أهل الكتاب.

قوله (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) العطف بمعنى: وأحل لكم طعام الذين أوتوا الكتاب، والمقصود بحلية أكل طعام أهل الكتاب من اليهود والنصارى الحبوب لا الذبائح، لأن أهل الكتاب لا يذكون ذبائحهم، قال في المفردات: الطعم تناول الغذاء ويسمى ما يتناول منه طعم وطعام، قال: (وطعامه متاعا لكم) قال وقد اختص بالبر فيما روى أبو سعيد: أن النبي ﷺ أمر بصدقة الفطر صاعا من طعام أو صاعا من شعير. انتهى. ومثل ذلك قال ابن منظور في اللسان: وأهل الحجاز إذا أطلقوا اللفظ بالطعام عناه به البر خاصة. انتهى.

وفي الكلام دلالات مضمرة فكأن نفوس المسلمين شاكة غير مطمئنة في حلية طعام أهل الكتاب والاختلاط بهم بعد التشديد والتحذير منهم فجاءت هذه الإضمامة لتضاف إلى حلية أكل الطيبات. ذكره صاحب الميزان. انتهى بتصرف.

قوله (وطعامكم حل لهم) العطف على ما قبلها لأن الحكم بالحلية واحد، لا بمعنى إفرادهم باستقلال الحكم.

قوله (والمحصنات من المؤمنات) العطف بمعنى: وأحل الله لكم أيها المؤمنون العقد على المحصنات العفائف المؤمنات من غير ذوات الأزواج، وأريد بلفظ المؤمنات أي الموحديات لله تعالى.

قوله (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) أي: وأحل لكم التزويج بالعائف من اليهود والنصارى تيسيراً لكم، والإتيان بأهل الكتاب لعل الحلية، بكونهن مؤمنات بالإله الواحد.

قوله (إذا آتيتموهن أجورهن) الشرط لأن حلية التزويج تتوقف على شروط العقد وهو إعطاؤهن مهورهن.

قوله (محصنين غير مسافحين) حال مقيدة من ضمير الجمع العائد إلى المؤمنين في (آتيتموهن)، أي: أعفاء غير زانين بكل فاجرة.

قوله (ولا متخذي أخدان) العطف لأنه شرط ثان لجواز العقد على الكتابية، بمعنى نفي الاختصاص بخدن منهن يفجر بها سرا، والخدن تطلق على الذكر والمؤنث وهو صديق السر، ويراد به معنى التفرد ببغية.

قوله (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله) الشرط لبيان الحكم في جوابه، ومعناه التهديد للمخالفين لأوامر الله ونواهيه، والكفر بالإيمان بمعنى الجحود لتعاليمه تعالى، وحبوط العمل ضياع أثره في الآخرة بعدم استحقاق الثواب عليه، والحبوط أصله السقوط.

قوله (وهو في الآخرة من الخاسرين) إخبار متضمن النتيجة لحبوط الأعمال وهو خسرانه الدنيا والآخرة بعقابه في النار يوم القيامة.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا
وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى
الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ
أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَايِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا
صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ
عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) نداء الاتصاف بالإيمان بتشريف
وتعظيم للمؤمنين، ويراد به الإقبال على أحكام الصلاة، والأحكام العبادية
وشرائطها كالصلاة جزء من الوفاء بالعقود ولهذا تذكر مقدماتها من أحكام
الطهارات الثلاث الوضوء والغسل والتيمم، والقيام إلى الصلاة بمعنى
الاستعداد لأدائها، وفي الكلام حذف لأن فيه دلالة عليه، أي: إذا أردتم القيام
إلى الصلاة وأنتم على غير طهر فاغسلوا كذا، وتعريف الصلاة للعموم،
وأصل اللفظ من الصلة والدعاء، لأنه أصل الصلاة، ويراد به الحركات
المعروفة التي بينها السنة الشريفة.

قوله (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق) الفاء واقعة في جواب (إذا)، والغسل إسالة الماء على كامل الوجه بحيث يستوعبه ويحيط به، والعطف في (وأيديكم) بمعنى: واغسلوا أيديكم مضموما إليها المرافق.

وفي طريقة أداء الوضوء استعدادا لإقامة الصلاة اختلاف كبير بين الفقهاء والمفسرين بناء على تفسيرهم لهذه الآية ولاسيما حرف الجر (إلى)، فمنهم من عدها بحسب ظاهرها إلى انتهاء غايتها وأدخلها في حكم ما قبلها من غسل اليدين، ومنهم من عدها قيذا لقوله (أيديكم) فيكون الغسل بها مطلقا غير مقيد بالغاية يمكن أن يبدأ فيه من المرفق إلى أطراف الأصابع كما يفعل الإنسان في العادة يغسل من الأعلى إلى الأسفل، وهو ما عليه روايات أهل البيت عليهم السلام المستفيضة في ذلك.

قوله (وامسحوا برؤوسكم) المسح يتم باليدين وبشيء منه، أي بعض الرأس وليس عمومه، ولاسيما إذا عدي بالباء كما هي الحال هنا، وإذا تعدى بنفسه أفاد الاستيعاب والإحاطة.

قوله (وأرجلكم إلى الكعبين) النصب في (أرجلكم) على العطف على محل (برؤوسكم) لمن قرأها على النصب، أي وامسحوا أرجلكم، وعلى أي حال هذا الخلاف تفصل فيه السنة الشريفة والروايات المعتبرة، وقيل: الوضوء غسلتان ومسحتان، وروايات أهل البيت عليهم السلام واضحة في بيان ذلك.

قوله (وإن كنتم جنبا فاطهروا) الواو للعطف على قوله (فاغسلوا وجوهكم)، والشرط لبيان حكم آخر لشرائط صحة الدخول إلى الصلاة. والجنب مصدر

تعني الذي وقعت عليه الجنابة، وسميت بذلك لسببها في تجنب الصلاة. والتطهير يراد به الاغتسال لإزالة الأدران عن البدن. واصل الفعل: فتطهروا، وحذف التاء وأدمج بالطاء لغلبة الأخير عليه للتخفيف.

قوله (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) العطف والشرط لبيان حكم جديد في أحكام الصلاة، وهو استثناءات بديلة في حال المرض أو السفر، أو قضاء الحاجة التي كني عنها بقوله (جاء أحدكم من الغائط) أو الجماع في الكناية عنه في قوله (لامستم النساء) وتعسر إيجاد الماء أو تعذرت القدرة على استعماله، ففي الشريعة سعة كبيرة، فأمرهم الله بالتيمم بالتراب الطيب، والتيمم هو القصد، و(الصعيد الطيب) ما ظهر من الأرض وصعد إليها من تراب طاهر.

والكنايات القرآنية من الأدب الإنساني الرفيع الذي يراعي حفظ حياته في مثل ما ذكرنا من قضاء الحاجة أو لقاء الأزواج، ولعل في قوله (جاء أحدكم من الغائط) ما يدعو إلى تأمل استعمال اليوم لها مبتسرة فيقال: الغائط، إذ أذهبوا بحياء هذه الكناية وجمال تركيبها، لأن الغائط هو المنخفض من الأرض الذي يستتر به، وكذا لفظ الغياب في (جاء أحدكم) فهو أكثر لياقة من الخطاب فيما لو قيل: جنتم مثلا، لأن الإبهام هنا رعاية للأدب. فتأمل.

قوله (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) الفاء لترتيب الكلام، والمسح ملامسة باطن اليد لظاهر الوجه والأيدي بعد ضربها بصعيد التراب الطاهر، و(من) في (منه) تفيد التبعية، والهاء عائد إلى الصعيد الطيب.

قوله (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) الفصل للتعليل، والنفي بـ (ما) لمطلق النفي، والمعنى أن ذلك التيسير في التيمم لرفع الضيق عنكم في أداء الصلاة، واللام لام (أن) المصدرية المحذوفة، وحرف الجر في (عليكم) مجاز استعلائي، و(من) زائدة لتقوية النفي، والخرج أشد الضيق.

قوله (ولكن يريد ليظهركم) الاستدراك للإضراب على نفي الحرج، وتأکید تطهير المؤمنين من كل ما يمنع من انسراب نور الصلاة إلى النفس.

قوله (وليتم نعمته عليكم) العطف على فعل الإرادة علة ثانية، وهو إتمامه تعالى نعمة الإيمان على المؤمنين.

قوله (لعلكم تشكرون) أي: رجاء أن يكون ذلك سبيلا، لأداء شكر النعمة بالصلاة والدعاء.

قوله تعالى ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ

إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾

قوله (واذكروا نعمة الله عليكم) فعل أمر الذكر للنعمة بمعنى إحضارها في الذهن لأداء شكرها، وكيلا تنسى، وإفراد النعمة دون جمعها لعظمها،

وللإشعار بأن كل نعمة من الله تستحق الشكر لأنها أصل كل النعم، نحو الخلق والحياة والعقل والصحة والحواس ونحوها، ويمكن إرادة جنس النعمة لا على نحو الأفراد، أو أراد بها الكناية عن نعمة الإسلام فهو أصل الميثاق ويقوى مع دلالة (سمعنا وأطعنا).

قوله (وميثاقه الذي واثقكم به) العطف بمعنى: واذكروا ميثاق الله، وسماء ميثاقا مجازا للعهد وهو شهادة التوحيد أصل البيعة والإسلام وقبول الشريعة السمحاء، والإتيان باسم الموصول وصلته لبيان علة الأمر، وأكده بفعل المشاركة والمطاوعة في قوله (واثقكم) لأنه تم عن رضا واتفاق.

قوله (إذ قلتم سمعنا وأطعنا) جملة مفسرة لمعنى الميثاق، وهو بيعتهم على السمع والطاعة.

قوله (واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور) أي: وراقبوا أنفسكم في الوفاء بعهدكم، لأن الله عالم بما تضمرون وما تعلنون، فالفصل بعد جملة التقوى علة لما تقدم. وذات الصدور كناية عن نسبة، أي: إن الله عليم بكل معنى وسر في القلوب، وقوله ذات وليس ذوات لينبئ عن التفصيل في كل ذات، والعرب تطلق القلوب والصدور وتريد بها الإدراكات.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ۚ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله) النداء للمؤمنين لإفادة التنبيه والإقبال على الأمر بعده، والقوام مبالغة في القيام بإحقاق الحق وإبطال الباطل، واللام في (لله) للغاية بمعنى: لابتغاء مرضاة الله.

قوله (شهداء بالقسط) انتصب لفظ الشهداء على الحال. بمعنى: دعاة بالعدل لطلب مرضاة الله، لأن شأن الشاهد تبين كلامه فيما يشهد عليه.

قوله (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا) أي لا يحملنكم بغضكم المشركين على أن تعتدوا، بدلالة حرف الاستعلاء (على)، وهذه الجملة تفرع على ما سبقها من ذكر القسط، واستبدل النهي عن الاعتداء في أول السورة المباركة بالأمر بالعدل هنا لأن السياق في ذلك، كما اقتضى السياق تغاير التركيب في متعلقات القيامة والشهادة بين سورتي النساء والمائدة، ففي سورة النساء قوله تعالى (قوامين بالقسط شهداء لله) لأن غرضه في القيام بالقسط والشهادة لله الأمر بالعدل على أساس خالص من دون أن يؤثر فيهما اتباع الهوى للمشهود فيحرفهم إلى الجور والزور، لذلك فرع على القيام بالعدل أن يكونوا في حال من الشهادة لابتغاء مرضاة الله.

بينما الغرض في سورة المائدة من الأمر بالقيام لله والشهادة بالقسط تحقيق العدل بعيدا عن أثر الشنآن الذي يحرفهم إلى الظلم وترك العدل، لذلك فرع على القيام لابتغاء مرضاة الله أن يكونوا في حال من الشهادة بالعدل.

قوله (اعدلوا) الخطاب للمؤمنين، أمر بالعمل بالعدل بعد نهي عن الانحراف عنه تأكيد بعد تأكيد، والعدل نقيض الظلم، وأصله وضع الشيء في محله، وفي نهج البلاغة قوله عليه السلام مفرقا بينه وبين الجود: العدل يضع الأمور مواضعها، والجود يخرجها من جهتها، والعدل سائس عام، والجود عارض خاص، فالعدل أشرفهما وأفضلهما. انتهى.

قوله (هو أقرب للتقوى) الفصل لتعليله الأمر، وضمير الفصل عائد إلى العدل يفيد القصر، ولفظ القرب مأخوذ من الأعيان واستعمل مجازا لطلب مرضاة الله بتقواه تعالى، التي جيء بها معرفة لخصوصيتها وعهدها المعروف.

وفي ترتيب أجزاء الكلام نظم لافت، إذ نهاهم الله تعالى أولا عن الإسراف في البغض إلى درجة ترك العدل، ثم أمرهم بالعدل مشددا، ثم بين وجه الأمر من ذلك فقال هو أقرب إلى التقوى.

قوله (إن الله خبير بما تعملون) الفصل للتعليل، والإخبار مضمونه علم الله تعالى بكل عمل يعمله المؤمنون، ودلالته التحذير لأن العلم نتيجه المجازاة على العمل، والتصريح باسم الجلالة دون الإشارة إليه بالضمير للتعظيم.

قوله تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٩﴾

قوله (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) إخبار من الله تعالى للمؤمنين
العاملين بالوعد الحسن، والإتيان باسم الموصول وصلته لبيان علة الوعد.

قوله (لهم مغفرة وأجر عظيم) بيان للوعد، موقعه الحال، وجيء به بصيغة
الجملة الإسمية لإفادة ثبات الحكم، ولم يقل: مغفرة وأجرا عظيما، وتقديم
الظرف للاهتمام، والمغفرة من الله ستر ذنوب عباده، وتنكيرها للتعظيم،
والأجر الثواب وصف بالعظم لكثرتة، قال في المجمع: والفرق بين الثواب
والأجر إن الثواب يكون جزاء على الطاعات، والأجر قد يكون على سبيل
المعاوضة بمعنى الأجرة. انتهى.

قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ﴾ ﴿١٠﴾

قوله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) العطف على ما سبق لإفادة المقابلة تكميلا
للفائدة بذكر مصير الكافرين بعد ذكر المؤمنين، واقتران الكذب بالكفر فيه
دلالة الإصرار والعناد وهو يختلف عن يكفر بغير علم، لذلك استحقوا الخلود
في النار بدلالة الملازمة من صحبتهم للنار، وأصل الكفر في اللغة ستر
الشيء وتركه، ويراد به إنكار الوحداية، والباء في (بآياتنا) متعلق بفعل

التكذيب لتضمنه معنى الجحد، ولفظ الآيات جمع آية وهي دلائل التوحيد وعلاماته.

قوله (أولئك أصحاب الجحيم) لفظ الإشارة لتمييز الكافرين بكونهم أحرىء بالعقاب، ولفظ الصاحب دال على ملازمة المصاحب، والجحيم مأخوذ من الجحمة وهي شدة تأجج النار، كما ذكر في المفردات. أه.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا) خطاب تشريف لأمة الإسلام للإقبال على التكليف بعده أو التوجيه أو تبيان أوجه العتاب.

قوله (اذكروا نعمة الله عليكم) الذكر نقيض النسيان، والنعمة تقال لكل ما يحسن، وإفرادها للجنس، وإضافتها إلى اسم الله للتعظيم، لأنها كناية عن امتنان الله على المؤمنين بدين الإسلام بعد أن كانوا كفارا، وحرف الجر المقترن بضمير خطاب المؤمنين مجاز من تمكن النعمة واستقرارها فيهم. والمعنى: ليكن أيها المؤمنون حضور نعمة التدين بدين الإسلام من الله ماثلا حاضرا في نفوسكم، وذلك لأن الإسلام مهدد طوال تاريخه من أعداء المسلمين يودون سلبه عن المؤمنين وإرجاعهم كافرين، ولكن الله تعالى يؤيدهم بنصره وإبقاء نعمته عليهم.

قوله (إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم) جملة الظرف مفسرة لجملة الأمر بالذكر، والهم العزم على فعل الفعل، وتتكير لفظ القوم لإفادة قوم بعينهم، ويبدو أن المقصود بهم المشركون ومن تحالف معهم، لأن غرضهم كان القضاء على الإسلام في كل غزوة ووقعة، وجملة (أن) موقعها مفعول فعل الهم، وبسط الأيدي وتعدية فعله بـ (إلى) كناية عن البطش والفتك لأن اليد مظنة ذلك، وبسط إليه لسانه بمعنى شتمه.

وقوله (فكف أيديهم عنكم) الفاء للتفريع، وكف الأيدي كناية عن منعها من أن تمتد إلى المؤمنين بأي أذى، وفي الكلام تأييد بحفظ الله للإسلام والمسلمين. قوله (وانقوا الله) العطف على جملة (واذكروا) وفيه دلالة تحذيرية للمؤمنين من مخالفة تقواه تعالى.

قوله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) تقديم الظرف لإفادة الاختصاص، وحرف الجر مجاز في اتخاذ الله وكيلا لهم في أمور دينهم يأخذون بما يختاره لهم وينتهون عما ينهى عنه، والتصريح بلفظ الجلالة للتعظيم من باب وضع الظاهر موضع المضمَر.

قوله تعالى ﴿ * وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا

حَسَنًا لَّا كَفَرْنَا عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَا دَخَلْنَاكُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ



قوله (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل) العطف على ما سبق من خطابات الله للمؤمنين لتذكيرهم بعاقبة خيانة العهود والمواثيق وذلك بضرب المثل ببني إسرائيل، واللام المؤذن بالقسم وحرف التحقيق في (لقد) لأهمية الكلام.

وأخذ الله الميثاق كناية عن فرضه وإيجابه تعالى، فالأخذ مجاز في إعطاء الكلمة التي سميت عهدا وميثاقا بأداء اليمين على الالتزام به، أي عهدهم المؤكد باليمين بإخلاص العبادة له والإيمان برسله وما يأتون به من شرائع، وإنما فضله التركيب القرآني دون أن يقال فرض الله، لأنه أدل في إلقاء الحجة بذكر خيانتهم للعهد.

قوله (وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) البعث الإرسال وإسناده إلى نون العظمة مجاز عقلي لأن الرسل يصدر عنهم وبسببه تعالى، والنقب أصله الحفر والثقب، والنقباء هم الذين يبحثون في أحوال قومهم ويتابعون شؤونهم وهم بمثابة أولي الأمر، وهم رؤساء الأسباط الاثني عشر، وكان قد أمر الله موسى عليه السلام بأن ينتدب منهم اثني عشر رجلا كالطلائع يتجسسون ويأتون بني إسرائيل بأخبار أرض الشام وأهلها الجبارين فاختر من كل سبط رجلا يكون

لهم نقيبا، أي: أمينا كفيلا، فرجعوا ي نهون قومهم عن قتالهم، لما رأوا من شدة بأسهم، وعظم خلقهم، إلا رجلين منهم.

قوله (وقال الله إني معكم) قول الله بمعنى إخبار القوم المنتدبين على لسان موسى ﷺ بالرعاية والتأييد لكي تطمئن نفوسهم. وجيء بجملة معية الله لهم جملة إسمية للدلالة على ثبات المعنى ولزومه، والمقصود بالمعية الحفظ والرعاية والتأييد بالنصر وليس معية المصاحبة الحقيقية.

ومن كان الله معه فقد ضمن الحفظ والنصر واطمأنت نفسه، أي: قال الله لهم، فحذف لدلالة الكلام عليه، إني معكم بالنصر والحفظ، أنصركم على عدوي وعدوكم، الذين أمرتكم بقتلهم، إن قاتلتموهم ووفيتم بعهدي وميثاقي الذي أخذته عليكم، إذن يتفرع عنه شرطان وجزاءان فإن أحسنوا في حفظ العهد بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والايمان بالرسول وتأييدهم أثيبوا بأحسن جزاء، وإن نكثوا في التهاون فيه بالكفر بعد العلم عوقبوا.

قوله (لئن أقمت الصلاة) اللام للقسم و(إن) للشرط، وإقامة الصلاة أدائها على أتمها، ويراد بها الإخلاص في الدعاء.

قوله (وأتيتم الزكاة) وإيتاء الزكاة على العطف بإقامة الصلاة لضرورة اقتران الاعتقاد بالعمل الذي أهم مظهره الإنفاق في سبيل الله، ولا يقصد بالصلاة والزكاة المعاني الاصطلاحية لهما في الإسلام، لأن شريعتهما تختلف في التوراة عنها في القرآن.

قوله (وأمنتم برسلي وعزرتموهم) العطف لأنه شرط آخر لمعية الله لهم، والإيمان التصديق بجميع الرسل المبعوثين من الله بعد موسى عليه السلام، ولهذا أضاف جمع الرسل إلى نفسه لتعظيم شأنهم كعيسى عليه السلام ومحمد عليه السلام، والتعزير النصر والتعظيم.

قوله (وأقرضتم الله قرضا حسنا) العطف لاتصال شرائط معية الله لهم، والقرض استدانة المال، واشتقاق المصدر من الفعل منصوب على المفعولية لنوعيته، ووصفه بالحسن للإشارة إلى نفي إلحاح المقرض على إحراج المقرض بالتسديد مع الافتقار، والصورة مجازية للحث على الإنفاق على الفقراء والمعوزين سمي قرضا لتلطفه تعالى بعباده.

قوله (لأكفرن عنكم سيئاتكم) اللام واقعة في جواب القسم، والنون المتصل بالفعل للتأكيد. وجملة التكفير جواب قسم وشرط، والتكفير الستر، ويراد به تجاوز الله عن سيئاتهم لذلك عدي بحرف الجر (عن).

قوله (ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار) العطف على جملة جواب القسم، وجملة الإدخال جواب ثان، وهو المجازاة على ما سبق من ذكر الشرائط بإدخال جنات الله، وصورة الجنات صورة قرآنية مكررة لأنها محل رحمت الله ونعيمه الدائم لمن يرضى عنهم الله.

والتعبير القرآني دائما يقدم التكفير عن السيئات قبل الأمر بدخول الجنات، في إشارة إلى تخلص العبد من كل شائبة قبل إدخاله الجنة، وفي الآية كثير

من أدوات تأكيد الوعد بالمثابة الحسنة نحو اللام المشعر بالقسم ونون التوكيد الثقيلة وتقديم المتعلقات.

قوله (فمن كفر بعد ذلك منكم) الفاء للتفريع، والكفر الجحد والإنكار، والظرف (بعد ذلك) قيد لفعل الشرط لبيان جوابه، أي: بعد بعث النقباء.

قوله (فقد ضل سواء السبيل) الفاء واقعة في الجزاء، والضلال إضاعة الصواب، وسواء السبيل اعتداله واستقامته، والعدول عنه كناية عن الوقوع في الهلاك، ومنه قوله ﷺ في نهج البلاغة: اليمين والشمال مضلة، والطريق الوسطى هي الجادة. انتهى.

قوله تعالى ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

قوله (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم) الفاء للتفريع، والباء للسبب، و(ما) زائدة للتأكيد، والمعنى: أن نكث بني إسرائيل لعهودهم التي أقسموا عليها نتيجته أن لعنهم الله وطردهم من رحمته، وهو أقسى ما يناله العاصي لأن الخلائق كلها تسير تحت عناية فهي محتاجة إليه في أصل وجودها وبقائها لأنها ليست بخالقة لنفسها، فأن تطرد من دوحة الرحمة يعني الحكم على نفسها بالهلاك.

قوله (وجعلنا قلوبهم قاسية) عقاب آخر لهم من الله تعالى في الدنيا، وهو غلظة أخلاقهم، والجعل من أفعال التحويل، أي: تحولت قلوبهم بفعل نقضهم العهد إلى قلوب لا تعرف اللين ولا تتأثر بقول الحق فهي قاسية تشبه الصخر في تراص أجزائه فلا يتأثر بتغلغل ماء فيلينه بل يزيده صلابة وقساوة، وما تزال قساوة قلوب هؤلاء القوم إلى هذا اليوم، وإسناد القساوة إلى القلوب مجاز عقلي للمبالغة، يراد به قساوة أنفسهم.

قوله (يحرّفون الكلم عن مواضعه) يمكن أن تكون الجملة حالا من (فبما نقضهم)، أو استئنفا لبيان جرائم بني إسرائيل، والتحريف الإمالة، وتعدية الفعل بـ (عن) لتضمنه معنى الإزالة، والمواضع يراد بها كلمات الله الثابتة التي وضعت موضعها الحقيقي. والكلام استعارة عن تدليسهم وكذبهم على الله وتأويلهم الفاسد لآياته لتشويه الحقائق كالْبشارة بالنبي ﷺ وكتمان بعثته، وتعريف الكلم للعهد كناية عن آيات الله في التوراة.

قوله (ونسوا حظا مما ذكروا به) المراد بالنسيان ما يستلزم منه وهو الترك، أي تركوا وأهمّلوا نصيبا مما وعظوا به وهو الذي جاء في كتابهم عن مبعث النبي ﷺ وضورة اتباعه، وسمي حظا لأنه نصيب نافع لهم لو أنهم آمنوا به، ولكنهم منعوا منه جزاء على قساوة قلوبهم وخشونة أخلاقهم.

قوله (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) الخطاب للنبي ﷺ بدلالة ما بعده من أوامر العفو والصفح، والاطلاع الإشراف كناية عن تمكن النظر وإحاطته بالمطلع عليه، وإيراد فعله بدلالة الحضور لاستمرار خيانة اليهود، و(على)

مجاز للتمكين، والخائنة صفة أقيمت مقام الموصوف أريد بها طائفة منهم مستمرون بفعل الخيانة والغدر ونقض العهد.

قوله (إلا قليلا منهم) الاستدراك لإخراج القلة المؤمنة من كثرتهم الغالبة على الشر ونقض العهود.

قوله (فاعف عنهم واصفح) الفاء للتفريع على جملة الاستثناء، والأمر من الله لنبيه، والعفو الستر والإمحاء. و(عن) حرف تجاوز. والصفح كناية عن التسامح بتجاهل أخطاء الغير.

قوله (إن الله يحب المحسنين) الاستئناف بـ (إن) تعليل للعفو والصفح، وحب الله مجاز في الرضى والقبول، والمحسنون فاعلو الإحسان وفي الكلام ثناء من الله على نبيه.

قوله تعالى ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

قوله (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم) العطف على قوله (فبما) نقضهم ميثاقهم لعناهم) لأنهم نقضوا ميثاق عيسى، والإتيان باسم الموصول وصلته لتوبيخهم على إحلالهم صفة النصرانية بدلا من الحنيفية ديانة إبراهيم.

فهذه فئة أخرى أخذ الله منهم اليمين المستوثق بالتوحيد والإقرار بنبوة المسيح وجميع الأنبياء، وأنهم عبيد الله، فنقضوا هذا الميثاق وأعرضوا عنه، وابتدعوا النصرانية وسموا أنفسهم بها، لذلك حكى عنهم ما قالوا ولم يقل: ومن النصارى، وإذا أطلقت عليهم في مواضع آخر فلأنها أصبحت سمة لهم.

قوله (ففسدوا حظا مما ذكرنا به) الفاء للتفريع على جملة الإخبار، ونسيانهم بمعنى إهمالهم وتركهم نصيبا من الوعظ والتذكير في كتابهم وتعاليمهم التي جاء بها إليهم نبيهم في أمور التوحيد، وذلك جزاؤهم بما نقضوا من العهد فتركوا لأنفسهم وهذا الجزاء الأول في الدين.

قوله (فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) وهذا الجزاء الثاني في الدنيا، فالعداوة والبغضاء ستصبح لصيقة بينهم بدلالة فعل الإغراء، فالأهواء مختلفة وأصنافهم متعددة، وقد حصل ذلك فعلا فالنسطورية قالوا بأن عيسى ابن الله، والملكانية الكاثوليك وهم الروم قالوا بالثلاثة الأب والابن ومريم، واليعقوبية قالوا إن الله هو المسيح بن مريم، وسيبقى ديديهم هذا من القسوة والعداوة لبعض إلى يوم القيامة، وقد شهد عالمنا اليوم أصنافا من هذه الحروب فيما بينهم وصلت حد الإبادة.

قوله (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) أداة الاستقبال (سوف) وجملتها دالة على الجزاء الأخروي بعد ذكر العقاب الدنيوي، ففي عالم الآخرة سيتكفل الله تعالى بإخبارهم بجرائمهم وما فعلوا لمجازاتهم عليها، وقد أبهم الجزاء لتعظيم تهويله في النفوس لما نقضوا من عهود، وما كانوا يتفنونون في القسوة

وإراقة الدماء، ودلالة فعل الصنع العناية والاهتمام باجتراح المعاصي، والإنباء الإخبار بما هو مهم، والتصريح باسم الله لتعظيم أمر الحساب بعد الإنباء.

قوله تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾

(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا) الخطاب الاستنفائي لأهل الكتاب بعد ذكر نقضهم العهود لإتمام الحجة عليهم، و(قد) حرف تحقيق وتأکید، وفعل المجيء إشارة إلى تبليغهم بطريق الرسول، وإسناد لفظ الرسالة إلى ضمير الجلالة لتفخيم شأن الرسول محمد ﷺ وتأکید صحة رسالته.

قوله (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) جملة التبيين موقعها الحال، أي: مبينا لكم، والتبيين التوضيح والإظهار لما اجتهد علماء أهل الكتاب في إخفائه وكنتمه عن أقوامهم من البشارة ببعثة النبي ﷺ ووجوب اتباعه، و(من) للبيان، وتعريف الكتاب للعهد ويراد به التوراة والإنجيل، والكلام دليل على صحة النبوة بإقامة البينة عليهم، بإظهار ما استروا من أمره عن الناس.

قوله (ويعفو عن كثير) الجملة موقعها الحال بسبب العطف على (يبين لكم). والعفو إشارة إلى مسامحة النبي ﷺ لهم وغضه عن مؤاخذتهم.

قوله (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) الاستئناف بـ (قد) وتكرار جملة المجيء تأكيد ثانٍ للتعريف بالرسول، و(من) تبيينية، وإسناد لفظ النور والكتاب مجاز عقلي للمبالغة، وتنكيرهما للتعظيم، وقد يراد بالنور الرسول أو دين الإسلام، ولا فرق لتلازمهما، ووصف بالكتاب بالمبين لوضوح آيات القرآن الدالة على إعجازه وتوحيده.

قوله تعالى ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٦)

قوله (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) جملة الهدى محلها الحال من (كتاب مبين)، والله تعالى المختص بهداية من يستحق الهداية إلى سبيله تعالى، ولذا جاء باسم الموصول وصلته لبيان علة هدي الله، والهاء في (به) عائد إلى الكتاب، واتباع الرضوان التسليم له تعالى ولرسله وشرائعه تسليماً يقوده إلى طلب الكثير من رضى الله تعالى، وفي الكلام دليل صدق النبوة باتباع أهل الحق له.

وانتصب لفظ السبل لأنه مفعول ثانٍ لفعل الإهداء. ومفردها سبيل يستعمل - غالباً - لكل ما هو خير، لذلك لم يقل: طرق السلام، لأن لفظ الطريق يستعمل لكل ما هو خشن وعر. وإضافة السبل إلى السلام لأنها مؤدية إلى الأمان

والنجاه، والصيغة كناية جامعة عن كل ما من شأنه تحقيق السعادة في الدارين من الخلاص والأمن والثواب والإيمان ونحوها.

قوله (ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه) العطف على الحال قيد آخر للكتاب، وهو أسلوب استعاري أي يخرجهم من الكفر إلى الإيمان، شبه الكفر بالظلمات بجامع عدم الاهتداء، وشبه النور بالإيمان بجامع الهداية في كل، ثم حذف المشبهات على سبيل الاستعارة التصريحية، وهي من أكثر الصور القرآنية في صفة المؤمنين والمضلين، والظرف (بإذنه) بمعنى بعلمه سبحانه.

قوله (ويهديهم إلى صراط مستقيم) العطف يجعل إسناد الهدى إلى الكتاب على سبيل المجاز، أي يرشدهم إلى سبيل الإسلام ودين محمد وآل محمد، والصراط الطريق وتنكيره لنوعيته، ووصفه بالاستقامة لضمان السلامة والنجاه في سلوكه.

قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾

قوله (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) لام القسم وحرف التحقيق لتأكيد الإخبار، والكفر جدد توحيد الله وإنكاره، وفائدة اسم الموصول وصلته لتبيان علة الحكم بكفر النصارى وهو افتراءؤهم في زعمهم المذكور، وضمير الفصل لبيان زعم اتحاد اللاهوت بالناسوت أورد على الحكاية من قولهم المزعوم، وهم طائفة اليعقوبية من مذاهب النصارى منتشرة في الحبشة ومنهم نصارى نجران في المدينة، ولذا خصوا بالإشارة، وقولهم دال على جهلهم بمقام الألوهية وسطحية تفكيرهم، قال أبو حيان في تفسيره: وقد رأيت من نصارى بلاد الأندلس من كان ينتمي إلى العلم فيهم، وذكر لي أن عيسى نفسه هو الله تعالى، ونصارى الأندلس ملكية. قلت له: كيف تقول ذلك، ومن المتفق عليه أن عيسى كان يأكل ويشرب، فتعجب من قلبي وقال: إذا كنت أنت بعض مخلوقات الله قادرا على أن تأكل وتشرب، فكيف لا يكون الله قادرا على ذلك؟ فاستدللت من ذلك على فرط غباوته وجهله بصفات الله تعالى. انتهى.

واستعمال المسيح بدلا من اسم عيسى لإفادة المباركة حكاية على ألسنتهم، ولذا رد الله عليهم بنفس تكنيتهم.

قوله (قل فمن يملك من الله شيئا) الأمر بت (قل) تعليم من الله لنبيه. والفاء أداة تعقيب على زعمهم الأنف في جملة القول، والاستفهام بـ (من) مجاز يفيد الإنكار، بمعنى: لا أحد يملك من الله شيئا. أي: لا أحد يمنع من الله أدنى شيء.

قوله (إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه) التعليق لتصوير كمال قدرته تعالى فيما لو شاءت حكمته بإفناء عيسى وأمه وكل مخلوق في الأرض. فهو مستعمل لتصوير الإرادة ولذا ليس فيه دلالة على الاستقبال، وإنما ذكر الإهلاك لإبطال دعواهم الاتحاد بين الله والمسيح لاستحالة التجسيم على الله، ولتأكيد إمكان موت عيسى وأمه، ولذا قيده ببنوته لمريم للإشارة إلى أنه بشر مثلكم يجري عليكم ما يجري عليه وعلى أمه من الموت والفناء فحكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحد، وتعطي أساليب الاستفهام دلالات اليقظة للذهن والتنبيه وتنبأ المتلقي في إيراد الحجج غير المتوقعة ولذلك استعمل في موارد الإنكار والمنطق نحو ما ذكر.

قوله (ومن في الأرض جميعا) العطف بمعنى: ويهلك، والتعميم في إهلاك جميع أهل الأرض لإظهار تمام القدرة.

قوله (ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما) تقديم الظرف لاختصاص الله بالملك وحده، وذكر السماوات والأرض استقصاء في سعة ملكه تعالى، والعطف على الملك في الظرف (ما بينهما) تأكيد لكمال القدرة، والجملة مقامها التعليل لقدرة الله على الإهلاك.

قوله (يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير) الإخبار بنفوذ مشيئته سبحانه في الخلق وقدرته على كل شيء مقامها التعليل لملكه السماوات والأرض، وفي البحر المحيط قال: كثيرا ما يذكر القدرة عقيب الاختراع وذكر الأشياء الغريبة. انتهى.

وفي التصريح بلفظ الألوهية أربع مرات دون الإشارة إليه بالإضمار لأنه الله تعالى الذي باسمه يستدل على العظمة وتمام القدرة.

قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّوْهُ قُل فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

قوله (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) الواو للعطف على قوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح)، وجمع اليهود والنصارى معا لأن ذلك صدر منهما كلاهما على سبيل التشريف لسذاجتهم وتعمق في نفوسهم حد التصديق وأريد به اختصاص القرب من ربهم اختصاصا يمنع من أن تمسهم النار أو أن يعاقبوا بذنب.

قوله (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) الأمر بـ (قل) إخبار من الله لنبيه وعناية به، والفاء للتفريع، والاستفهام للتقرير والجملة احتجاج لإبطال زعم الزاعمين، إذ إن عذاب الله لهم بسبب ذنوبهم يبطل حجتهم في كون قربهم من ربهم يرفع عنهم كل عذاب، وقد سلط الله عليهم بذنوبهم من قبل من يسومهم العذاب وبعد إرسال النبيين عليهم عوقبوا بالمسخ والتهيه وخلق بينهم وبين الظالمين فأسروا وسبوا وخربت مدنهم، فكيف يدعون أنهم أحباء الله ويجرون صفات الإنس عليه سبحانه وإنما الأمر أنهم مثل باقي البشر يعاملون على المجازاة.

قوله (بل أنتم بشر ممن خلق) إضراب عن زعم اليهود والنصارى أمة مختارة، أبناء الله أو أحبائهم، وإنما قال بشر للإشارة إلى ضعفهم وإمكان تعذيبهم وإهلاكهم، و(من) في (ممن) للتبويض، وإدراجهم ضمن من خلق لإفادة رفع الامتياز عنهم وإنما البشر عند الله أسوياء يرفع قدرهم عنده سبحانه التزامهم بأوامره ونواهيه لا بقربهم العاطفي الإنساني الذي يجرونه عليه جل تعالى عن ذلك.

قوله (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) جمل متقابلة، وإنما علق الغفران والتعذيب بالمشيئة لإفادة كمال القدرة لا عاطفة القرب التي يقهر عليها الأب كما يدعون، ومشيئته تعالى اقتضت إلا يعاقب ابتداء من دون معصية، فالله العدل ومن تمام عدله المجازاة على الفعل.

قوله (ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما) الإخبار بملك الله تعالى لمملكته الواسعة حجة على من يزعم المزية عنده بحجة البنية والمكانة لأن الله مستغن كامل عن ذلك.

قوله (وإليه المصير) تقديم الظرف للاختصاص الله وحده بمعاد الخلائق إليه يوم القيامة للثواب والعقاب. والإخبار متضمن الوعيد والتهديد.

قوله تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

قوله (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا) إعادة الخطاب لأهل الكتاب تجديد لتحذيرهم بإلقاء الحجة عليهم وقطع المعذرة عنهم، بعد بيان التعريف بالرسول.

قوله (يبين لكم) جملة حالية، والتبيين التوضيح، وحذف متعلق فعل التبيين للتفخيم أو العموم فقد يراد به تبيان ما كتبه علماء السوء عن قوم اليهود والنصارى من البشارة بمبعث النبي ﷺ أو بما بدلوا من آيات الله وحرفوها.

قوله (على فترة من الرسل) حرف الجر (على) مجاز استعلائي، والفترة السكون ويراد به مدة انقطاع ما بين النبيين، وفي الكلام دلالة على درس معالم التوحيد والدين، وفي نهج البلاغة قوله عليه السلام: أرسله على حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الأمم واعتزام من الفتن وانتشار من الأمور، وتلظ من الحروب والدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور، على حين اصفرار من ورقها وإياس من ثمرها، واغورار من مائها، قد درست منار الهدى، وظهرت أعلام الردى. انتهى.

قوله (أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) جملة تعليل بمعنى: لنلا تقولوا يوم القيامة محتجين ما جاء بشير ولا نذير، لقطع العذر ولإتمام الحجة عليهم،

إذا لم يؤمنوا بالنبى ﷺ، و(من) زائدة لتقوية عموم النفي، والبشير النبى المبشر بالثواب على العمل، والنذير المنذر بالعقوبة.

قوله (فقد جاءكم بشير ونذير) الفاء للتعقيب الذكري على حكاية قولهم رد من الله عليهم، والمراد بمجيء البشير والنذير الرسول محمد ﷺ، وتنكير اللفظين للتعظيم.

قوله (والله على كل شيء قدير) إخبار عن كمال قدرة الله متضمن معنى استئناف بعث النبى ﷺ للحاجة إليها بعد الانقطاع الطويل ثم ختمه به ﷺ.

قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾

قوله (وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم) الظرف (إذ) بمعنى: وأخبر قومك يا محمد وذكرهم لكي يتعظوا من أخبار الأمم التي قبلهم أن نقض العهود عاقبته وخيمة، والأمر بذكر نعمة الله على بني إسرائيل بمعنى إحضارها ماثلة لكثرتها بعد الحرمان، وإفراد النعمة للجنس.

قوله (إذ جعل فيكم أنبياء) جملة تبين لنعمة الله، وهو كثرة اتخاذ الله منهم الأنبياء، لذلك نكر اللفظ، وهو أول ما عد الله من النعم عليهم على لسان نبيه موسى عليه السلام، فكثرة الأنبياء كانت في أمتهم فيما سبق موسى من نسبهم

كإبراهيم وإسحاق ويعقوب، والظرفية المتصلة بضمير خطابهم (فيكم) لتضمنها معنى بعث الأنبياء من نفس أقوامهم.

قوله (وجعلكم ملوكا) أي وجعلكم بعد الاستدلال أعزة مستقلين بأنفسكم لا يتأمر عليكم أحد ولا يستعلي عليكم أمير، وقد كان ذلك من نعم الله عليهم بعد ذل فرعون لهم وتحكم القبط في رقابهم، وفي مجمع الزوائد وكنز العمال وغيرهما قوله ﷺ: من أصبح معافى في بدنه، آمنا في سربه، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها. انتهى.

قوله (وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين) الإتيان الإعطاء، وفاعل الفعل محذوف لمعلوميته، ودلالة الكلام عليه. والكلام إجمال بعد تخصيص، والمعنى: نفي أن يكون الله أعطى أمة من الأمم السابقة على عهد موسى مثلما أعطاهم من الألفاف الإلهية والعناية الباهرة، ولكنهم لم يوفقوا لأداء شكرها والاحتفاظ بما وسع لهم من التوسعة التي عاشوا بها ملوكا فعلا أو مجازا فقد استغنوا بها عن تكلف الأعمال وتحمل المشاق، وبما ملكوا من الدور والخدم والأزواج والنعم المختلفة التي كانوا فيها أحرارا لم يستغل عليهم أحد، ثم أسهب بذكر النعم عليهم على نحو الإجمال والتصور البعيد بأن امتن عليهم بالنعم الكثيرة كالمن والسلوى وانفجار العيون من الحجارة وإظلال الغمام.

والكلام من موسى ﷺ في التذكير بالنعم الثلاث التي استبطنت كل نعمة جملة عريضة من نعم الله عليهم بمنزلة التمهيد لما بعدها.

قوله تعالى ﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ
وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ﴿٢١﴾

قوله (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم) النداء غاية لما قدم موسى من التذكير بامتنان الله على قومه، والأمر بدخول الأرض المقدسة بمعنى تخليصها من المشركين وهم الحكام العمالقة لأرض بيت المقدس وما حولها، ووصفها بالمقدسة لأنها محل بركات الله ومسكن بعض أنبيائه، وتعريفها للعهد، وجملة الموصول لتهييج أنفسهم على تقبل التكليف، بالوعد لأن تكون محل توطنهم.

وكتابة الله مجاز في قضائه وحكمه أورد مطلقاً من تقييد الزمن والشخص فهو خطاب للأمة لأنهم فنوا في صحراء التيه لعصيانهم كما قال تعالى (فإنها محرمة عليهم أربعين سنة)، وإنما دخلها أبناؤهم زمن يوشع بن نون لأنها كانت مشروطة بالاستعانة بالله وبالصبر كما وعدهم موسى من قبل في قوله تعالى الذي حكاه عنه: (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون) [الأعراف ١٢٩].

قوله (ولا تترتدوا على أدباركم) النهي كناية عن الهزيمة والفرار من المعركة، لأن المولى مدبر، وذكر الأدبار لقبيح فعل الفار من القتال، والارتداد من

الردة والنكوص، وكلام موسى عليه السلام لقومه مرة بأمرهم بالدخول لتهييج إقبالهم وثانية بالنهي عن الفرار لما رأى منهم من جبن في العزيمة وضعف في الإيمان.

قوله (فتقلبوا خاسرين) الفاء للتفريع، وجملة الانقلاب كناية عن سوء العاقبة، بسبب نقضهم للعهد، ونصب لفظ الخاسرين على الحال، واللفظ استعارة من ضياع رأس المال، أي ضياع الأجر في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى ﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ ﴿٢٢﴾

قوله (قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين) حكى القرآن عن إجابة بني إسرائيل لنبيهم بما يصور مضمرات نفوسهم، فقدموا النداء باسمه، وأخبروه مؤكدين بما يشبه التمهيد لاعتذارهم عن الاستجابة لأمره في الدخول إلى الأرض المقدسة، والضمير في (فيها) عائد إلى الأرض المقدسة، وتكثير لفظ القوم لتعظيمهم. ووصفهم بالجبارين لأنهم عمالقة أقوياء أولو قوة وسطوة.

قوله (وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها) نفي منهم مؤكد بعدم الدخول إلى الأرض المقدسة مشترطين خروج العمالقة منها، ردا على أمر موسى بالدخول إليها.

قوله (فإن يخرجوا منها فإننا داخلون) الفاء للتعقيب الذكري، وليس في شرطهم سوى الفذلكة في الكلام فقدموا في كلامهم ما كان أخروا وأخروا ما

كان قدموا احتيالا والتفافا على عادتهم في المماثلة والمجادلة نحو مماراتهم على ذبح البقرة وغيرها.

قوله تعالى ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أُنْعِمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

قوله (قال رجلان من الذين يخافون) لم يصرح القرآن باسم الرجلين ويبدو من الروايات المعتبرة أنهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وهما من النقباء الاثني عشر الرواد الذين اختارهم موسى، وحذف متعلق فعل الخوف دل عليه ما بعده، أي: يخافون الله ويراقبونه.

قوله (أنعم الله عليهما) جملة وصف للرجلين وثناء من الله عليهما بأنهما على دين الإسلام دين موسى، لأنها أعظم النعم.

قوله (ادخلوا عليهم الباب) أمروا قومهم أمرا إرشاديا بالدخول على العمالقة من جهة باب البلدة، وليس من جهة بيت المقدس مباشرة. وقيل إنها أريحا. وتعريف الباب للعهد، وما تزال تسمى جهات المدن بالأبواب.

قوله (فإذا دخلتموه فإنكم غالبون) وفرعوا على ذلك الاقتراح جزمهم بأنهم المنتصرون في حال الإقدام على دخول البلدة، وإنما وقع إخبارهم بهذه الثقة

العالية لما فهموا ووثقوا من وعد موسى بأنها الأرض التي كتب الله لهم التوطين فيها.

قوله (وعلى الله فتوكلوا) وذكرنا قومهم بأن منتهى الأمر إلى الله، ويكون بالتوكل عليه وتفويض الأمر إليه، فإنه ناصر أوليائه.

قوله (إن كنتم مؤمنين) تعليق إيمانهم بالتوكل متضمن تطيب نفوسهم وتشجيعهم على ترك الخوف من العدو.

قوله تعالى ﴿ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾

قوله (قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها) رد قوم موسى الخائفون بالنفي التأييدي لدخول بيت المقدس لتأييسه من إقناعهم ما دام العمالقة في الأرض المقدسة.

قوله (فاذهب أنت وربك فقاتلا) وفرعوا على نفهم الشديد كلاما يدل على جهلهم واستخفافهم، فهم لم يكتفوا بعصيان نبيهم بعد كل تلك النعم من الله عليهم فقرروا التخلي عنه في قتال العمالقة وإظهار الاستخفاف في أمر موسى بالقتال وحده، وأن يقاتل ربه معه في جهل مكرور منهم لمقام الألوهية، وفي إضافة لفظ الرب إلى كاف موسى دون إضافته إلى نون أنفسهم دلالة واضحة على ما أضمرُوا في نفوسهم من جهل واستهزاء وقلة فهم.

قوله (إنا هاهنا قاعدون) جملة تعليل للأمر وتأكيد لتخلفهم عن استجابة أمر نبيهم، وصيغت بأسلوب الجملة الإسمية المؤكدة لإفادة ثبات قرارهم والالتزام به، وكأنهم أرادوا من ذلك الطلب من موسى عليه السلام أن يطلب من ربه المعجزة دون تضحية.

قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيَّ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ ﴿٢٥﴾

قوله (قال رب اني لا املك إلا نفسي وأخي) أي قال موسى داعياً ربه، ولا ترد حرف النداء مع (رب) لأن النداء به دعاء لا يصح معه معنى الإقبال والانتباه كما هو الحال مع غير الله تعالى، والإخبار بعدم قدرة موسى إلا على نفسه وكذلك أخوه هارون تمهيد لغرض الدعاء.

قوله (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) الفاء أداة تفریع، والفرق الفصل ويراد به التمييز بين موسى وأخيه وبين القوم الخارجين على العهد الناكثين لمواثيقهم من بني إسرائيل، وإنما لم يذكر المؤمنين النقيبين كيلا يهيجا قومهم عليهما، ودعاء موسى عليه السلام في التمييز لغرض تحقيق وعده تعالى بوراثته الأرض من بعد ذلك.

قوله تعالى ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ ﴿٢٦﴾

قوله (قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة) فاعل القول الله تعالى إجابة لدعاء موسى وإمضائه، والفاء للتفريع، والتأكيد بـ (إن) للحكم على بني إسرائيل بتحريم دخولهم الأرض المقدسة مدة أربعين سنة، والهاء في (إنها) عائد إلى الأرض المقدسة التي أمروا بالدخول إليها، والتحريم المنع، وتحديد الأربعين سنة لإفنائهم بالموت وتكوين جيل آخرين من أبنائهم وأحفادهم يعظمون نعم الله ويؤدون حق شكرها.

قوله (يتيهون في الأرض) جملة موقعها الحال، أي: تائهين في الأرض، والتهيه ضلال قصد الطريق، وتعريف الأرض للعهد، وهي أرض مصر تاهوا في بضعة فراسخ منها لا يهتدون الخروج منها ما إن يرتحلوا من مكانهم حتى يعودوا إليه بمعجزة منه تعالى، فبقوا أربعين سنة غير مستقرين بوطن، فلا هم من أهل المدر ولا من أهل الوبر.

قوله (فلا تأس على القوم الفاسقين) الفاء للتفريع، والنهي عن الحزن خطاب لموسى عليه السلام من ربه مواساة له، والإتيان بوصف الفاسقين للفظ القوم ليكون علة لأمر النهي عن الأسى.

وقصص نقض المواثيق مستمرة لهؤلاء القوم أوردها الله لنبيه ﷺ تسلياً له، وليتخذ منها قومه العظة والعبرة، فهذه الآيات الكريمة وضحت عاقبة خيانة العهد بالسمع والطاعة من بني إسرائيل ومخالفتهم لنبيه الذي حذرهم منه موسى في قوله تعالى (ولا ترتدوا على أديباركم فتتقلبوا خاسرين).

والآيات الشريفة تصوير لجاجة قوم موسى لنبيهم وكثرة جدالهم في أوامر الله لهم على لسان كلميه ومحاولات الانفلات من تنفيذ ما يطلب منهم، وكانت عناصر ذلك التصوير ما يأتي:

أولاً: حكمت الآيات صورة استشعار موسى من قومه روح الانهزام ابتداء لذلك قدم لطلبه منهم بخطاب استعطاف مثله النداء، وعزره بما يهيج طمعهم في التوطين في الأرض المباركة فعبر عنها بأنها (الأرض التي كتب الله لكم)، وكنى عن بيت المقدس بـ (الأرض المقدسة) امعانا في ميل قلوبهم نحوه. زد عليه ما ذكرنا من التحذير من الانهزام وعواقبه.

ثانياً: مثل تكرار فعل القول في المحاورات عنصراً مركزياً لصورة جدالهم واستمرارهم في محاولات عدم الالتزام بأوامر نبيهم، وهو عنصر حيوي في تصوير الحوار الجدلي غير المنتهي بين موسى وقومه طوال تاريخه معهم.

ثالثاً: مثل الإطناب أداة فاعلة في الحوارية مرة بالتدرج في المعاني في الانتقال من العام إلى الخاص ثم العودة إلى العام، نحو تعداد النعم، ثم تفصيلها ثلاثة أقسام.

رابعاً: رسمت الآيات صور الاعتذار الكثير مع كل أمر فرارا من حق الالتزام بالعهد، نحو قوله (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم) فأجابوا متهمين (إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها)، ونحو قوله (إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون). وفي لغة الآيات تصوير لنفوسهم الحادة الطبع تجسدها الأفعال

المنفية القطعية. فضلا عن لغة الجمع على الباطل (إنا لن ندخلها) مرتين وقولهم (إنا ها هنا قاعدون)، وحتى مع ظهور خطاب من بين صفوفهم لتليين الموقف في قوله (رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما) لإقناع قومهم في دخول بيت المقدس من أول بلدة مما يلي بني إسرائيل أي بلدة أريحا التي كنى عنها بالباب، وتشجيعهم وتطبيب نفوسهم في التوكل على الله.

وفي رد الأمر بأمر يضاده، فحين قال لهم موسى (ادخلوا) أجابوا رافضين (اذهب أنت وربك فقاتلا) في لغة تهكمية لا انتماء لها إلى الرحمة الإلهية فأسندوا الرب الذي تتشرف الخلائق بالاقتران باسمه إلى غيرهم، مقارنة برقة خطاب موسى واستعطافه لهم كابتداء كلامه بلفظ (يا قوم) وتذكيرهم بنعم الله عليهم.

خامسا: أشارت صور الكنايات في الحوارية إلى الطبيعة الانهزامية والاتكالية لليهود في تنفيذ ما يؤمرون بهم، نحو قوله تعالى على لسان موسى (ولا ترتدوا على أديباركم فتتقلبوا خاسرين) فهذه كنايات عن الهزيمة والانكفاء والتراجع، وأما قولهم (إنا ها هنا قاعدون) فهي إشارة إلى إصرارهم في البقاء في أماكنهم وعدم تحقيق أي إنجاز أو أمر.

لذلك كانت عاقبة النكت وخيانة العهد دعاء التفريق بينهم وبين نبيهم في إشارة إلى اليأس من صلاحهم فطلب مفارقتهم بعد وصفهم بالفاسقين مرتين لخروجهم على ما عاهدوا عليه نبيهم.

قوله تعالى ﴿ * وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

قوله (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق) جوهر ارتباط قصة انبي آدم بأجواء السورة أثر الحسد في خيانة العهد، وأثره في فعل السوء وانتظار عواقب الندامة، لذلك فيها تلميح إلى بني إسرائيل إلى أن استنكافهم عن الإيمان برسول الله ﷺ المكتوبة صفته في كتبهم، وقبول دعوته سببه الحسد والبغي لأنها نتائجه كما حصل من قبل مع ابني آدم، وفيها عظة وعبرة للمؤمنين للتمسك بالميثاق وحفظ العهد، لأن القصص أقدر على رسوخ المعاني في الذهن.

وفي الآيات صورتان صورة الضحية المقتول حسداً، وصورة القاتل الحاسد، ثم تصوير عاقبة الجريمة، وكان الحوار سمة التصوير في رسم النزعات النفسية لكليهما.

وبدأت القصة بفعل أمر التلاوة المخاطب به النبي ﷺ، ودلالته الثاني والتدبر للمتلو عليهم من أهل الكتاب بإصغاء واع، لأن الحدث عظيم وخطير فيه قتل، ولذا اختير لفظ النبأ وليس الخبر لقراءته، وهو يذكر باختياره في قوله تعالى (جئتكم من سبأ نبأ) على لسان هدهد سليمان الذي جاء بخبر عبادة غير الله في بلاد سبأ.

و(ابني آدم) كناية عن هابيل وقابيل، ولم يكن غيرهما على وجه الأرض، حسد قابيل أخاه لأريحية الأخير في تقديم القرбан لله بينما حرص قابيل على تقديم الأردأ، أو قيل غير ذلك، ولم يخرج عن ضيق الحسد، والعجيب أن الآيات لم تصرح باسم القاتل ولا المقتول بل كنّت عنهما بكنائيات بلاغية غاية في تناسب المقام، لأهمية استشفاف العظة على الاسم.

وفي تفسير العياشي بإسناده عن الباقر عليه السلام قال: لما قرب ابنا آدم القرбан فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال: تقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل، دخله من ذلك حسد شديد، وبغى على هابيل، ولم يزل يرصده ويتبع خلوته حتى ظفر به متحيا من آدم فوثب عليه وقتله. انتهى.

وقوله (بالحق) إشعار بصدق ما يتلى بعيدا عن التحريف والكذب، فالباء للملابسة، لأن أصل القصة موجودة في الفصل الرابع من سفر التكوين في التوراة وهي محرقة مجسمة للإله.

قوله (إذ قربا قربانا) جملة ظرفية متعلقة بفعل التلاوة، والتقريب التقديم، والقربان مبالغة فيما يتقرب به إلى الله، وإفراده دون تثنيته لأنه أخذ فيه المصدر، وكان - فيما نقل - هابيل راعي غنم وقابيل فلاحا فقدم الأول أحسن ما عنده من قربان يهدي إلى ربه من الغنم، بينما قدم قابيل أردأ ما يتقرب به من زرعه.

قوله (فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر) الفاء للتعقيب الذكري، والتقبل مبالغة في القبول، وهو كناية عن رضاه تعالى فأخذ قربان هابيل ولم يقبل

قربان قابيل، ولم تبين الآية علامة التقبل، وحكت مثله في عهد لاحق في بني إسرائيل بالتهام النار النازلة من السماء له، في قوله تعالى (الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) [آل عمران ١٨٣].

وهذا أصل الحسد، ولا يعني عدم قبول قربان قابيل معصية له، إذ لم يرد ذلك، ولكن المسألة تتعلق بعمق رسوخ المحبة في القلب الذي يطلق عليه الإيمان أو الذوبان في الله، ذلك الرسوخ الذي يجعل المؤمن متفانيا في إرضاء ربه، فتقبل القربان مبني على هذه الفكرة، ولكن لقابيل رأي آخر فانبعث غليان الحسد في نفسه. وكانت علامة التقبل عندهم أن تأكله النار، وإيثار عدم التصريح باسم من قبل قربانه واسم من رفض يبدو ليس المهم، بل المهم التركيز على جوهر الفكرة وهو البغي نتاج الحسد.

قوله (قال لأقتلنك) أي قال الذي لم يتقبل الله قربانه لأخيه الذي قبل قربانه متوعدا له بالقتل، والقتل إزهاق الروح عمدا، واللام المؤذنة بالقسم ونون التوكيد المتصلة بفعل القتل دلالة نية العزم الشديد على الفعل.

ولم تعرض الآيات كثيرا في المحاوراة لشخص القاتل، بل اكتفت في تصويره بتكثيف، وكأنها أرادت أن تشير إلى عزمه وتدبيره وإجالاته فكرة قتل أخيه كثيرا في نفسه، لذلك لم يتكلم كثيرا، لأنه لا يريد حوارا مع أخيه، فقد انغلق في نفسه سبيل المحبة، فجاء فعل القتل مؤكدا بعزيمة القسم المقدر وبنون الثقل في النبر على سبيل الجزم بتنفيذ الفعل، وهي لا شك تعبير عن نفس القاتل ليس شرطا التعبير باللغة ذاتها التي تكلم بها قابيل.

قوله (قال إنما يتقبل الله من المتقين) فاعل (قال) الذي تقبل الله منه قربانه، مجيباً أخاه، ومعللاً تقبل الله لقربانه بأسلوب يقيني راسخ بأن التقوى أصل قبول الله، ولا يد لأحد في قضائه تعالى وحكمه، وتفيد (إنما) الحصر، وما بعدها المقصور، ولفظ المتقين درجة عالية من الإيمان يصون المؤمن بها نفسه عن الوقوع في المعاصي.

قوله تعالى ﴿لَنْ بَسَطَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾

قوله (لئن بسطت إلي يدك لتقتلني) اللام المقترن بـ (إن) قسم وشرط، وبسط اليد مدها مجاز مرسل يراد به الاعتداء بالقتل لأن اليد سبب في ذلك، واللام في (لتقتلني) للغاية، والجملة علة لفعل الشرط.

قوله (ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك) جملة النفي جواب للشرط، نافية بأشد النفي على العمل بالمثل وهو رد الاعتداء، وأسلوب الجملة الإسمية والباء الزائدة في (ببسط) لإفادة رسوخ نفي القتل، وكلها للدلالة على أن إرادة قتل أخيه غير واردة في النفس ولا تمر له بخاطر.

وإنما النفي بمعنى العزم على الغدر بالقتل وليس معناه الدفاع عن النفس، لأن أخاه قتله غيلة بحجر على رأسه، ولا يظن ظان أنه دعاه لقتله أو أخبره بعزمه على القتل فقبل بذلك، فذلك أمر غير مقبول عقلاً.

قوله (إني أخاف الله رب العالمين) الفصل لأنه تعليل لنفي بسط اليد لقتل أخيه، وأورد بالجملة الإسمية المؤكدة لرسوخ خوف الله في نفسه، وفي الكلام معرفة عالية بالله تعالى.

قوله تعالى ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٩)

قوله (إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك) الكلام من تتمة كلام المقبول قربانه، وإخباره مقامه التعليل، والتحذير من الإقدام على فعل القتل. والمباءة الرجوع، والباء في (بإثمي) للملابسة، أي ترجع إلى الله بإثم قتلي إن قتلنتي وإثمك الذي كان منك قبل قتلي.

قوله (فتكون من أصحاب النار) الفاء للسبب، وفعل الكون ودلالة الصاحب تفيدان الملازمة والثبات في الخلود في النار.

قوله (وذلك جزاء الظالمين) لفظ الإشارة إلى العقاب، والإخبار يراد به بيان عاقبة القاتل، فقابيل قتل نفسه وقتل أخاه فكان ظالما مرتين، لذلك لازمته النار فكان من أصحابها، وذكر الظالمين إشعار لفداحة ظلمه ووعيد شديد له.

وعرضت الآيات صورة المقتول هابيل أكثر ودية ومحبة لأخيه، فهو حاوره كثيرا محاولا نزع فعل الحسد من نفس أخيه، مرة بتعليل قبول القربان على أساس تقبله من المتقين مشددا بحصر قبول القربان على أساس شفافية القلب

ومدى صلته بالله بتقواه وعمله المستوي في الحضور والغياب، وكان هابيل في هذا التعبير في غاية الذكاء والحصافة، لأنه عرف سر الحسد وعزيمة القتل عند أخيه، فجاء للأمر من نهايته لقلع جذره، ومرة بنفي بسط اليد لفعل الاعتداء.

واستعمل مجازات اليد ذاتها مبتدئاً بما يعتمل في نفس أخيه من عزيمة الاعتداء، فنفاه عن نفسه حتى لو اعتدى عليه أخوه، لا لخوف منه بل خوفاً من الله تعالى الذي يملك كل شيء بمن فيه قابيل وهابيل في تلميح رادع عن ارتكاب الجرم.

ويبدو الآن جلياً سبب قبول القربان من هابيل دون أخيه، وهو اختلاف النزعات والقابليات الايمانية، فهابيل من المتقين العارفين والعلماء الذين يخافون الله، ويكفيه ما خاطب به أخاه من الحكمة البالغة والموعظة الحسنة وتحذيره في بعد نظر من عاقبة سنة جريمة القتل التي سيفتح بها الطريق لمن يرتكبها من أبناء البشر فيبوء بإثمهم جميعاً، فالفرق واضح بين هذه الشخصية وبين الجاهل الذي لا يدرك حتى كيفية مواراة أخيه ودفنه فيأتي غراب يعلمه.

قوله تعالى ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ



قوله (فطوعت له نفسه قتل أخيه) الآية تصور جريمة القتل، الفاء للترتيب الذكري، والتطويع التذليل، قال الراغب: فطوعت له نفسه نحو أسمحت له قرينته وانقادت له وسولت، وطوعت أبلغ من أطاعت وطوعت له نفسه بإزاء قولهم: تأبّت عن كذا نفسه. انتهى.

والفعل استعارة للنفس بترويض صاحبها على القتل، لأن قتل الأخ مخالف للفطرة، وجيء بلفظ النفس لأنها أمانة بالسوء، مورد الشيطان انقادت إليه بالتدريج وبفعل الوسوسة منه بدلالة فعل المطاوعة، لأنها جريمة جديدة لا يعرف القاتل كيف يتم إزهاق الروح، وباي آلة يتم ذلك، ومبالغة في تصوير فداحة الجرم كنّت الآية بـ (قتل أخيه) ولم تصرح بالاسم لهذا الاعتبار، لأن أخوة الدم أقوى في الفطرة، فكيف وما يجمعهما أخوة الدم والعقيدة بالإيمان بالله، فهما ابنا آدم النبي الخليفة.

قوله (فقتله فأصبح من الخاسرين) الفاء الأولى للتفريع، والثانية للتعقيب، والخاسر استعارة لضياع رأس المال ويراد به ضياع ثواب الدنيا والآخرة، صورة لسوء العاقبة يوم القيامة.

قوله تعالى ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يُوَيَّلَتِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٢١﴾﴾

قوله (فبعث الله غرابا يبحث في الأرض) الفاء للتعقيب الذكري، والبعث الإرسال، والبحث أصله طلب الشيء في التراب، ودلالة حال الغراب في البحث تعني البحث والدفن لأن الغاية إراءة كيفية الدفن لا الوقوف على البحث في التراب فقط، ومن عادة الغراب فعل ذلك فإنه يدخر بعض ما يصطاد بدفنه في الأرض.

قوله (ليريه كيف يواري سوأة أخيه) جملة غاية، وهو أن يلهمه الغراب كيف يواري جسد أخيه المقتول لأنها أول جريمة تحصل على الأرض ولا عهد للبشر بالموارة، حتى يعرف القاتل ما يفعل بضحيته أيتها، أم ماذا؟

والأداة (كيف) للسؤال عن الكيفية، والكلام مجرد من الاستفهام، والموارة أصلها الستر ويراد بها دفن الميت في التراب، وذكر السوأة لأن الميت غير مستطيع على ستر ما لا ينبغي كشفه، وتكرار مفردة (أخيه) لتعظيم الجرم.

والظاهر من السياق أن القاتل تحير في أمر ضحيته إذ لم يدرس عواقب الأمر، كيف يخفي أثر جريمته؟ فكان أن دله الله على غراب يعلمه كيف يواريها إكراما لدفن هابيل، لا كرامة بالقاتل.

قوله (قال يا ويلتا) أي القاتل قابيل قال نادما، والنداء بالويل يقال عند الهلكة، أنزل منزلة من ينادى ويسمع للمبالغة في الجزع، والألف زائدة للندبة.

قوله (أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب) الاستفهام هنا للإنكار وتوبيخ النفس، والعجز نفي الإمكان، والكلام إدراك لجهل النفس بعد فوات الأوان إذ أعذر إليه الله بمحاورة أخيه له ومحاولة ثنيه عن الإثم الفظيع.

قوله (فأواري سواة أخي) الفاء للتفريع، وتكرار لفظ السواة مبالغة في فداحة الجرم، وهذه المرة فقط ذكر لفظ أخيه على نحو الرقة واللين بعد ارتكاب الجرم حين لا ينفع الندم.

قوله (فأصبح من النادمين) الفاء للتعقيب، والكلام نتيجة محتومة لخسرانه وندمه على ما فعل.

قوله تعالى ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ
نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا
وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا
بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ



قوله (من أجل ذلك) الفصل للابتداء، أي: من أجل ذلك القتل المذكور لأحد ابني آدم.

قوله (كتبنا على بني إسرائيل) جملة خبر للابتداء، والمعنى: قضينا وفرضنا على بني إسرائيل، وخصوصية الحكم ببني إسرائيل لا تنفي عموميته، فالقتل العمد جزاؤه واحد، وفعل الكتابة وإسناده إلى نون العظمة يوحي بالتشديد في الحكم والتوثيق. قال في الميزان: وإنما ذكر في الآية أنه بينه لهم لأن الآيات مسوقة لعظمتهم وتنبيههم وتوبيخهم على ما حسدوا النبي ﷺ وأصروا في

العناد واشعال نار الفتن والتسبيب إلى القتال ومباشرة الحروب على المسلمين. انتهى.

قوله (أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا) جملة (أن) تفسيرية لكتابة الله، والحكم بقتل النفس بالنفس في القود والقصاص، أما قتل النفس بالفساد في الأرض فتوضحه الآية بعدها من السورة، والتشبيه بقتل الناس جميعا تهويل للإقدام على إزهاق النفس ظلما.

قوله (ومن أحيها فكأنما أحيأ الناس جميعا) أي: ومن أحيأ نفسا من غرق أو حرق أو كل ما يميت، أو استنقذها من ضلال فإن أجر عمله كأجر من أحيأ الناس جميعا، وفعل الإحياء مجاز عقلي للمبالغة، لأن الله هو المحيي. وصورة التشبيه في حال الإمامة والإحياء للمبالغة في تكثير المعنى للموت والحياة، فقتل النفس الواحدة عند الله بمنزلة قتل الناس جميعا وكذا إحياء النفس الواحدة بمنزلة إحياء الناس جميعا.

قوله (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات) العطف لإظهار الامتنان على بني إسرائيل وجدهم بآيات الله، و(لقد) قسم وتحقيق، وفعل المجيء بمعنى تبليغ الرسل لهم بالبينات والدلائل الواضحة على صدق نبوتهم.

قوله (ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون) تفيد (ثم) الترتيب الذكري، والإخبار عن بني إسرائيل بتأكيد إسرافهم في عصيانهم لأنبيائهم بعد كل تلك البينات لبيان استكبارهم في الإصرار على الإثم والقتل، والإسراف الخروج عن القصد وتجاوز الحد.

المحتويات

تفسير سورة النساء ٢٣٢-١

- ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ١-٤
- ﴿ وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْدَلُوا الْحَيْثَ بِالْطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا ﴾ ٤-٥
- ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنْ ﴾ ٥-٦
- ﴿ وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا ﴾ ٦-٧
- ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا ﴾ ٧-٨
- ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا ﴾ ٨-١٠
- ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ ﴾ ١٠-١١
- ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ ﴾ ١١-١٢
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي ﴾ ١٣
- ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ ١٤-١٦
- ﴿ * وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُن لِهُنَّ ﴾ ١٦-١٩
- ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ ﴾ ١٩-٢٠
- ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا ﴾ ٢٠-٢١
- ﴿ وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفُحْشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً ﴾ ٢١-٢٢

- ﴿ وَالَّذِينَ يَأْتِيَنَهَا مِنْكُمْ فَعَاذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا ﴾ ﴿١٦﴾ ٢٢
- ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ ﴿١٧﴾ ٢٤-٢٣
- ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ ﴿١٨﴾ ٢٥-٢٤
- ﴿ يَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ﴿١٩﴾ ٢٧-٢٥
- ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ ﴿٢٠﴾ ٢٨-٢٧
- ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَنَ ﴿٢١﴾ ٢٩-٢٨
- ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ ﴿٢٢﴾ ٢٩
- ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ ﴿٢٣﴾ ٣٢-٣٠
- ﴿ * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ ﴿٢٤﴾ ٣٥-٣٢
- ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ ﴿٢٥﴾ ٣٧-٣٥
- ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴿٢٦﴾ ٣٨
- ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ﴿٢٧﴾ ٣٩-٣٨
- ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ٤٠-٣٩
- ﴿ يَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ ﴿٢٩﴾ ٤١-٤٠
- ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ﴿٣٠﴾ ٤١
- ﴿ إِنْ تَجَتَبَّوْا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴿٣١﴾ ٤٣-٤٢

- ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى الْبَعْضِ لِلرِّجَالِ ﴾ ٤٣-٤٥
- ﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَاتِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ ٤٥-٤٦
- ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى الْبَعْضِ ﴾ ٤٦-٤٨
- ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا ﴾ ٤٨-٥٠
- ﴿ * وَعَبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَالْبَاقِلَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ ٥٠-٥٢
- ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ ﴾ ٥٢-٥٣
- ﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ... ﴾ ٥٣-٥٤
- ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَنَفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمْ ﴾ ٥٤
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا ﴾ ٥٤-٥٥
- ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى ﴾ ٥٥-٥٦
- ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ ﴾ ٥٦-٥٧
- ﴿ يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى ﴾ ٥٧-٦٠
- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشَرُّونَ الضَّلَالَةَ ﴾ ٦٠-٦٢
- ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ ٦٢
- ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا ﴾ ٦٢-٦٥
- ﴿ يَتَابِعُهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا ﴾ ٦٥-٦٧

- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ ﴿ ٤٨ ﴾ ٦٨-٦٧
- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا ﴿ ٤٩ ﴾ ٧٠-٦٩
- ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ﴾ ﴿ ٥٠ ﴾ ٧١-٧٠
- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ ﴿ ٥١ ﴾ ٧٢-٧١
- ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾ ﴿ ٥٢ ﴾ ٧٣-٧٢
- ﴿ أَمَّا لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾ ﴿ ٥٣ ﴾ ٧٣
- ﴿ أَمَّا يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا ﴿ ٥٤ ﴾ ٧٥-٧٣
- ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾ ﴿ ٥٥ ﴾ ٧٥
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ ﴿ ٥٦ ﴾ ٧٦-٧٥
- ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ﴿ ٥٧ ﴾ ٧٩-٧٧
- ﴿ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا ﴿ ٥٨ ﴾ ٨٠-٧٩
- ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن ﴿ ٥٩ ﴾ ٨٢-٨٠
- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا ﴿ ٦٠ ﴾ ٨٣-٨٢
- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ ﴿ ٦١ ﴾ ٨٤-٨٣
- ﴿ فَكَيفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ ﴿ ٦٢ ﴾ ٨٥-٨٤
- ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ ﴿ ٦٣ ﴾ ٨٦-٨٥

- ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ ﴾ ﴿٦٤﴾ ٨٧-٨٦
- ﴿ فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُخَرِّجُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ ﴿٦٥﴾ ٨٩-٨٨
- ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾ ﴿٦٦﴾ ٩٠-٨٩
- ﴿ وَإِذَا لَاتَيْتَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ﴿٦٧﴾ ٩٠
- ﴿ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ ﴿٦٨﴾ ٩١-٩٠
- ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ ﴿٦٩﴾ ٩٣- ٩١
- ﴿ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عِلِيمًا ﴾ ﴿٧٠﴾ ٩٣
- ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا .. ﴾ ﴿٧١﴾ ٩٤-٩٣
- ﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ﴾ ﴿٧٢﴾ ٩٥-٩٤
- ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ ﴾ ﴿٧٣﴾ ٩٧-٩٦
- ﴿ * فَيُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ ﴿٧٤﴾ ٩٨-٩٧
- ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ ﴾ ﴿٧٥﴾ ١٠٠-٩٨
- ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ﴾ ﴿٧٦﴾ ١٠٢-١٠١
- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ ﴿٧٧﴾ ١٠٤-١٠٢
- ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ ﴾ ﴿٧٨﴾ ١٠٧-١٠٤
- ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ ﴾ ﴿٧٩﴾ ١٠٨-١٠٧

- ﴿ مَن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ ... ﴾ ﴿٨٠﴾ ١٠٩-١٠٨
- ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ... ﴾ ﴿٨١﴾ ١١٠-١٠٩
- ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا ... ﴾ ﴿٨٢﴾ ١١١-١١٠
- ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ... ﴾ ﴿٨٣﴾ ١١٤-١١٢
- ﴿ فَقَتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ ... ﴾ ﴿٨٤﴾ ١١٥-١١٤
- ﴿ مَن يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَن ... ﴾ ﴿٨٥﴾ ١١٦-١١٥
- ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ ... ﴾ ﴿٨٦﴾ ١١٦
- ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ كُمُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ ... ﴾ ﴿٨٧﴾ ١١٨-١١٧
- ﴿ * فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكَّهُمْ بِمَا ... ﴾ ﴿٨٨﴾ ١١٩-١١٨
- ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ ... ﴾ ﴿٨٩﴾ ١٢٠-١١٩
- ﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّثْقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ ... ﴾ ﴿٩٠﴾ ١٢٢-١٢١
- ﴿ سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ ... ﴾ ﴿٩١﴾ ١٢٤-١٢٢
- ﴿ وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَن يَقْتُلُوا مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَن قَتَلَ ... ﴾ ﴿٩٢﴾ ١٢٧-١٢٤
- ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا ... ﴾ ﴿٩٣﴾ ١٢٨-١٢٧
- ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾ ﴿٩٤﴾ ١٣٠-١٢٨
- ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ ... ﴾ ﴿٩٥﴾ ١٣٢-١٣٠

- ﴿ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ﴿٢٦﴾ ١٣٢
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ﴾ ﴿٢٧﴾ ١٣٢-١٣٤
- ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا ﴾ ﴿٢٨﴾ ١٣٤-١٣٥
- ﴿ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُو عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا ﴾ ﴿٢٩﴾ ١٣٥
- ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافًا كَثِيرًا ﴾ ﴿٣٠﴾ ١٣٥-١٣٧
- ﴿ وَإِذَا صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُم جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مَن ﴾ ﴿٣١﴾ ١٣٧-١٣٨
- ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ ﴾ ﴿٣٢﴾ ١٣٨-١٤٢
- ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَى ﴾ ﴿٣٣﴾ ١٤٢-١٤٣
- ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقُوَّةِ ۚ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ ﴾ ﴿٣٤﴾ ١٤٣-١٤٤
- ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا ﴾ ﴿٣٥﴾ ١٤٤-١٤٥
- ﴿ وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ﴿٣٦﴾ ١٤٥-١٤٦
- ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ ﴾ ﴿٣٧﴾ ١٤٦
- ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ ۚ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ ﴿٣٨﴾ ١٤٦-١٤٧
- ﴿ هَآأَنُتُمْ هَآؤَآءَ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلِ اللَّهَ ﴾ ﴿٣٩﴾ ١٤٨
- ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْمِرْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ ﴾ ﴿٤٠﴾ ١٤٨-١٤٩
- ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبْهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ ﴾ ﴿٤١﴾ ١٤٩-١٥٠

- ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ ... ﴾ ١١٣ ﴿ ١٥٠-١٥٢
- ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ ... ﴾ ١١٣ ﴿ ١٥٢-١٥٤
- ﴿ * لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ ... ﴾ ١١٤ ﴿ ١٥٤-١٥٦
- ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ ... ﴾ ١١٥ ﴿ ١٥٦-١٥٧
- ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ ... ﴾ ١١٦ ﴿ ١٥٨
- ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا ... ﴾ ١١٧ ﴿ ١٥٨-١٥٩
- ﴿ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ... ﴾ ١١٨ ﴿ ١٥٩-١٦٠
- ﴿ وَلَا ضَلَالَتَهُمْ وَلَا أُمْنِيَهُمْ وَلَا أَمْرَهُمْ فَلَيُبْتِغَنَّ آذَانَ ... ﴾ ١١٩ ﴿ ١٦٠-١٦٢
- ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ... ﴾ ١٢٠ ﴿ ١٦٢
- ﴿ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ... ﴾ ١٢١ ﴿ ... ١٦٢ - ١٦٣
- ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ ... ﴾ ١٢٢ ﴿ ١٦٣-١٦٤
- ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ ... ﴾ ١٢٣ ﴿ ١٦٤-١٦٥
- ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ ... ﴾ ١٢٤ ﴿ ١٦٥-١٦٦
- ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ... ﴾ ١٢٥ ﴿ ١٦٦-١٦٧
- ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ ... ﴾ ١٢٦ ﴿ ١٦٧-١٦٨
- ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا ... ﴾ ١٢٧ ﴿ ١٦٨-١٧٠

- ﴿ وَإِنَّ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ ﴾ (١٢٨) ١٧٢-١٧٠
- ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا ... ﴾ (١٢٩) ١٧٣-١٧٢
- ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴾ (١٣٠) ١٧٤
- ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ... ﴾ (١٣١) ١٧٦-١٧٤
- ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (١٣٢) ١٧٦
- ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ ﴾ (١٣٣) ١٧٨-١٧٦
- ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ (١٣٤) ١٧٨
- ﴿ * يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ ﴾ (١٣٥) ١٨٠ - ١٧٨
- ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكِتِ الَّذِي نَزَّلَ ﴾ (١٣٦) ... ١٨٣-١٨٠
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ﴾ (١٣٧) ١٨٤-١٨٣
- ﴿ بَشِيرِ الْمُنْفِقِينَ بَأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١٣٨) ١٨٤
- ﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَنُّونَ ﴾ (١٣٩) ١٨٥
- ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَتِ اللَّهِ ﴾ (١٤٠) ١٨٧-١٨٥
- ﴿ الَّذِينَ يَتَرَضَّوْنَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ ﴾ (١٤١) ١٩٠-١٨٨
- ﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى ﴾ (١٤٢) ١٩١-١٩٠
- ﴿ مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ ﴾ (١٤٣) ١٩٣-١٩١

- ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ ﴿ ١٤٤ ﴾ ١٩٣-١٩٤
- ﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ ﴿ ١٤٥ ﴾ ١٩٤
- ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخَاصُوا دِينَهُمْ ﴿ ١٤٦ ﴾ ١٩٥
- ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ ﴿ ١٤٧ ﴾ ١٩٦
- ﴿ * لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ ﴿ ١٤٨ ﴾ ١٩٦-١٩٨
- ﴿ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُخَفُّوهُ عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ ﴿ ١٤٩ ﴾ ١٩٨-١٩٩
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ ﴿ ١٥٠ ﴾ ١٩٩-٢٠٠
- ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا ﴿ ١٥١ ﴾ ٢٠٠
- ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ﴿ ١٥٢ ﴾ ٢٠١
- ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ ﴿ ١٥٣ ﴾ ٢٠٢-٢٠٤
- ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ ﴿ ١٥٤ ﴾ ٢٠٤-٢٠٥
- ﴿ فِيمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ ﴿ ١٥٥ ﴾ ٢٠٦-٢٠٧
- ﴿ وَكَفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴿ ١٥٦ ﴾ ٢٠٧-٢٠٨
- ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا ﴿ ١٥٧ ﴾ ٢٠٨-٢٠٩
- ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿ ١٥٨ ﴾ ٢٠٩-٢١٠
- ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ ﴿ ١٥٩ ﴾ ٢١٠-٢١١

- ﴿ فِطْرِهِم مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّت لَّهُمْ ﴿١٦٦﴾ ٢١٢-٢١١
- ﴿ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ ﴿١٦٦﴾ ٢١٣-٢١٢
- ﴿ لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ ﴿١٦٧﴾ ٢١٤-٢١٣
- ﴿ * إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴿١٦٧﴾ ٢١٥-٢١٤
- ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ ﴿١٦٨﴾ ٢١٦-٢١٧
- ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ ﴿١٦٩﴾ ٢١٧
- ﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلُوهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ ﴿١٧٠﴾ ٢١٨-٢١٧
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا ﴿١٧٠﴾ ٢١٩
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا ﴿١٧١﴾ ٢٢٠-٢١٩
- ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٧٢﴾ ٢٢٠
- ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا ﴿١٧٣﴾ ٢٢٢-٢٢٠
- ﴿ يَتَأَهَّلُ الْكِتَابُ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ ﴿١٧٤﴾ ٢٢٥-٢٢٢
- ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا ﴿١٧٥﴾ ٢٢٧-٢٢٥
- ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُم ﴿١٧٦﴾ ٢٢٨-٢٢٧
- ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِّنْ رَبِّكَمُ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ﴿١٧٧﴾ ٢٢٩-٢٢٨
- ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ ﴿١٧٨﴾ ٢٢٩

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمَرُوا ﴾ (٧٧) ٢٣٠-٢٣٢

تفسير سورة المائدة ٢٣٣-٣٠٢

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا ﴾ (١) ٢٣٤-٢٣٦

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهَرَ الْحَرَامَ ﴾ (٢) ٢٣٦-٢٣٩

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِءَ ﴾ (٣) ٢٤٠-٢٥٠

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ ﴾ (٤) ٢٥٠-٢٥١

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ ﴾ (٥) ٢٥٢-٢٥٤

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا ﴾ (٦) ٢٥٤-٢٥٨

﴿ وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِثْقَلَةَ الذِّى وَاتَّقُوا ﴾ (٧) ٢٥٨-٢٥٩

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ (٨) ٢٥٩-٢٦١

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ ﴾ (٩) ٢٦١

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ﴾ (١٠) ٢٦١-٢٦٢

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ ﴾ (١١) ٢٦٢-٢٦٣

﴿ * وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَوَعَّضْنَا مِنْهُمْ ﴾ (١٢) ٢٦٤-٢٦٧

﴿ فِيمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ (١٣) ٢٦٧-٢٦٩

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا ﴾ (١٤) ٢٧٠-٢٧١

- ﴿ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ ۖ ﴾ ﴿١٥﴾ ٢٧٢-٢٧١
- ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ ﴿١٦﴾ ٢٧٤-٢٧٣
- ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ﴾ ﴿١٧﴾ ٢٧٦-٢٧٤
- ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ ﴾ ﴿١٨﴾ ٢٧٨-٢٧٧
- ﴿ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ ﴾ ﴿١٩﴾ ٢٨٠-٢٧٨
- ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُوا أَدْخُلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ ﴿٢٠﴾ ٢٨١-٢٨٠
- ﴿ يَتَقَوَّمُوا أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ ﴾ ﴿٢١﴾ ٢٨٣-٢٨٢
- ﴿ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنَدْخُلُهَا حَتَّى ﴾ ﴿٢٢﴾ ٢٨٤-٢٨٣
- ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا ﴾ ﴿٢٣﴾ ٢٨٥-٢٨٤
- ﴿ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ ﴾ ﴿٢٤﴾ ٢٨٦-٢٨٥
- ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ﴾ ﴿٢٥﴾ ٢٨٧-٢٨٦
- ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ﴾ ﴿٢٦﴾ ٢٩٠-٢٨٧
- ﴿ * وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ ﴾ ﴿٢٧﴾ ٢٩٣-٢٩٠
- ﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ ﴾ ﴿٢٨﴾ ٢٩٤-٢٩٣
- ﴿ إِلَيَّ أُرِيدُ أَنْ تَبْوَأَ بِإِثْمِي وَإِثْمُكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ ﴿٢٩﴾ ٢٩٦-٢٩٤
- ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ ﴾ ﴿٣٠﴾ ٢٩٧-٢٩٦

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورَى...﴾ ﴿٣١﴾ ٢٩٨-٢٩٧

﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ...﴾ ﴿٣٢﴾ ٣٠٠-٢٩٩

